الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية
ومجانبة الفرق المذمومة

الكتاب الثاني
القدر

تأليف

الشيخ الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي
المتوفى سنة ٣٨٧ هـ

تحقيق ودراسة

د. عثمان عبد الله آدم الأثيوبي

المجلد الأول

دار الراية
للنشر والتوزيع

الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية
ومجانبة الفرق المذمومة

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ

ⓒ دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
العبكري، عبدالله بن محمد
الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: الكتاب الثاني: كتاب القدر.
... ص،.. سم
ردمك ٦ ـ ١٥ ـ ٦٦١ ـ ٩٩٦٠ (مجموعة)
٤ ـ ١٦ ـ ٦٦١ ـ ٩٩٦٠ (ج ١)
١ ـ التوحيد ٢ ـ الفرق الإسلامية ـ ٣ ـ القدر أ ـ الأثيوبي،
عثمان بن عبدالله آدم (محقق) ب ـ العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٥/١٥١٣

رقم الإيداع: ١٥/١٥١٣
ردمك: ٦ ـ ١٥ ـ ٦٦١ ـ ٩٩٦٠ (مجموعة)
٤ ـ ١٦ ـ ٦٦١ ـ ٩٩٦٠ (ج ١)

دار الراية
للنشر والتوزيع

الرياض: الربوة ـ طريق عمر بن عبد العزيز ـ هاتف ٤٩١١٩٨٥/فاكس ٤٩٣١٨٦٩
ص.ب. (٤٠١٢٤) الرياض (١١٤٩٩)
جدة: حي الجامعة ـ جنوب شارع باخشب ـ هاتف ٦٨٨٥٧٤٩

الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة

الكتاب الثاني

القدر

تأليف

الشيخ الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي

المتوفى سنة ٣٨٧ هـ

تحقيق ودراسة

د. عثمان عبد الله آدم الأثيوبي

المجلد الأول

دار الراية

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير

الحديد : ٢٢

هذا الكتاب في الأصل رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، تحقيق ودراسة الطالب عثمان عبد الله آدم الاثيوبي، بإشراف الأستاذ الدكتور عثمان عبد المنعم يوسف، رئيس قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر، والأستاذ بجامعة أم القرى

المقدمة

وتشتمل على ما يلي:

- شكر وتقدير.
- المقدمة.
- خطة الرسالة ومنهجي في الكتاب.

شكر وتقدير

ربنـا لك الحمـد؛ حمداً يوافي نعمك، ويكافىء مزيد فضلك، وكما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، وصل اللهم على أشرف خلقك وخاتم أنبيائك نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإنني أتـوجه إلى الله العلي القدير بالدعاء لكل من ساهم في تعلمي وأعانني عليه منذ صغري حتى تحضير هٰذه الرسالة، وأخص بالدعاء والشكر أستاذي الجليل الدكتور عثمان عبد المنعم يوسف المشرف على الرسالة، الذي قدم لي معونته الصادقة ورعايته المخلصة، ومنحني من أوقاته الغالية بالشيء الكثير زيادة على ساعـات الإشـراف الـرسمية بالجامعة، فبفضل من الله ثم بإخلاصه وتوجيهاته السديدة النابعة من باعه الطويل في العلم وخبرته الطويلة؛ تحقق إنجاز هٰذه الرسالة وإخراجها إلى حيز الوجود، والله أسأل أن يضاعف له الحسنات، وأن يجازيه على ذٰلك الحسنى وزيادة.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكافة المسؤولين بجامعة أم القرى، وفي مقدمتهم معالي مدير الجامعة الدكتور راشد الراجح، وعميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد، ووكيلها الدكتور سليمان التويجري، ورئيس قسم الدراسات العليا الشرعية فضيلة الشيخ سيد

سابق، والقائمين على قسم الدارسات العليا وغيرهم من المسؤولين في الجامعة الذين قدموا لطلاب الدراسات العليا خاصة ولكافة الطلاب في جميع الأقسام العامة خدمات جليلة تعينهم على التفرغ لطلب العلم وتعلمه؛ فجزاهم الله عني وعن العلم وطلابه وعن الإسلام خير الجزاء.

●●●●●

المقدمة

الحمد لله ؛ نحمده ، ونسعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله ؛ فلا مضل له ، ومن يضلل ؛ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد مرت على الأمة الإسلامية عصور عديدة تمسكت في بعضها بالعقيدة السلفية الصحيحة ، وفي بعضها الآخر ضعف تمسك فريق من الأمة بهذه العقيدة أو انحرفوا عنها ، ففي عهد صاحب الرسالة ﷺ كانت العقيدة الإسلامية صافية في نفوس المؤمنين ، لم تشبها شائبة ؛ فلم يلتحق الرسول الكريم ﷺ بالرفيق الأعلى إلا بعد أن بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وبعد أن شهد رب العزة أيضاً بأنه أكمل هذا الدين للأمة الإسلامية ؛ فقال سبحانه وتعالى : ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾[1] .

لقد أمر الله نبيه ﷺ أن يبلغ عنه دينه بقوله : ﴿يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ

(١) المائدة : ٣ .

﴿لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾[1]؛ فبلغه كما أمره عقيدة وشريعة، وشهد له بذلك المؤمنون جميعاً، فكان هذا الدين منهجاً صحيحاً كاملاً لا يقبل الزيادة ولا النقص؛ حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومضى على هذا المنهج القويم والصراط المستقيم صفوة هذه الأمة وسلفها الصالح، ثم دخل في هذا الدين أناس مختلفوا الأجناس والأفكار والعقائد من أبناء الفرس واليهود والنصارى والوثنيين عباد الأصنام؛ منهم من دخل في الدين بنية حسنة ورغبة صادقة في الإسلام فحسن إسلامهم رضي الله عنهم، ومنهم أناس دخلوا في الدين بنية سيئة وكان قصدهم أفساد هذا الدين، ولكيد أهله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وقد بدأ هذا الصنف من الناس يبث السموم في صفوف المسلمين منذ أن دخلوا في الإسلام، وكان لهم دور كبير في زعزعة عقائد المسلمين وإفساد عقولهم، وإدخال المنكرات ونشر المبتدعات في ربوع العالم الإسلامي.

ومن هنا نجد أن أصل الأفكار المنحرفة والعقائد الباطلة التي شاعت بين صفوف المسلمين يرجع مصدرها إلى العقائد اليهودية والنصرانية، والأفكار الفارسية، والفلسفة اليونانية[2] التي نقلت إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة.

وبعد القرن الأول الهجري تتابع ظهور الفرق الإسلامية من الجهمية، والقدرية، والجبرية، والمرجئة، والكلابية، والأشاعرة، والكرامية، والماتريدية، وكان شعار أتباع هذه الفرق ـ اللهم إلا الأشعري وقدماء أصحابه ـ[3]؛ تأويل النصوص في العقائد اعتماداً على الأدلة العقلية، زعماً

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) انظر: «تاريخ المذاهب الإسلامية» (ص ١٣ ـ ١٤) لأبي زهراء، و«تاريخ الفرق الإسلامية» للغرابي (ص ٣٠ ـ ٣١)، وكتاب «لوامع الأنوار البهية» (ص ٢٣ ـ ٢٤) للسفاريني، وكتاب «أحوال الرجال» لأبي إسحاق الجوزجاني (ص ٣٧ ـ ٣٨) مع الهامش.

(٣) كالباقلاني، وأبي الحسن الطبري، وأبي عبد الله بن مجاهد.

انظر: «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١ / ٢٧٢).

منهم أنها قطعية الدلالة دون النصوص الشرعية، ويقدمون الأدلة العقلية على الأدلة النقلية عندما يتوهمون التعارض بين العقل والنقل؛ فيؤولون النصوص إذا كانت من القرآن الكريم أو السنة المتواترة توفيقاً بين الأدلة النقلية والعقلية القاطعة الدلالة حسب زعمهم، وأما إذا كانت النصوص من أخبار الآحاد؛ فإنها ترد لأن القاعدة عندهم أن أخبار الآحاد لا يؤخذ بها في العقائد، ولم يكن تأويل النصوص بالمعنى المفهوم لدى المتكلمين معروفاً عند السلف وإنما نشأ مع ظهور هٰذه الفرق، ومن المعلوم أن كل فرقة من هٰذه الفرق وغيرها لم تتمكن من نشر مذاهبها المخالفة للسنة إلا بعد إبعاد النصوص الشرعية المخالفة لمعتقداتها عن طريقها بواسطة هٰذا التأويل المذموم، ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم.

ويرى العلامة ابن قيم الجوزية بأن أصل كل فتنة وجناية وقعت في الإسلام إنما هي بسبب فتح باب تأويل النصوص الشرعية[1]؛ فالقدري يؤول جميع النصوص المثبتة للقدر لكي يصحح عقيدته في نفي القدر، والجهمي يؤول جميع الصفات لكي يصحح عقيدة التعطيل للصفات الإلٰهية، وكذٰلك الجبري؛ يؤول كل نصوص تدل على أن للعبد اختياراً أو مشيئة، وهٰكذا جميع الفرق مما دعا علماء السنة إلى الرد على هٰذه الفرق بما أوتوا من الحجج الدامغة والبراهين القاطعة، التي تلقوها من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام؛ فاستنكروا مناهج هٰؤلاء الطوائف جميعاً لبعدها عن منهج الكتاب والسنة، ودرج عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وألفوا عديداً من المؤلفات في الرد عليهم؛ فمنهم من ألف في الرد على الشيعة والصوفية بجميع طوائفها، ومنهم من ألف ردوداً على الفرق الكلامية بمختلف أفكارها العقدية، وفي ذم الكلام والتحذير منه مع بيان مذهب السلف في ذٰلك كله، فمن الذين ألفوا من علماء السنة في الرد على أصحاب الأهواء والبدع:

(١) انظر: «القصيدة النونية» مع شرحها (١ / ٢٥٧ - ٢٧٠).

الإمام عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المتوفى سنة (١٨١هـ)، ويحيى بن سعيد بن فروخ التميمي القطان البصري المتوفى سنة (١٩٨هـ)، ويحيى بن بكير بن عبد الرحمٰن بن يحيى الحنظلي المتوفى سنة (٢٢٦هـ)، وأبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي المتوفى سنة (٢٢٨هـ)، وعبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري المتوفى سنة (٢٢٩هـ) الذي ألف كتاب «الرد على الجهمية»، والإمام أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخالد بن إبراهيم المعروف بابن راهويه المتوفى سنة (٢٣٨هـ)، والإمام الحجة أحمد بن حنبل الشيباني إمام أهل السنة المتوفى سنة (٢٤١هـ) الذي ألف كتابه «الرد على الجهمية والزنادقة»، والإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة (٢٥٦هـ) الذي ألف كتاب «خلق أفعال العباد والرد على الجهمية»، والإمام عثمان بن سعيد الدارمي المتوفى سنة (٢٨٠هـ) مؤلف كتاب «الرد على الجهمية» وكتاب «الرد على بشر المريسي»، والإمام أبو جعفر أحمد ابن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي المتوفى سنة (٣٢١هـ) الذي ألف كتابه «العقيدة الطحاوية»، والإمام أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدي المتوفى سنة (٣٠١هـ) مؤلف كتاب «التوحيد»، والإمام أبو بكر بن خزيمة المتوفى سنة (٣١١هـ) مؤلف كتاب «التوحيد وإثبات صفات الرب»، والإمام أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤هـ) مؤلف كتاب «الإبانة» وغيره من مؤلفاته الكثيرة في الرد على الزنادقة والمعتزلة، والإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري المتوفى سنة (٣٦٠هـ) مؤلف كتاب «الشريعة في السنة»، والإمام أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري المتوفى سنة (٣٨٧هـ) مؤلف كتاب «الإبانة الكبرى والصغرى»، والإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن منده المتوفى سنة (٣٩٥هـ) مؤلف كتاب «الإيمان»، والإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن الرازي اللالكائي المتوفى سنة (٤١٨هـ) الذي ألف كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، وأبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي الأندلسي

مؤلف كتاب «الأصول» المتوفى سنة (٤٢٩هـ)، والإمام البيهقي مؤلف كتاب «الأسماء والصفات» وكتاب «الاعتقاد» له أيضاً، المتوفى سنة (٤٥٨هـ)، والإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني المتوفى سنة (٥٣٥هـ) مؤلف «كتاب الحجة في بيان المحجة» و«شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة».

ومما يندرج تحت هٰذه المؤلفات في الرد على الفرق الكلامية مجموعة من الكتب التي كتبها أصحابها تحت عنوان: «كتاب السنة»، وهي لكل من ابن أبي شيبة أبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي المتوفى سنة (٢٢٥هـ)، وأبي بكر أحمد بن محمد بن هانىء الأثرم تلميذ الإمام أحمد المتوفى سنة (٢٧٣هـ)، وحنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال المتوفى سنة (٢٧٣هـ)، وأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة (٢٧٥هـ)، وأبي بكر أحمد بن عمرو النبيل الشيباني البصري المتوفى سنة (٢٧٧هـ)، وأبي بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي المتوفى سنة (٢٩٢هـ)، وأبي بكر أحمد ابن محمد الخلال المتوفى سنة (٣١١هـ)، وأبي أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني العسال المتوفى سنة (٣٤٩هـ)، وأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني المتوفى سنة (٣٦٠هـ)، وأبي ذر عبد بن أحمد ابن محمد بن عبد الله الأنصاري الهروي المتوفى سنة (٤٣٤هـ).

ومما ألف في عقائد السلف وذكر معتقدهم من كتب التفسير المنقولة عن السلف: «تفسير عبد الرزاق»، والإمام أحمد، وإسحاق، وبقية بن مخلد، وعبد الرحمٰن بن إبراهيم دحيم، وعبد بن حميد، وعبد الرحمٰن بن أبي حاتم، ومحمد بن جرير الطبري، وأبي بكر بن المنذر، وأبي بكر بن عبد العزيز، وأبي الشيخ الأصبهاني، وأبي بكر بن مردويه وغيرهم[1].

---

(١) انظر: كتاب «لوامع الأنوار البهية» (ج ١ / ص ٢١ - ٢٢) للسفاريني.

وهٰكذا تتابع علماء السنة في التأليف والرد على المخالفين؛ حتى ظهر شيخ الإسلام ابن تيمية[1] وتلميذه العلامة ابن قيم الجوزية[2] والحافظ الذهبي[3] في القرنين السابع والثامن الهجريين؛ فقام كل واحد من هٰؤلاء بدور عظيم في الدفاع عن العقيدة السلفية وتوضيحها في كتبه الكثيرة المشهورة، ومن أهم ما كتبه في ذٰلك:

كتاب «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» في أربع مجلدات، وكتاب «رد معارضة العقل والنقل»، وكتاب «الاستغاثة» المعروف بالرد على البكري، و«الرسالة التدمرية»، و«العقيدة الحموية الكبرى»، و«الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان»، وكتاب «اقتضاء الصراط المستقيم»، وكتاب «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«اجتماع الجيوش الإسلامية في الرد على المعطلة والجهمية»، و«الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة»، و«العقيدة النونية»، وكتاب «الصراط المستقيم»، و«مفتاح السعادة»، وكتاب «مدارج السالكين في إياك نعبد وإياك نستعين»، و«هداية الحيارى عن اليهود والنصارى» لابن القيم الجوزية، و«العلو للعلي الغفار» للحافظ الذهبي.

ولما كان واجباً علينا نحن طلاب العلوم الدينية أن نحتذي حذو سلفنا الصالح، ونتقصى آثارهم علماً وعملاً وخدمة للعقيدة السلفية الصحيحة ودفاعاً عنها، ولما رأيت أيضاً أن العقيدة السلفية في حاجة إلى الخدمة في وقتنا الحاضر - بل في جميع الأوقات -؛ رأيت أن يكون موضوع رسالتي في الدكتوراه في هٰذا المجال، كما كانت رسالتي في الماجستير في الصفات الخبرية شرحاً

---

(١) ولد شيخ الإسلام ابن تيمية سنة (٦٦١هـ)، وتوفي سنة (٧٢٨هـ).

(٢) كانت ولادة ابن القيم رحمه الله سنة (٦٩١هـ) وتوفي سنة (٧٥١هـ).

(٣) ولد الحافظ الذهبي سنة (٦٧٣هـ) وتوفي سنة (٧٤٨هـ).

وتوضيحاً ورداً لشبهات المؤولين.

وقد وقع اختياري على تحقيق كتاب القدر من كتاب «الإبانة الكبرى» لابن بطة، وذلك للأسباب التالية:

١ ـ مؤلف هٰذا الكتاب إمام جليل من أبرز أئمة السنة بالإجماع.

٢ ـ كتاب «الإبانة» أحد الموسوعات الإسلامية التي ألف في عقائد السلف في القرن الرابع الهجري، وهو كتاب غزير العلم كثير الفائدة، وقد بين فيه ابن بطة معظم مسائل العقيدة السلفية بذكره لأدلتها من الكتاب والسنة، وقل أن يكون هناك مؤلف على مثل اتساعه في روايته للأحاديث والآثار الواردة في عقيدة أهل السنة، بالإضافة إلى ما يشتمل عليه من شرح لها ودفاع عنها.

٣ ـ هٰذا الكتاب هو أحد المراجع التي يرجع إليها جهابذة علماء السنة في بيان مسائل العقيدة السلفية؛ مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن قيم الجوزية، والإمام محمد بن أحمد السفاريني وغيرهم من علماء السنة، ومثل هٰذا الكتاب يستحق العناية به بتحقيقه والتعليق عليه.

٤ ـ توسع ابن بطة في هٰذا الكتاب في بيان مسائل القدر، وأشبع الأدلة في ذٰلك من الكتاب والسنة والآثار المنقولة عن السلف، وقد خصص لهٰذا الموضوع أربعة أجزاء من المجلد الثاني اشتملت على مئات من الآيات والأحاديث والآثار الواردة فيه، وقد لا يوجد كتاب آخر من كتب الحديث يشتمل على مثل هٰذا العدد من الروايات في موضوع القضاء والقدر، ولا تخفى أهمية هٰذا الموضوع ودقته وضرورة تحقيق القول فيه؛ لكثرة ما ثار حوله من شبهات الجبرية والقدرية، ومن هنا؛ تبرز أهمية تحقيق ودراسة الأجزاء الأربعة التي تضمنها كتاب «الإبانة» فيه، ولعل هٰذه الأسباب تبرز لنا أهمية تحقيق ودراسة كتاب «الإبانة الكبرى» لابن بطة بصفة عامة والأجزاء الأربعة الخاصة بموضوع القدر من هٰذا الكتاب بصفة خاصة، وقد مر على هٰذا الكتاب قرون عديدة دون

أن يقوم أحد حتى السنوات الأخيرة بتحقيقه والتعليق عليه رغم قيمته العلمية وحاجة الناس إليه، لا سيما في وقتنا الحاضر الذي اهتم فيه الدارسون بغير تراث سلفنا الصالح مما هو دونه في الأهمية، وقد قام لأول مرة بتحقيق المجلد الأول من هٰذا الكتاب أخونا الفاضل الدكتور رضا نعسان معطي، ونقوم بعون الله تعالى في هٰذه الدراسة بتحقيق ودراسة كتاب القدر من المجلد الثاني، أما بقية هٰذا المجلد وهو كتاب «الرد على الجهمية»؛ فيقوم الآن بتحقيقه والتعليق عليه زميلنا الفاضل يوسف الوابل، وفقنا الله جميعاً للقيام بهٰذه المهمة على أكمل وجه.

● ● ● ● ●

خطة الرسالة ومنهجي في التحقيق

وقد سرت في كتابة هٰذه الرسالة على الخطة التالية:

قسمت الرسالة إلى قسمين رئيسيين:

الأول: قسم الدراسة.

الثاني: قسم التحقيق.

أما قسم الدراسة؛ فإنه يتكون من مقدمة وثلاثة أبواب.

أما المقدمة؛ فهي هٰذه التي بين أيدينا، وقد بينت فيها ما واجهته العقيدة الإسلامية من التحديات من قبل أعدائها ودفاع السنة عنها عبر العصور، كما بينت فيها أهمية موضوع الرسالة، وأسباب اختياري له، وخطتي في الدراسة.

أما الباب الأول؛ فهو عن حياة ابن بطة، ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: عن عصره سياسيّاً، واجتماعياً، وثقافياً، ودينيّاً.

والفصل الثاني: فهو عن نشأته وأطوار حياته، ويشتمل على بيان اسمه، ونسبه، وكنيته، ونسبته، وموطنه، وأسرته، ومولده، ورحلته، وعزلته، ومجلسه للتدريس والتحديث، وعبادته، وتقواه، ووفاته، ورثاء الناس له.

والفصل الثالث: عن شيوخه وتلامذته، وقد ترجمت فيه لأهم هٰؤلاء

الشيوخ والتلاميذ.

والفصل الرابع: عن ثقافته ومؤلفاته، حدثت فيه عن ثقافته ومؤلفاته في العقيدة والحديث والفقه.

الفصل الخامس: في الدفاع عن ابن بطة، ويتضمن بيان الشبهات التي أثارها الخطيب وغيره حول رواية ابن بطة للحديث والدفاع عنه.

أما الباب الثاني؛ فإنه في التعريف بكتاب «الإبانة الكبرى» الذي نقوم بتحقيق قسم منه في هذه الرسالة، ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: في تحقيق اسمه، وتوثيق نسبته إلى مؤلفه، وبيان موضوعه، وأقسامه، وسبب تأليفه، ومصادره، وقيمته بين الكتب السلفية.

الفصل الثاني: في وصف المخطوطة بجميع نسخها وبيان منهجي في تحقيقها، ويتلخص هذا المنهج في تحقيق النص بعد مقابلة النسخ، وتخريج الأحاديث، وذكر مواضع الأحاديث في مصادرها الأصلية، وتخريج[1] الآثار المروية في الكتاب، والتعليق على المواضع العلمية التي ذكر المؤلف فيها رأيه، وشرح الكلمات الغريبة وبيان معانيها، وذكر مواضع الآيات وأرقامها من السور القرآنية واستكمال ما ذكر منها ناقصاً، وإثبات ذلك في هامش التحقيق.

أما الباب الثالث؛ فموضوعه الدراسة التحليلية لموضوعات الكتاب. . . ويشتمل على تمهيد وعشرة فصول.

التمهيد: في التعريف بالقدر والقدرية.

الفصل الأول: في وجوب الإيمان بالقدر.

الفصل الثاني: في أزلية القدر.

---

(١) المقصود بتخريج الأحاديث الحكم على الأحاديث بالصحة أو الضعف.

والفصل الثالث: في شمول القدر الإلٰهي لجميع أفعال العباد وضرورة تحققه.

والفصل الرابع: في أزلية العلم الإلٰهي بأهل الجنة والنار وتعيينهم والحكم عليهم بذٰلك.

والفصل الخامس: في تقدير الهداية والإضلال.

والفصل السادس: في ختم الله وطبعه على قلوب الضالين من عباده.

والفصل السابع: في تبعية المشيئة الإنسانية للمشيئة الإلٰهية.

والفصل الثامن: إيمان الصحابة ومن بعدهم من السلف بالقدر.

والفصل التاسع: في الرد على القدرية وحكمهم وجزائهم.

والفصل العاشر: في النهي عن البحث في القدر.

وبهٰذا الفصل ينتهي القسم الأول وهو قسم الدراسة.

أما القسم الثاني ـ وهو قسم التحقيق ـ؛ فيتضمن كما ذكرنا من قبل تحقيق الأجزاء الأربعة الأولى من المجلد الثاني من كتاب «الإبانة الكبرى»، وتشتمل هٰذه الأجزاء الأربعة على (٢٤) باباً، يتناول كل باب منها موضوعاً من موضوعات القدر، وقد تضمنت الدراسة التحليلية التي سنقوم بها لهٰذه الأجزاء عناوين هٰذه الأبواب وكذٰلك تضمنتها فهارس الرسالة، الأمر الذي يجعل ذكرها هنا تطويلاً لا مبرر له.

وقد أنهيت الرسالة بفهارس متعددة: للآيات الكريمة التي اشتملت عليها المخطوطة في موضوع القدر مرتبة على حروف المعجم، وكذٰلك الأحاديث الشريفة، والآثار، والأعلام، والمصادر والمراجع، والمحتويات.

وإذا كان لي من كلمة أختم بها هٰذه العرض المقدمة؛ فهي التوجه إلى

الله عز وجل بخالص شكري وامتناني على عونه لي حتى أتممت دراستي هٰذه على هٰذا الوجه، وإني لأسأله عز وجل أن يقبل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقني من التوفيق بقدر ما بذلت فيه من الجهد كما تقدم؛ إنه نعم المولى ونعم النصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عثمان عبد الله آدم

في ٢٢ / رمضان / ١٤٠٦هـ

قسم الدراسة

الباب الأول

حياة ابن بطة

ويشتمل على الفصول التالية:

= **الفصل الأول: عصره:**

- الأحوال السياسية.
- الأحوال الاجتماعية.
- الأحوال العلمية.
- الأحوال الدينية.
- ابن بطة في عصره.

= **الفصل الثاني: نشأته وأطوار حياته:**

- اسمه ونسبه.
- كنيته ونسبته.
- موطنه.
- أسرته.
- مولده ونشأته الأولى.
- رحلته العلمية.
- عزلته.

- مجلسه للتدريس والتحديث.
- عبادته وتقواه.
- وفاته ورثاء الناس له.

= **الفصل الثالث: شيوخه وتلاميذه.**
- شيوخه.
- تلاميذه.

= **الفصل الرابع: ثقافته ومؤلفاته.**
- ثقافته ومؤلفاته في العقيدة.
- ثقافته ومؤلفاته في الحديث.
- ثقافته ومؤلفاته في الفقه.

= **الفصل الخامس: الدفاع عن ابن بطة.**
- الشبهة الأولى.
- الشبهة الثانية.
- الشبهة الثالثة.
- الشبهة الرابعة.
- الشبهة الخامسة.
- الشبهة السادسة.
- تعليقنا على الشبهات.

الفصل الأول

عصر ابن بطة من سنة ٣٠٤ - ٣٨٧ هـ

● الأحوال السياسية :

ولد ابن بطة رحمه الله تعالى ونشأ وتوفي في خلافة بني العباس، وعاش ما بين سنتي أربع وثلاث مئة وسبع وثمانين وثلاث مئة، وتعتبر هٰذه الفترة فترة ضعف الدولة العباسية وانقسام الخلافة الإسلامية إلى دويلات متعددة استقلت عن بغداد شيئاً فشيئاً، وأخذ يخشى ولاتها وأمراؤها بعضهم بأس بعض ويضرب بعضهم بعضاً؛ (حتى) صارت المملكة الإسلامية (الموحدة) عبارة عن دويلات متعددة مستقلة، علاقة بعضها ببعض علاقة محالفة أحيانًا وعداء غالباً، وأصبح لكل دولة أميرها وجندها وإدارتها وقضاؤها وسكنها، وإن اعترف بعضها بالخليفة في بغداد حيناً من الزمن؛ فاعتراف ظاهري ليس له أثر عملي، وسودت صحف التاريخ بالقتال المستمر بين هٰذه الدول، وشغلوا بقتال بعضهم عن قتال عدوهم، ومن أجل هٰذا؛ طمع فيهم الروم؛ يغزونهم في كل حين، ويستولون على بلادهم شيئاً فشيئاً. . . فلم تعد المملكة الإسلامية مرعية الجانب كما كانت أيام وحدتها في العصر العباسي الأول.

ففي سنة (٣٢٤هـ) وما بعدها؛ كانت البصرة في يد (ابن رائق)(١)، وفارس في يد (علي بن بويه)، وأصبهان والري والجبل في يد أبي الحسن بن بويه،

(١) وهو محمد بن رائق؛ كما في «شذرات الذهب» (٢ / ٣٠٥).

والموصل وديار بكر وربيعة في أيدي بني حمدان، ومصر والشام في يد الأخشديين، وإفريقيا والمغرب في يد الفاطميين، والأندلس في يد عبد الرحمٰن ابن محمد الملقب بالناصر الأموي، وخراسان وما وراء النهر في يد السامانيين، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، وخوزستان بيد البريدي، والبحرين واليمامة وهجر بيد القرامطة، ولم يبق للخليفة العباسي إلا بغداد وما حولها، وحتى هٰذه؛ لم يكن له فيه إلا الاسم[1].

كان هٰذا بالإضافة إلى ما يحدث للخلفاء من القتل والعزل ومصادرة أموالهم دون مبرر ولا حجة، وذلك من قبل الحاشية التركية الذين جلبهم الخليفة العباسي المعتصم من بلاد التركستان وما وراء النهر، وأسس لهم مدينة تسمى سامراء حتى تمكنوا بعد ذٰلك من الاستيلاء على مقاليد الحكم في دولة بني العباس، وذلك في الفترة التي يسميها المؤرخون عصر نفوذ الحاشية التركية وضعف الخلافة العباسية ابتداء من سنة (٢٣٢هـ) حتى (٣٣٤هـ)، حيث بدأ فيها نفوذ دولة بني العباس يتراجع إلى الوراء؛ حتى قتلوا الكثير من الخلفاء وعذبوهم، فلم يمت من خلفاء هٰذه الفترة موتة عادية إلا القليل منهم، والباقون قتلوا أو خلعوا[2] بعد أن كانت هٰذه الدولة ذات منعة وقوة وسيادة في مرحلتها الأولى[3]، وقد تولى الحكم في هٰذه الفترة (فترة نفوذ الحاشية التركية) اثنا عشر

---

(١) «البداية والنهاية» (١١ / ١٨٤)، و«شذرات الذهب» (٢ / ٣٠٥)، «تاريخ الخلفاء» (٣٦٢)، «ظهر الإسلام» (١ / ٩٠ ـ ٩١)، «تاريخ الإسلام» (٣ / ٢٤٧، ٢٤٩)، و«التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر (٦ / ٢١ ـ ٢٦ ـ ٤٩ ـ ٥١)، «تاريخ الإسلام» (٣ / د، هـ)، «ظهر الإسلام» (٢ / ١ ـ ٢، ١ / ٩٠ ـ ٩١، ٣ / ٢).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٣ / ١ ـ ٢ و٢٤٥ ـ ٢٥١)، و«التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر (٦ / ١٢ ـ ١٤ ـ ١٥، ٤٩ ـ ٥١)، «ظهر الإسلام» (١ / ٣ ـ ٨، ٣ / ٢).

(٣) تبدأ هٰذه الفترة من سنة (١٣٢ ـ ٢٣٢هـ)، وهي المرحلة التي يسميها المؤرخون العصر الذهبي لدولة بني العباس، وقد تولى الحكم فيها ثمانية من الخلفاء، وهم على التوالي: =

خليفة من خلفاء العباسيين؛ أولهم المتوكل، وآخرهم المستكفي[1].

بلى، ذٰلك عصر نفوذ البويهيين والديالمة ابتداء من سنة (٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ)، وقد تولى الحكم فيها أربعة من خلفاء بني العباس؛ أولهم المطيع، وآخرهم القائم، وكان السلطان الفعلي في هٰذه المدة بيد أمة ديلمية فارسية شيعية هي دولة بني بويه، كانوا يعاملون الخلفاء معاملة العناصر التركية لهم؛ فلا يحترمون نظام الخلافة، بل يتعدون على شخصية الخلفاء أنفسهم بالخلع والعزل عن الخلافة حيناً، والقتل ومصادرة أموالهم حيناً آخر[2].

وقد تقدم أن قلنا أن من بين الدويلات التي نشأت في هٰذه الفترة التي عاش فيها الإمام ابن بطة؛ الدولة الفاطمية، وقد نشأت هٰذه الدولة أول ما نشأت في المغرب الأقصى سنة ٢٩٦هـ؛ فخرج المغرب من حكم بني العباس من ذٰلك التاريخ، ثم مد الفاطميون نفوذهم إلى كل من مصر والشام واليمن وشمال إفريقيا، واستمر ذٰلك حتى سنة (٥٦٧هـ) إلى خلافة العاضد لدين الله آخر خلفاء الفاطميين، وكانت قد قطعت الخطبة لبني العباس من ديار مصر سنة (٣٥٩هـ) في خلافة المطيع العباسي حين تغلب الفاطميون على مصر أيام

= ١ ـ السفاح. ٢ ـ المنصور. ٣ ـ المهدي. ٤ ـ الهادي. ٥ ـ الرشيد. ٦ ـ المأمون. ٧ ـ المعتصم. ٨ ـ الواثق، وكانت شخصية الخلفاء في هٰذه الفترة قوية، وهيبة الخلافة واضحة؛ كما يحدثنا علماء التاريخ عن الفتوحات في عهد هٰؤلاء الخلفاء.

انظر الفتوحات في عهدهم في كتاب «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر (٥ / ٩٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٤٢، ١٧٠، ١٧٢، ١٥٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٤، ٦ / ١٢).

(١) انظر: «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر (٦ / ٤٣، ٥٢، ٤٢، ٤٩)، و«تاريخ الإسلام» للدكتور / حسن إبراهيم (٣ / ١، ٢٤٥).

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام» (٣ / ٢٤٧ ـ ٢٥١)، وانظر: «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر (٦ / ١٤ ـ ١٥، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٣).

المعز الفاطمي[1].

وكـان لهٰذا التفكك الداخلي أثره السيء حيث أدى إلى إضعاف شوكة المسلمين عن مقـاومـة أعـدائهم في الخارج؛ فبدأ العدو يشن الغارات على البلدان الإسلامية المتاخمة له كما وقع ذٰلك في سنة (٣١٤هـ) عندما كتب ملك الروم وهو الدمستق ـ لعنه الله ـ إلى أهل السواحل أن يحملوا إليه الخراج؛ فأبوا عليه، فركب إليهم في جنـوده في أول هٰذه السنة، فعاث في الأرض فساداً، ودخل ملطية؛ فقتل من أهلها خلقاً، وأسر، وأقام بها ستة عشر يوماً، وجاء أهلها إلى بغداد يستنجدون الخليفة عليه[2].

وفي سنـة (٣١٥هـ)؛ دخلت الـروم شميسـاط وأخذوا جميع ما فيها، ونصبوا فيها خيمة الملك، وضربوا الناقوس في الجامع بها[3].

وفي سنة (٣٢٢هـ)؛ قصد ملك الروم ملطية في خمسين ألفاً فحاصرهم، ثم أعطاهم الأمان حتى تمكن منهم؛ فقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر ما لا يحصون كثرة[4].

وفي سنة (٣٣٠هـ)؛ تمكن العدو من الروم من سبي خمسة عشر ألفاً من المسلمين، وقتل كثيراً منهم بمقربة من حلب[5].

وفي سنـــة (٣٣٢هـ)؛ أقبلت طائفـة من الـروم في البحـر إلى نواحي أذربيجان، قصدوا برعة فحاصروها، فلما ظفروا بأهلها؛ قتلوهم عن آخرهم، وغنموا أموالهم، وسبوا من استحسنوا من نسائهم، ثم مالوا إلى المراغة فوجدوا

(١) «البداية والنهاية» (١١ / ١٨٠، ١٢ / ٢٦٤)، «تاريخ الخلفاء» (٤٨٢).

(٢) «البداية والنهاية» (١١ / ١٥٣).

(٣) «البداية والنهاية» (١١ / ١٥٤ ـ ١٥٥).

(٤) «البداية والنهاية» (١١ / ١٧٧).

(٥) «البداية والنهاية» (١١ / ٢٠٣).

بها ثماراً كثيرة، فأكلوا منها، فأصابهم وباء شديد؛ فمات أكثرهم، وفي هٰذه السنة بالذات جاء الدمستق ملك الروم إلى رأس العين في ثمانين ألفاً فدخلها، ونهب ما فيها، وقتل، وسبى منهم نحواً من خمسة عشر ألفاً، وقام بها ثلاثة أيام قصدته الأعراب من كل وجه؛ فقاتلوه قتالاً عظيماً حتى انجلى عنها[1].

وهٰكذا في كل سنة تتوالى الغارات على البلدان الإسلامية نتيجة انشغال المسلمين عن مجاهدة أعدائهم بقتل بعضهم بعضاً ونهب بعضهم أموال البعض الآخر، ومع هٰذا الضعف والتفرق الذي وصلت إليه الدول الإسلامية المختلفة؛ بقيت بعض الدول الإسلامية ذات قوة ومنعة ترد على العدوان، وتقوم بغارات متتالية دفاعاً عن المقدسات الإسلامية؛ كما وقع لسيف الدولة بن حمدان الذي كان يهاجم الروم في عقر دارهم حيناً ويهاجمونه حيناً آخر، حتى قيل أنه غزا بلادهم المجاورة لبلاده أربعين غزوة؛ انتصر في بعضها، وانتصروا عليه في بعض آخر[2].

وكذٰلك الحال في الخلفاء الأمويين في الأندلس؛ فإنهم كانوا أقوياء أمام الصليبيين النصارى في سد غاراتهم، وردهم على أعقابهم خاسرين، ولا سيما في عهد المستنصر بالله بن عبد الرحمٰن الناصر الخليفة الأموي في الأندلس في ذٰلك الحين، وهو من أقوى الخلفاء في رد عدوان النصارى الصليبيين عن بلاد المسلمين في ذٰلك الوقت[3].

(١) «البداية والنهاية» (١١ / ٢٠٨).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (١١ / ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٠٣، ٢٢٣)، «تاريخ الإسلام» للدكتور حسن إبراهيم حسن (٣ / ١٢١ - ١٢٢)، «تاريخ الإسلام» لمحمود شاكر (٦ / ١٥٩ - ١٦١).

(٣) «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر (٦ / ١٦٨ - ١٦٩)، و«تاريخ الإسلام» (٣ / ٢٥٣ - ٢٥٤).

وممـا يدل على بقـاء المنعة والقوة في بعض الدول الإسلامية في هٰذه الفترة؛ ما حكاه لنا الأستاذ محمود شاكر في كتابه «التاريخ الإسلامي» أنه جاءت أعـداد كبيرة من الـروم والفـرنجة عام (**٣٥٣هـ**) ويزيد عددهم على مئة ألف يريدون صقلية؛ فقاتلهم المسلمون وانتصروا عليهم، ففروا بعد أن فقدوا الكثير منهم، فلاحقهم المسلمـون في المراكب؛ فأغرقوا عدداً من سفنهم، وأسروا عدد آخر ممن فر(١).

● الأحوال الاجتماعية:

ولا شك أن الحالة الاجتماعية تتأثر دائماً بالأحوال السياسية وتابعة لها في الضعف والقوة، فإذا كانت دولة ما تتمتع بالقوة والعدالة والأمن والاستقرار؛ كان ذٰلك سبباً في سعادة الرعية وطمأنينة المجتمع.

أمـا إذا كان الـوضـع السياسي ضعيفـاً أو فاسـداً؛ فلا شك أن الحالة الاجتماعية تتأثر بذٰلك، وهٰذا ما حصل فعلاً في القرن الرابع الهجري، حيث يحـدثنـا غير واحد من علماء التاريخ أن الحالة الاجتماعية في القرن الثالث والـرابـع الهجـريين كانت سيئـة للغـاية وفي آخر درجات الهبوط؛ حيث ساد المجتمع الإسلامي آن ذاك الفوضى من النهب، والقتل، والإرهاب، ومصادرة الأموال، والتشريد نتيجة ضعف الخلافة العباسية وتفرق الدولة الإسلامية إلى دويلات مختلفة مع القتال المستمر فيما بينها على النحو الذي تقدم بيانه، كما كثر القحط، والجدب، والسيول الكثيرة التي أدت إلى الدمار والهلاك والهدم والخـراب، وارتفعت الأسعار، وغلت المهور، وكثر حدوث الحرائق العظمى وانتشـار الجراد الذي أكل الأخضر واليابس، وكثرت الزلازل والأوبئة، واشتد ظلم الناس بعضهم البعض؛ كل هٰذا مما ألحق بالمجتمع الأضرار البالغة من الفقر المدقع، والبؤس الشديد، والخوف، وعدم الأمن على الأموال والأنفس،

(١) «التاريخ الإسلامي» (٦ / ١٦٨).

ولا سيما وقد كانت هٰذه الأحداث تتكرر يوماً بعد يوم ومن حين لآخر[1].

وأما مظاهر القتل والنهب والإرهاب ومصادرة الأموال؛ فقد كانت منتشرة على الصعيدين الداخلي والخارجي، فعدو الإسلام عندما يستولي على البلدان الإسلامية المتاخمة له يسرف في القتل ونهب أموال المسلمين على النحو الذي تقدم بيانه، كما يقع ذٰلك في الدويلات الإسلامية أنفسهم نتيجة للخلاف المستمر فيما بينها، وكان هٰذا يقع كثيراً من الأتراك والبويهيين والديالمة الذين كانوا يقتلوا من شاؤوا من الرعية والخلفاء، وينهبون أموال الجميع على حد سواء.

ومن ناحية أخرى؛ شاع في هٰذا العصر ظهور اللصوص الذين كانوا يسمون الشطار، كانوا يقطعون الطريق على الناس، ويفرضون ضرائب معينة على البيوت، من لم يدفعها؛ هوجم وأخذ ماله[2]، وكذٰلك ظهر القرامطة الذين ألحقوا بالمجتمع في ذٰلك الحين أضراراً بالغة نهباً وقتلاً وفساداً في الأرض حتى وصلوا إلى بيت الله الحرام؛ فانتهكوا حرمات الأراضي المقدسة، فنهبوا الأموال، وقتلوا من الحجيج خلقاً كثيراً؛ في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام، وفي جوف الكعبة، وجلس أميرهم أبو طاهر القرمطي ـ لعنه الله ـ على باب الكعبة، والرجال تصرع حوله، والسيوف تعمل في الناس، في المسجد الحرام، في يوم التروية؛ فكان الناس يفرون منهم، فيتعلقون بأستار الكعبة المشرفة، فلا يجدي ذٰلك شيئاً، بل يقتلون وهم كذٰلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف، فلما قضى القرمطي ـ لعنه الله ـ أمره، وفعل ما فعل بالحجيج من

(١) انظر: «البداية» (٢ / ٢٠٠، ٢٢٩، ٢١٣، ٢٠١، ٣٠٥، ٣٠٦، ١٨٥، ٢٠٨)، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص ٣٨٨، ٣٧٠)، و«شذرات الذهب» (٢ / ٢٧٦، ٢٨٣، ٣٠٠، ٣٠٨).

(٢) «ظهر الإسلام» (٢ / ١٠ ـ ١١).

الأفاعيل القبيحة؛ أمر أن يدفن القتلى في بئر زمزم، ودفن كثير منهم في أماكنهم من الحرم في المسجد الحرام، دون أن يغسلوا، ولم يكفنوا ولم يصل عليهم، وهدم قبة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها عنها، وشققها بين أصحابه، ثم قلع الحجر الأسود، وأخذوه حين عادوا إلى بلادهم؛ فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة، حتى ردوه في سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون(١).

كان هٰذا نموذجاً مما يحدث في المجتمع من القتل والنهب والمصادرة والظلم، ومن الجدير بالذكر أن ما أصاب الشعب من الفقر والبؤس في هٰذه الفترة لم يكن شاملاً بجميع الطبقات، بل يختص ذٰلك بما عدا أصحاب المناصب والرتب(٢)، فإنهم كانوا في ترف؛ يعيشون في قصور تجري تحتها الأنهار، كان لهم خدم وظمان وجواري، ينفقون أموالاً كثيرة في حفلات الزواج والأعياد، وفي عهد الفاطميين؛ كان الترف أرقى وأكثر(٢).

قال الأستاذ أحمد أمين في كتابه «ظهر الإسلام» في بيان طبقات الناس:

«كان الناس في هٰذه القرون ثلاث طبقات متميزة: الطبقة الأولى طبقة الأرستقراطيين من خلفاء ووزراء وتجار وأشراف، والطبقة الوسطى من تجار متوسطين وملاك متوسطين ونحوهم، وطبقة فقيرة وهي عامة الشعب من صغار الفلاحين وصغار العمال والعلماء الذين بعدوا عن الخلفاء والأمراء، فأما الطبقة الأولى؛ فكان المال يتدفق عليهم وهم ينفقونه في إسراف هم ونساؤهم وأتباعهم.

وقد امتلأت بيوت هٰذه الطبقة بالجواري والغلمان من سود وبيض؛ حتى

---

(١) «البداية والنهاية» (١١ / ١٦٠ - ١٦١، ١٥٧).

(٢) انظر: «ظهر الإسلام» (١ / ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ٢ / ٧، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ٩٨، ٩٧، ٩٨، ١٠٠).

قالوا أنه بلغ خدم المقتدر أحد عشر ألفاً خصى من الروم والسودان إلى غير ذٰلك من القصور الفسيحة والغرف العديدة، ثم كان هٰذا الترف يستتبع عدداً كثيراً من المغنين والمغنيات، تصرف عليهم الأموال الكثيرة، زد على ذٰلك كثرة النفقة على العمال وعلى القضاة والكتاب»[1].

ويقول ابن المعتز في وصف قصر للخليفة المعتضد اسمها «الثريا»:

حَلَلْتَ الـثُّـرَيَّا خَيْرَ دَارٍ وَمَـنْـزِلِ ... فَلاَ زَالَ مَعْمُـوراً وَبُورِكْتَ مِنْ قَصْرِ
فَلَيْسَ لَهُ فِيمـا بَنَى النَّـاسُ مُشْبِـهٌ ... وَلاَ مَا بَنَـاهُ الجِنُّ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
جِنَـانٌ وأَشْجَـارٌ تَلاقَتْ غُصُـونُهَـا ... فَأَوْرَقْنَ بالأثْمَـارِ وَالْـوَرَقِ الخَضِـرِ
تَرَى الـطَّيْرَ فِي أَغْصَـانِهِنَّ هَوَاتِفـا ... تَنَـقَّـلُ مِنْ وَكْـرٍ لَهُنَّ إِلَـى وَكْـرِ
وَبُـنْيَانُ قَصْـرٍ قَدْ عَلَتْ شُرُفَـاتُـهُ ... كَصَـفِّ نِسَـاءٍ قَدْ تَرَبَّعْنَ فِي الأُزْرِ
وأَنْهَـارُ مَاءٍ كَالسَّـلاَسِـلِ فُجِّـرَتْ ... لِتُـرْضِـعَ أَوْلاَدَ الـرَّيَاحِينِ والـزَّهْـرِ
وَمَيْدَانُ وَحْشٍ تَرْكُضُ الخَيْلُ وَسْطَهُ ... فَيُؤْخَـذُ مِنْهـا مَا يَشَـاءُ عَلَى قَدْرِ
عَطَايا إِلَـهٍ مُنْـعِـمٍ كَانَ عَالِـمـاً ... بِأَنَّـكَ أَوْفَى النَّـاسِ فِيهِنَّ بِالشُّكْـرِ

واشتهـر من القصور كذٰلك قصر يسمى التاج، ابتدأ في بنائه المعتضد أيضاً ثم عدل عنه وبنى الثريا، فلما تولى ابنه المتكفي؛ أتم بناء التاج، وكل من القصرين التاج والثريا كان في الجانب الشرقي من بغداد[2].

وحيثما نظرنا إلى كل قطر من أقطار العالم الإسلامي في ذٰلك العصر؛ رأينـا الثـروة غير موزعة توزيعاً عادلاً ولا متقارباً، ورأينا الحدود بين الطبقات واضحة كل الوضوح؛ فجنة ونار، ونعيم مفرط وبؤس مفرط، وإمعان في الترف يقابله فقدان القوت، وهٰذا الترف والنعيم حظ عدد قليل هم الخلفاء والأمراء ومن يلوذ بهم من الأدباء والعلماء وبعض التجار، ثم البؤس والشقاء والفقر لأكثر

---

(١) «ظهر الإسلام» (٢ / ١٢ ـ ١٣).

(٢) «ظهر الإسلام» (١ / ٩٨ ـ ٩٩).

النـاس، وحتى غنى الأغنياء في كثير من الأحيان ليس محصنـاً بالأمان؛ فهو عرضة لغضب الأقران أو غضب ذي السلطان الأعلى؛ فيصادرون في أموالهم ويصبح حالهم أشد بؤساً من فقير نشأ في الفقر(١).

الأحوال العلمية:

كانت المملكة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أعلى شأناً في العلم والثقافة من القرون التي كانت قبلها، ولئن كانت الثمار السياسية قد تساقطت في القرن الرابع؛ فالثمار العلمية قد نضجت فيه، ويرجع ذٰلك إلى عدة أسباب منها أن علماء هٰذا العصر أخذوا ما نقله المترجمون قبلهم؛ فشرحوه وهضموه، وأخـذوا النظريات المبعثرة؛ فرتبوها، وورثوا ثروة من قبلهم في كل فروع من فروع العلم فاستغلوها(٢).

ومنها أن الإمارات الإسلامية المختلفة كانت تتبارى في تجميل موطنها بالعلماء والأدباء وتتفاخر بهم، وهٰذا أكسبهم التحبب إلى العلماء والإغداق عليهم(٣).

ومنهـا أن انفصال هٰذه الإمارات عن الدولة العباسية جعلها مستقلة في مالها، لا ترسله إلى بغداد بل تغدقه على أهلها، والعلم دائماً متأثر بالمال؛ فهٰذا جعل كثيراً من العلماء ينعمون في ظل هٰذا الاستقلال أكثر مما كانوا ينعمون في ظل الوحدة، فقد كان الشاعر مثلاً لا يظهر اسمه إلا إذا رحل إلى بغداد؛ فصار يلمع اسمه في بلده، أو على العموم خارج بغداد كالمتنبي ونحوه، بل كان علماء بغداد أنفسهم يرحلون إلى مصر وغيرها؛ كما فعل عبد الوهاب المالكي، وكما

---

(١) «ظهر الإسلام» (١ / ٩٧ ـ ٩٨ و٢ / ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١١).

(٢) «ظهر الإسلام» (١ / ٩٧ و٢ / ٢).

(٣) «ظهر الإسلام» (٢ / ٢).

فعل أبو نواس وأبو تمام[1].

ومنها أن جميع الولايات الإسلامية المختلفة في ذٰلك الحين قد فتحت أبوابها للعلم والعلماء؛ فشجعت الحركة العلمية بمختلف فنونها؛ من علم الحديث، والفقه، والأدب، واللغة، والطب، والرياضيات، والجغرافية، وعلم الكلام، والفلسفة، والتصوف وغير ذٰلك من الثقافات المختلفة النافعة منها والضارة، التي وجدت في ذٰلك العصر حتى كانت جميع الولايات الإسلامية رغم اختلافها السياسي على النحو الذي تقدم بيانه؛ تعتبر كدولة واحدة ووطن موحد بالنسبة للعلم والعلماء[2]، فيرحل العلماء لطلب العلم في البلدان الإسلامية المختلفة، وينتقلون من بلد إلى بلد بكل سهولة ويسر، ولا يجدون أمامهم أي صعوبة تعوقهم عن الرحلة لطلب العلم؛ فالمحدثون والمؤرخون وغيرهم من رواد العلوم يرتحلون إلى الشام واليمن ومصر وخراسان وسمرقند وما وراء النهر، وإلى الأندلس والمغرب الأقصى، ثم يرجع كل واحد منهم إلى بلده وقد نبغ في علم من العلوم النافعة، فيتصدى لنشر ما عنده من الثقافة فيما تخصص فيه من العلوم؛ فيستفيد منه خلق كثير من طلبة العلم في بلاده[3].

ومن أسباب نمو العلوم وازدهارها أيضاً في هٰذا القرن؛ المكتبات العامة والخاصة في جميع الولايات الإسلامية المختلفة التي يستفيد منها طلاب العلم، هٰذه المكتبات كانت مزودة بكل العلوم والفنون؛ من الحديث، والفقه، والتفسير، وعلم الكلام، واللغة، والفلسفة، والطب، والجغرافية، والتصوف والتشيع، كما هي مزودة أيضاً بالأدوات اللازمة من الحبر والأقلام والأوراق التي

---

(١) «ظهر الإسلام» (٢ / ٢)، «تاريخ الإسلام» (٣ / ٣٣٢ - ٣٣٣).

(٢) انظر: «ظهر الإسلام» (٢ / ١ - ٢ و٢ / ٢٦٤ - ٢٦٥، ٢٦٩ و٢ / ١٩١ - ١٩٩)، وكتاب «تاريخ الإسلام» (٣ / ٣٣٢ - ٣٣٣).

(٣) «تاريخ الإسلام» (٣ / ٣٣٩)، «ظهر الإسلام» (٢ / ١ - ٢).

يحتاج إليها طلاب العلم، والتي لا وجود لها في خلال القرون الماضية.

فعلى سبيل المثال؛ كان سيف الدولة في حلب يشجع العلم ووصائلها من المكتبات العامة المزودة بكل الفنون، وكذلك الأخشيديون والفاطميون في مصر والمغرب، والأمويون في الأندلس، والعباسيون في بغداد؛ هكذا كل واحد منهم يشجع العلم وأهله[1]، لهذا كله؛ أنتج القرن الرابع الهجري كثيراً من العلماء في كل علم مثل إبراهيم المروزي والقدوري وابن السريج وغيرهم في الفقه، وأبي علي الفارسي وابن دريد والنحاس وابن فارس وابن جني والزجاج وابن درستويه وابن السراج في النحو واللغة، والمتنبي وأبي فراس والناشىء والنامي وابن حجاج وابن سكرة وابن طباطبا والخالديين في الشعر، وأبي هلال الصابي والخوارزمي وجحظة البرمكي وبديع الزمان الهمذاني وعلي بن عبد العزيز الجرجاني في الأدب، والطبري وابن زولاق والشابشتي والمسبحي في التاريخ، وابن خبزاية والاصطخري وغيرهما في الجغرافية، وابن مقلة في الخط، والجبائي وأبي الحسن الأشعري والكعبي والبلخي في علم الكلام، وابن نباتة في الخطابة؛ فكل هؤلاء نشطت حركتهم وكثر علمهم وأدبهم مما لا أظن أن عصراً من العصور أخرج مثلهم[2].

وأظهر الحركات العلمية في القرن الثالث والرابع الهجريين؛ حركة العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وقراءات، وكان رجالها أنشط العلماء وأميلهم إلى الرحلة للإفادة والاستفادة للوازع الديني القوي عندهم، فكان يرد على مصر والشام كثيرون من العلماء الدينيين من العراق وفارس والحجاز والمغرب؛ فينشرون علمهم، ويأخذون ما ليس عندهم، كما كان المصريون والشاميون

---

(١) انظر أشهر المكتبات العامة والخاصة الموجودة في ذلك الحين كتاب «ظهر الإسلام» (٢ / ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٣)، وكتاب «تاريخ الإسلام» (٣ / ٣٣٤ - ٣٣٨).

(٢) «ظهر الإسلام» (٢ / ٢٦٩).

يرحلون إلى الأقطار الأخرى لأخذ العلم من علمائها[1].

ومن أشهر المحدثين الذين أخرجهم القرن الثالث الهجري من الأئمة؛ الإمام أحمد بن حنبل الشيباني الحجة الحافظ بالإجماع، والإمامان البخاري ومسلم جامعا «الصحيحين» الذين تلقتهما الأمة بالقبول، وأصحاب السنن الأربعة أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه، وأما مشاهير المحدثين في القرن الرابع الهجري الذي نحن نؤرخ له؛ فإنهم كثيرون سيأتي ذكرهم عند الحديث عن الأحوال الدينية في الفقرة التالية.

ونستنتج مما تقدم أن العلم والسياسة لا يتمشيان جنباً إلى جنب بحيث يرتقي أحدهما بارتقاء الآخر، بل قد يكون على العكس؛ قد يكون الضعف السياسي متمشياً مع زهو العلم، وهذا يسلمنا إلى أن القول بتقسيم تاريخ المملكة الإسلامية إلى عصور يجعل لكل عصر مميزات من قوة أو ضعف لا ينطبق تمام الانطباق على الحياة العلمية، فقد تنتهي دولة ما سياسيّاً وتبدأ دولة جديدة على حين أن الحياة العلمية مستمرة لم تنته ولم تذبل، فالتقسيم التاريخي إلى عصور القوة والضعف لا ينطبق إلا على الجانب السياسي؛ دون أن يكون هناك ارتباط بين هذا الجانب والجانب العلمي[2].

● الأحوال الدينية في القرن الرابع الهجري:

سبق أن قلنا أن الذين كانت في أيديهم السلطة الفعلية في القرن الرابع الهجري الذي هو قرن الإمام ابن بطة هم الأتراك والبويهيون والديالمة والفاطميون والقرامطة وغيرهم ممن تقدم ذكرهم، وكل من هذه الطوائف عدا الطائفة التركية والخلفاء العباسيين والأمويين في الأندلس كانوا على عقيدة

---

(١) «ظهر الإسلام» (١ / ١٦١).

(٢) «ظهر الإسلام» (٢ / ٢ - ٣ و١ / ٩٥ - ٩٦)، وكتاب «تاريخ الإسلام» (٣ / ٣٣٢ - ٣٣٣).

الشيعة، كلٍ واحدة منها تسعى لنشر عقيدة التشيع وبث المنكرات والبدع المخالفة للكتاب والسنة عقيدة وأخلاقاً، ففي عهدهم؛ كثر أهل الفساد، وقل عندهم الصالحون من العلماء[1].

ومن أشنع المبتدعات التي أحدثتها الشيعة في هٰذا القرن؛ سب الصحابة الكرام علناً، بما في ذٰلك الشيخان أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم جميعاً، ولا يحترم هٰؤلاء الطوائف من الشيعة سوى أئمة آل البيت من نسل علي رضي الله عنه، وهٰؤلاء الأئمة بريئون منهم؛ لأن تقديرهم لهم كان خارجاً عن حدود الشريعة الإسلامية؛ حيث بلغ بهم الغلو فيهم إلى حد التقديس والتأليه، أو اعتقاد أنهم بمنزلة الأنبياء المعصومين كما يحدثنا عن ذٰلك غير واحد من علماء التاريخ والفرق والأديان[2].

وكما هو الحال في الشيعة حتى يومنا هٰذا، وهٰذا الخلاف بين أهل السنة والشيعة وبين بقية الفرق الأخرى من الجهمية والمعتزلة والقدرية والجبرية؛ جعل البلاد الإسلامية في ذٰلك العصر ناراً مشتعلة، فكل يوم يسمع هياج من السنيين لأن شيعيّاً سب الصحابة، ويسمع هياج آخر من قبل الشيعة لأن أحداً مس عليّاً أو أحد الأئمة؛ حتى أن بعض العلماء الكبار من علماء بغداد السنِّيينَ حرم على نفسه المشي بالكوخ؛ لأنه كان يسمع فيها سب الصحابة، وعاقب

(١) «البداية والنهاية» (١٢ / ٢٦٧)، و«التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر (٦ / ٣٢ - ٣٣).

(٢) انظر عقائد الشيعة كتاب «لوامع الأنوار» للسفاريني (ص ٨٠ - ٨٦)، و«تاريخ المذاهب الإسلامية» لأبي زهرة (١ / ٤١ - ٤٧)، «ضحى الإسلام» (٣ / ٢١٢ - ٢٢٢)، «مقالات الإسلاميين» لأبي موسى الأشعري (١ / ٩ - ١٧)، وكتاب «الشيعة والسنة» تأليف إحسان الهي ظهير (١ / ٦٥ - ٧٦)، وكتاب «الحركات الباطنية في العالم الإسلامي» (ص ١٠٠ - ١٠٦)، و«ظهر الإسلام» (١ / ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨).

أحد الفاطميِّينَ رجلاً أشد عقوبة لأنه وجد عنده كتاب «الموطأ» للإمام مالك[1].

وفي عهد الفاطميين؛ أبطلت صلاة التراويح من جميع مساجد مصر، وكانت تحدث فتنة ومصادمات بين المصريين السنيين والشيعة في المناسبات المختلفة، فقد روى أنهم قطعوا لسان من احتج على منع صلاة التراويح، وفي سنة **٣٩٣هـ**؛ عوقب رجل بدمشق وطيف به في المدينة ونادوا عليه: «هٰذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر»[2]، وكتبوا على أبواب المساجد لعنة معاوية، ولعنة من غصب فاطمة حقها، ولعنة من نفى أبا ذر رضي الله عنهم جميعاً؛ فمحته أهل السنة في الليل، فأمر معز الدولة بإعادته؛ فأشار الوزير المهلبي أن يكتب: «ألا لعنة الله على الظالمين ولعنة معاوية فقط»[3].

وقد أحدث هٰؤلاء الفاطميون كثيراً من الأعياد غير الإسلامية التي ليس لها أصل من الدين في شيء مثل عيد يوم عاشوراء، وهو يوم يجتمعون فيه على رأس كل سنة لأجل النوح وإظهار الحزن على حسين بن علي رضي الله عنهما، وفي هٰذا اليوم؛ تغلق الأسواق، وتعطل المعايش، وتدور النساء في الأسواق والأزقة حاسرات عن وجوههن، ناشرات شعورهن يلطمن وجوههن، ينحن على الحسين بن علي بن أبي طالب، ولم يمكن أهل السنة منع ذٰلك؛ لكثرة الشيعة

---

(١) «ظهر الإسلام» (٢ / ٦ و١ / ١٩٤ ـ ١٩٥).

(٢) «ظهر الإسلام» (١ / ١٩٤ ـ ١٩٥) نقلاً عن المقريزي في الخطط (٢ / ٣٤١).

(٣) «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٣ / ٧).

«غدير خم» موضع على ثلاثة أميال من الجحفة، وهو مجتمع ماء تصب فيه عين وحوله شجر كثير، وسبب الاحتفال به ما يرويه الشيعة عن البراء بن عازب؛ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر لنا بغدير خم نودي: الصلاة جامعة؛ فصلى الظهر، وأخذ بيد علي بن أبي طالب؛ فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، فقال: «من كنت مولاه؛ فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، وأول من اتخذه عيداً معز الدولة البويهي سنة (٣٥٢هـ)، ثم في مصر سنة (٣٦٢هـ).

وظهورهم وكون السلطان معهم.

وفي عشر ذي الحجة من سنة (**٣٥٢هـ**)؛ أمر معز الدولة ابن بويه بإظهار الزينة في بغداد، وأن تفتح الأسواق بالليل، وأن تضرب الدبادب والبوقات، وأن تشعل النيران في أبواب الأمراء وعند الشرط فرحاً بعيد الغدير خم؛ فكان وقتاً عجيباً مشهوداً، وبدعة متبعة ظاهرة منكرة[1].

ومن البدع التي أحدثتها الشيعة في هذا العصر القول بأن للشريعة ظاهراً وباطناً، ولكل تنزيل وتأويلاً، فإن الأئمة لهم حق تأويل النصوص لأن الإمام معصوم يتلقى التعليم من الله تعالى تلقائيّاً دون واسطة؛ فهو يختص بمعرفة أسرار النصوص وبواطن الشريعة على خلاف مدلولها الظاهري الذي يستوي في معرفته الإمام وغيره[2].

وفي عهدهم أحدثوا بدعة القول في الأذان «حي على خير العمل»، وأول ما أذن به في مصر، ثم أذن به في سائر المساجد[3]، وبقي حتى يومنا هذا في

---

(١) «البداية والنهاية» (١١ / ٢٣٤ ـ ٢٦٧، ٢٥٣ ـ ٢٥٤)، «شذرات الذهب» (٣ / ٢٦).

(٢) انظر أوصاف الأئمة عند الشيعة كتاب «ضحى الإسلام» (٣ / ٢١٣ ـ ٢٢٣)، وكتاب «الشيعة والسنة» تأليف الأستاذ إحسان إلهي ظهير (ص ٦٦ ـ ٧٦)، و«الحركات الباطنية في العالم الإسلامي» (ص ١٠٠ ـ ١٠٦)، كتاب «ظهر الإسلام» (١ / ٢٠٧).

والواقع أن ما يروى عن رسول الله ﷺ من الأحاديث في «غدير خم»؛ منه ما هو صحيح، ومنه ما هو مكذوب مختلق، أما الصحيح؛ فهو ما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه أوصى أمته بكتاب الله وآل بيت نبيه ﷺ، وأما المكذوب المختلق؛ فهو ما تدعيه الشيعة من أن الرسول ﷺ أوصى بالخلافة من بعده لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ونص على ذلك.

وقد بين بطلان ما روى في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة النبوية» (٢ / ٣٢٥)، وكتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٢٩٣)، والسفاريني في كتابه «لوامع الأنوار البهية» (ج ١، ص ٨٦)، وغيرهم من علماء الإسلام الذين كتبوا في هذا الموضوع.

(٣) «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٣ / ١٠٠).

الزيدية باليمن لأنها طائفة من الشيعة.

كان هٰذا نموذجاً من البدع التي أحدثتها الشيعة في هٰذه الفترة والتي هي شعار من شعائر الجاهلية، نشروها في العالم الإسلامي ولا تزال بقايا هٰذه البدع موجودة في العالم الإسلامي حتى يومنا هٰذا.

ومن مظاهر هٰذا العصر شيوع التعصبات المذهبية بين الفقهاء أصحاب المذاهب الأربعة من جهة، وبين الفقهاء والصوفية والشيعة من جهة أخرى، من ذٰلك ما حكاه ياقوت عند الكلام على أصبهان بعد أن ذكر مجدها القديم؛ فقال:

«وقد فشا فيها الخراب في هٰذا الوقت وقبله في نواحيها؛ لكثرة الفتن، والتعصب بين الشافعية والحنفية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت محلة نهبت محلة الأخرى وأحرقتها وخربتها، لا يأخذهم في ذٰلك إل ولا ذمة، ومع ذٰلك؛ فقل أن تدوم بها دولة سلطان أو يقيم بها فيصلح فاسدها، وكذٰلك الأمر في رساتيقها وقراها التي كل واحدة منها كالمدينة».

ويقول عند الكلام عن الري: «كان أهل المدينة ثلاث طوائف؛ شافعية وهم الأقل، وحنفية وهم الأكثر، وشيعة وهم السواد الأعظم؛ لأن أهل البلد كان نصفهم شيعة، وأما أهل الرستاق؛ فليس فيهم إلا شيعة وقليل من الحنيفة، ولم يكن فيهم من الشافعية أحد؛ فوقعت العصبية بين السنية والشيعة، فتظافر عليهم الحنفية والشافعية وتطاولت بينهم الحروب؛ حتى لم يتركوا من الشيعة من يعرف، فلما أفنوهم؛ وقعت العصبية بين الحنفية والشافعية، ووقعت حروب كان الظفر في جميعها للشافعية، هٰذا مع قلة عدد الشافعية، إلا أن الله نصرهم عليهم، وكان أهل الرستاق وهم حنفية يجيئون إلى البلد بالسلاح الشاك، ويساعدون أهل نحلتهم؛ فلم يغنهم ذٰلك شيئاً حتى أفنوهم»[1].

(١) «ظهر الإسلام» (١/ ٨٠-٨١) نقلاً عن «معجم البلدان» (٤/ ٢،٣٥٦/ ٤-٦).

ومما يحكى من ذٰلك أيضاً أنه لما توفي ابن جرير الطبري المؤرخ الكبير والمفسر دفن بداره ليلاً سرّاً؛ لأن العامة اجتمعت ومنعت دفنه نهاراً؛ لتألُّب الحنابلة عليه؛ إذ ألف كتاباً في اختلاف الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة، ولم يذكر فيه خلاف الحنابلة، فلما سئل عن أحمد بن حنبل؛ قال: «إنه محدث لا فقيه»[1].

ورغم هٰذه الاختلافات الكثيرة والنزاع الشديد بين الفرق المذكورة وبين أهل السنة على النحو الذي تقدم بيانه؛ فقد انتصر مذهب أهل السنة في القرن الرابع الهجري على الفرق المخالفة لمنهج الكتاب والسنة أكثر من ذي قبل، ومن عوامل انتصار مذهب أهل السنة في هٰذا القرن نبوغ كثير من علماء السنة الحفاظ منهم:

الدارقطني المحدث الكبير والناقد البصير، المتوفى سنة (٣٨٥هـ).

وابن أبي حاتم الإمام، الحافظ، الناقد، صاحب كتاب «الجرح والتعديل»، المتوفى سنة (٣٢٧هـ).

والحافظ العقيلي، صاحب كتاب «الضعفاء الكبير»، إمام المحدثين، المتوفى سنة (٣٢٢هـ).

والإمام الحاكم، صاحب «المستدرك»، الحافظ، الكبير، إمام المحدثين، المتوفى سنة (٤٠٥هـ).

وأبو زرعة، الحافظ، الإمام، الحجة، المتوفى سنة (٣٩٠هـ).

وأبو سليمان الخطاب، الإمام، العلامة، المتوفى سنة (٣٨٨هـ).

والبصير أبو العباس، أحمد بن محمد بن الحسين الرازي، الإمام،

---

(١) «ظهر الإسلام» (٢ / ٤ - ٥).

الحافظ، المتوفى سنة (٣٩٩هـ).

والأعمش، إمام الأئمة، الحافظ، الحجة، المتوفى سنة (٣٢١هـ).

والجويني، الإمام، الحافظ، أبو عمران، موسى بن عباس، المتوفى سنة (٣٢٣هـ).

والشاشي أبو سعيد الهيثم، الحافظ، المحدث، المتوفى سنة (٣٣٥هـ).

والقطان أبو الحسن، علي بن إبراهيم، محدث قزوين، المتوفى سنة (٣٤٥هـ).

والأردبيلي الحافظ، أبو حفص بن عمر الأردبيلي، المتوفى سنة (٣٣٩هـ).

والأصم الإمام، الثقة، محدث المشرق النيسابوري، المتوفى سنة (٣٤٦هـ).

والنجاد، الإمام، الحافظ، شيخ العلماء ببغداد، المتوفى سنة (٣٤٨هـ).

والحافظ الطبراني، الإمام، العلامة صاحب «المعجم الكبير» و «الصغير»، المتوفى سنة (٣٦٠هـ).

وابن حبان الحافظ أبو حاتم، محمد بن حبان، المتوفى سنة (٣٥٤هـ).

وابن عدي، الإمام، الحافظ الكبير، صاحب كتاب «الكامل في ضعفاء الرجال»، المتوفى سنة (٣٦٥هـ).

ومن أبرز علماء السنة وأشدهم غيرة على العقائد السلفية الذين عرفوا بالرد

على الفرق الضالة وشرح مذهب السلف في العقائد على ضوء أدلة من الكتاب والسنة:

الإمام الحافظ أبو بكر، محمد بن الحسين الآجري، مؤلف كتاب «الشريعة»، المتوفى سنة (٣٦٠هـ).

وابن منده، الإمام، الحافظ، محدث العصر، مؤلف كتاب «الإيمان»، المتوفى سنة (٣٩٥هـ).

والإمام المحدث ابن بطة، مؤلف كتاب «الإبانة» الذي نحن في صدد تحقيقه.

والإمام الطحاوي، الفقيه، السلفي، المتوفى سنة (٣٢١هـ).

والإمام أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، اللالكائي، مؤلف كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، المتوفى سنة (٤١٨هـ).

والإمام أبو الحسن الأشعري، المتوفى سنة (٣٢٤هـ) الذي ألف كثيراً في الرد على الملاحدة والزنادقة في عهده، وذلك بعد أن رجع عن مذهب المعتزلة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وأعلن عن تأييده لمذهب أهل السنة، ثم هاجم مذهب المعتزلة وناظر أئمتهم؛ حتى شيخه أبا علي الجبائي إمام المعتزلة في القرن الرابع الهجري.

قال أبو بكر الصيرفي: «كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري؛ فحجزهم في أقماع السمسم»[1].

وهكذا انقضى القرن الرابع الهجري وقد حقق الله النجاح والانتصار

---

(١) «تاريخ الإسلام» للدكتور حسن إبراهيم (٣ / ٢١٩).

لمذهب أهل السنة بسبب جهود علماء السنة وإخلاصهم في الدفاع عن الدين والعقيدة؛ فجزاهم الله خيراً.

● ابن بطة في عصره:

أما موقف ابن بطة رحمه الله من الحالة السياسية المضطربة التي كانت تجري حوله والتي سبق بيانها؛ فإنه لم يتدخل فيها، بل اختار العزلة والابتعاد عنها حيث لازم منزله أربعين سنة على ما سيأتي بيانه من خلال دراستنا لحياته الشخصية فيما بعد، ولكن نريد أن نبين هنا أنه لم يقصر في القيام بالواجب الديني، بل كان له رحمه الله دور عظيم في الرد على الفرق الضالة، وإزالة المنكرات، وشرح مذهب السلف وتأييده بالتأليف والتدريس، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد ثبت أنه كان أمّاراً بالمعروف؛ فلم يبلغه خبر منكر إلا غيره، وكان رحمه الله من أشهر علماء السنة الأقوياء الغيورين على العقيدة السلفية ومن الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، وسوف نرى كيف رد على الفرق المخالفة لمنهج الكتاب والسنة وشرح مذهب أهل السنة في كتابنا هٰذا «الإبانة» الذي نحن بصدد تحقيقه؛ فقد توسع فيه رحمه في الرد على الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة مع توضيح هٰذا المذهب، وكان بهٰذا في طليعة من شارك في الحركة العلمية وتأصيل مذهب السلف ومقاومة البدع والمنكرات الشائعة في عصره.

أما وضعه في الحالة الاقتصادية لذٰلك العصر؛ فلم يبلغنا شيء مما يوضح لنا حالته من هٰذه الناحية، ولٰكن؛ هناك قرائن تدلنا على أنه كان عنده من المال ما يسد به حاجته الضرورية، حيث استطاع رحمه الله مواصلة رحلاته الكثيرة في طلب العلم والمواظبة على التدريس والتأليف ولزوم منزله حيناً من الزمن دون حاجة للخروج إلى السوق أو إلى مكان آخر للكسب أو التجارة، ولا يكون ذٰلك إلا لمن كان عنده ما يغنيه عن الناس مع ما عرف من حال سلفنا الصالحين من

أنهم كانـوا رحمهم الله يكتفون بقليل من العيش ولا يهتمون بجمع الأموال، ولكن همتهم جمع العلم والعمل للدار الآخرة، رحمة الله عليهم جميعاً.

●●●●●

الفصل الثاني

نشأة ابن بطة وأطوار حياته

اسمه ونسبه:

هو الإمام، القدوة، العابد، الفقيه، المحدث، شيخ العراق، أبو عبد الله، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم ابن سعد بن عتبة بن فرقد، وعتبة بن فرقد صاحب رسول الله ﷺ(١).

قال الذهبي: «هو الإمام، القدوة، العابد، الفقيه، المحدث، شيخ العراق، أبو عبد الله، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، ابن بطة، مصنف كتاب «الإبانة الكبرى» في ثلاث مجلدات»(٢).

وقال الحافظ ابن كثير: «ابن بطة عبيد الله بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري، المعروف بابن بطة، أحد علماء الحنابلة، وله التصانيف الكثيرة الحافلة في فنون من العلوم»(٣).

أجمع كل من ترجم لابن بطة على أن اسمه عبيد الله، ولم يختلف في

---

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٢ / ١٤٤)، و«المطلع» لابن البعلي الحنبلي (ص ٤٣٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ٥٢٩).

(٣) «البداية والنهاية» (١١ / ٣٢١)، «تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٧١).

ذلك أحداً، ما عدا العليمي صاحب كتاب «المنهج الأحمد»؛ فإنه خالف غيره وأطلق عليه اسم عبد الله، وهو خطأ.

قال المحقق لكتاب «المنهج الأحمد» الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد: «سماه المؤلف عبد الله (يعني: العليمي)، والصواب عبيد الله؛ كما في «اللباب» (١ / ١٦٠، مادة البطى)، و«شذرات الذهب» (٣ / ١٢٢)، و«طبقات الحنابلة» (٢ / ١٤٤)، و«مختصره» للنابلسي (٣٤٦)، و«النهاية» (١١ / ٣٢١)، و«العبر» (٣ / ٣٥)، و«المنتظم» (٧ / ١٩٣)، و«تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٧١)»[1].

وقد وافق العليمي غيره من المترجمين على أن كنية ابن بطة أبو عبد الله، ومن المستبعد أن يكنى الرجل باسمه غالباً، ولم يأت العليمي بأي دليل على صحة دعواه التي خالف بها غيره، وهٰذا يدفعنا إلى القول بأن هٰذا خطأ من النساخ؛ لوجود التشابه الكبير بين الاسمين عبد الله وعبيد الله، ويقوي هٰذا أن العليمي عندما ترجم لابن أبي داود السجستاني ذكر قصيدته التي مطلعها:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الهُدى ۞ وَلَا تَكُ بِدعِيّاً لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وذكر أنه قد رواها عنه عبيد الله الفقيه وهو ابن بطة بدليل ما ذكره عند خاتمتها؛ حيث قال: «قال ابن بطة: قال ابن أبي داود: وهٰذا قولي وقول أبي، وقول أحمد بن حنبل، وقول من أدركنا من أهل العلم...»؛ كما أن الذهبي ذكر في كتابه «العلو»: «هٰذه القصيدة من طريق ابن بطة»[2].

● كنيته ونسبه:

يكنى ابن بطة بأبي عبد الله، أجمع على ذٰلك كل من ترجم له أو روى

---

(١) «المنهج الأحمد» الهامش (٢ / ٨١).

(٢) انظر: «المنهج الأحمد» (٢ / ١٧)، وتحقيق الجزء الأول من كتاب «الإبانة الكبرى» للدكتور رضا معطي (ص ٣٦ - ٣٧).

عنه؛ فلم يختلف في ذٰلك أحد، وينسب إلى عكبرا وبطة.

قال ابن الأثير: «العكبري (بضم العين، وسكون الكاف، وفتح الباء الموحدة، وفي آخرها راء) هٰذه النسبة إلى عكبرا، وهي بليدة على نهر دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ، خرج منها جماعة من العلماء؛ منهم أبو الأحوص محمد ابن الهيثم بن حماد ابن واقد الثقفي العكبري، وأبو عبد الله عبيد الله بن محمد ابن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة بفتح الباء[1]، الإمام، المصنف الحنبلي؛ وينسب أبو عبد الله بن بطة إلى أحد أجداده الذي هو بطة؛ فيقال له البطي».

قال ابن الأثير: «البطي[2] بفتح الباء الموحدة والطاء المكسورة، هٰذه النسبة إلى البطة، وهو لقب لبعض أجداده[3] المنتسب إليه وإلى بيع البط،

---

(١) أما بالضم؛ فهو لقب لأحد علماء الشيعة.

قال ابن أبي طي: «ما زال الناس بحلب لا يعرفون الفرق بين ابن بطة الشيعي بضم الباء، وابن بطة الحنبلي بفتح الباء حتى تقدم الرشيد؛ فقال: ابن بطة الحنبلي بالفتح، والشيعي بالضم».

«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص ٩٦)، و«البداية والنهاية» (١١ / ٢٢٩).

(٢) انظر: «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (٢ / ١٤٦).

(٣) لم يعرف من هٰذا الجد الذي نسب إليه؛ حيث لم يصرح باسمه أحد ممن ترجم له، ويحتمل أن يكون هٰذا الجد عمر الذي هو جده الثالث، ويشير إلى هٰذا سياق كلام ابن الأثير في «اللباب» (١ / ١٦٠)، وابن عماد في «شذرات الذهب» (٣ / ١٢٢)؛ حيث قال كل واحد منهما في بيان نسبه:

«عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري، البطي، الفقيه، الحنبلي»، فبناء على سياق كلاهما؛ يحتمل أن يكون هٰذا الجد هو نفس عمر الذي هو جده الثالث حيث أدخلا ابن بطة في موضع جده الثالث الذي هو عمر، ولٰكن؛ إذا لاحظنا إلى سياق كلام بقية المترجمين لابن بطة؛ وجدنا احتمال أن يكون هٰذا الجد غير عمر أيضاً من بقية أجداده، حيث أنهم ساقوا كلمة ابن بطة في الترجمة مساق اللقب لابن بطة دون أن يدخلوا كلمة ابن بطة في عداد أجداده.

انظر تحقيق الجزء الأول من كتاب «الإبانة الكبرى» للدكتور رضا معطي (ص ٣٨ ـ ٣٩).

أما الأول؛ فهو أبو عبيد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري البطي»[1].

● موطنه:

كان الإمام ابن بطة من أهل عكبرا وهي موطنه، وإليها ينسب كما تقدم، وولد فيها، وهي بليدة على نهر دجلة قرب بغداد بعشرة فراسخ، والنسبة إلى عكبرا عكبري، ويقال لها أيضاً عكبراء والنسبة إليها عكبراوي، وقد نسب إلى عكبرا كثير من العلماء؛ منهم الإمام ابن بطة، وابن برهان، وأبو البقاء النحوي وغيرهم، وأشهر هٰؤلاء عند علماء الشريعة ابن بطة، وعند اللغويين أبو البقاء، وتقع عكبرا على الجانب الشرقي من شاطىء دجلة[2]، ولا خلاف بين أصحاب التراجم أن عكبرا هي موطن ابن بطة وبها توفي رحمه الله.

● أسرته:

كان والد ابن بطة محمد بن محمد من أهل العلم، حدث عنه جماعة من العلماء، ذكر ذٰلك الصفدي وعقد له عنواناً بترجمته في كتابه «الوافي بالوفيات» تحت رقم (٨٧)؛ قال فيه: «ابن بطة والد عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو بكر العكبري، والد عبيد الله الفقيه، صاحب المصنفات»، حدث عنه عبد الله بن الوليد بن جرير وغيره، وروى عنه ولده في مصنفاته، أما جده الأعلى الذي هو عتبة ابن فرقد؛ فهو صاحب رسول الله ﷺ، كما صرحت ذٰلك

---

(١) «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (١ / ١٣٠)، و«الأنساب» للسمعاني (٢ / ٢٦١).

(٢) انظر: «اللباب» لابن الأثير (٢ / ١٤٦)، و«معجم البلدان» لياقوت (٤ / ١٤٢ - ١٤٣)، وكتاب «مراصد الاطلاع» للبغدادي (٢ / ٩٥٣)، وتحقيق الجزء الأول من كتاب «الإبانة الكبرى» للدكتور رضا بن نعسان معطي (ص ٤٦ - ٤٧).

كتب تراجم الصحابة مثل كتاب «أسد الغابة»[1]، و«الإصابة» لابن حجر[2]، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد[3]، و«الاستيعاب» لابن عبد البر[4]، و«تجريد أسماء الصحابة» للذهبي[5]، و«فتح الباري» لابن حجر[6].

قال ابن عبد البر: «عتبة بن فرقد السلمي أبو عبد الله له صحبة ورواية، كان أميراً لعمر بن الخطاب على بعض فتوحات العراق، روى سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي؛ قال: جاءني كتاب عمر ونحن مع عتبة بن فرقد، وينسبونه عتبة بن يربوع بن حبيب بن مالك، وهو فرقد بن أسعد بن رفاعة بن ربيعة بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم السلمي، وأم عتبة آمنة بنت عمر ابن علقمة بن المطلب بن عبد مناف»[7].

وقال ابن الأثير: «عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن مالك بن أسد بن رفاعة بن ربيعة بن رفاعة بن الحارث بن بطة بن سليم السلمي، أبو عبد الله».

وقال الكلبي: «اسم فرقد يربوع، أمه آمنة بنت عباد بن علقمة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، له صحبة ورواية وكان شريفاً»[8].

وقال الذهبي: «عتبة بن فرقد بن يربوع السلمي، أبو عبد الله، له صحبة، ولي الموصل لعمر، وكان شريفاً، وشهد خيبر، وابتنى بالموصل داراً

---

(١) (٣ / ٥٦٧).

(٢) (٢ / ٤٥٥).

(٣) (٦ / ٤١).

(٤) (٣ / ١٠٢٩).

(٥) (١ / ٣٧١).

(٦) (١٠ / ٢٨٦).

(٧) «الاستيعاب في معرفة الصحابة» لابن عبد البر (٣ / ١٠٢٩).

(٨) «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (٣ / ٢٥٦٧).

ومسجداً، وابنه عمرو ضمن الأولياء»[1].

وقال الحافظ ابن حجر: «عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن مالك بن أسد بن رفاعة بن ربيعة بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم السلمي، أبو عبد الله، نزل الكوفة، وروى عن النبي ﷺ وعن عمر، روى عنه: امرأته أم عاصم، وقيس بن حازم، وعبد الله بن ربيعة السلمي، وعرفجة بن عبد الله الثقفي، وعامر الشعبي... وروى شعبة عن حصين عن امرأة عتبة بن فرقد أنه غزا مع رسول الله غزوتين. قلت: قال ابن سعد: هو عتبة بن يربوع، ويربوع هو فرقد[2]. وذكر زكريا صاحب «تاريخ الموصل» أنه هو الذي فتح الموصل زمن عمر سنة ثمان عشرة؛ قال: وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ، وقسم له سهماً. وروى أحمد في «الزهد» عن هشيم عن حصين؛ قال: كان عتبة بن فرقد يعطي سهمه لبني عمه عاماً ولأخواله عاماً. ونزل عتبة الكوفة، ومات بها»[3].

وقال ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة في معرفة الصحابة»[4]: «وله رواية (يعني: لعتبة) عن النبي ﷺ، وروت عنه زوجته أم عاصم، وسكن الكوفة، وكان بها عقب يقال لهم الفراقدة[4]، ومما يذكر من سيرته الحميدة وأخلاقه الفاضلة أن عمر بن الخطاب رأى على عتبة بن فرقد قميصاً طويل الكم، فدعا الشفرة ليقطعه من عند أطراف أصابه؛ فقال عتبة: «يا أمير المؤمنين! إني

---

(١) «تجريد أسماء الصحابة» للذهبي (١ / ٣٩٩ - ٤٠٠).

(٢) «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (٧ / ١٠١)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٢ / ٤٥٥).

(٣) ومما يلاحظ هنا أن ابن سعد وابن عبد البر والكلبي ذهب كل واحد منهم إلى القول أن يربوع هو نفس فرقد والد عتبة، بينما ذهب الآخرون كما تقدم بيانه إلى القول بأن يربوع هو والد فرقد وليس هو نفس فرقد، ولا ندري ما هو الصواب، ولم نر من يبين ما هو الصواب في المسألة.

(٤) (٣ / ٥٦٨).

أستحيي أن تقطعه، وأنا أقطعه»؛ فتركه»[1].

● مولده ونشأته الأولى:

ولد ابن بطة رحمه الله تعالى يوم الاثنين لأربع خلون من شهر شوال سنة (٣٠٤هـ)، كما ذكر ذلك ابن الجوزي في كتابه «المنتظم»[2]، وابن الأثير في «الكامل»[3]، والعليمي في كتابه «المنهج الأحمد»[4]، وكما حكى ذلك أبو عبد الله بن بطة عن نفسه قائلاً: «ولدت يوم الاثنين لأربع خلون من شوال سنة (٣٠٤هـ)[5]، ولم يختلف في تاريخ ولادته جميع من ترجم له أو روى عنه؛ حيث أجمعوا على أن تاريخ ولادته رحمه الله كان سنة (٣٠٤هـ)، أما نشأته الأولى؛ فلم يرد البيان عنها بالتفصيل في شيء من كتب التاريخ والتراجم التي ترجمت لابن بطة سوى ما علمنا من أنه ولد في عكبرا، وتربى في حجر والده تربية صالحة حتى ختم القرآن الكريم، ثم بعثه والده إلى بغداد لسماع الحديث من ابن منيع في سن مبكر لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره؛ فسمع «معجم ابن منيع» في نفر خاص في مدة عشرة أيام أو أقل أو أكثر[6]، هذه القصة تدلنا على أنه بدأ سماع الحديث والرحلة له في سن مبكر، ومما يؤكد هذا الأمر؛ ما حكاه ابن العماد في كتابه «شذرات الذهب» من أن ابن بطة أفتى وهو ابن خمس عشرة

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦ / ٤١).

(٢) (٧ / ١٩٣).

(٣) (٩ / ١٣٧).

(٤) (٢ / ٦٩).

(٥) ذكره أبو يعلى في «طبقاته» (٢ / ١٤٥)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ٥٣٠)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٧ / ٩٦)، و«شذرات الذهب» (٣ / ٩٢٣).

(٦) انظر: «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٢ / ١٤٥)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ٥٣٠)، و«المنتظم» لابن الجوزي (٧ / ٩٦)، وتحقيق الجزء الأول من كتاب «الإبانة الكبرى» للدكتور رضا معطي (ص ١ / ٤٧ ـ ٤٨).

سنة، وأن مصنفاته تزيد على مئة مصنف رحمه الله[1]، وهٰذا لا يتأتى إلا لمن جد في طلب العلم في أول نشأته، ثم واصل رحمه الله تعالى رحلته العلمية في البلدان النائية على النحو الذي سيأتي بيانه فيما يلي.

● رحلته العلمية:

امتازت الأمة الإسلامية من بين الأمم الماضية بالرحلة لسماع الحديث وأخذه عن أفواه الرجال الموثوقين العدول، ابتداء من القرن الأول الهجري من عهد الصحابة حتى القرن الثالث والرابع وما بعدهما من القرون، والإمام ابن بطة من أعلام علماء القرن الرابع الهجري الذين عرفوا برحلات علمية عديدة في هٰذا القرن، وقد مضى رحمه الله على سنن من قبله من المحدثين؛ فواصل رحلته العلمية في الآفاق، فطاف في كثير من البلدان وتجول فيها لكي يأخذ العلم عن مشاهير علمائها بالإضافة إلى علماء بلاده، فرحل إلى مكة والشام والبصرة والثغور وغير ذٰلك من البلدان العامرة بالحديث والمحدثين الحفاظ في ذٰلك الحين، كما ذكر ذٰلك عنه غير واحد ممن كتبوا في ترجمته رحمه الله، منهم الخطيب في «تاريخه»؛ فإنه قال في بيان رحلته العلمية: «سافر الكثير إلى البصرة والشام وغيرهما من البلدان»[2].

وقال السمعاني في «الأنساب»: «حدث عن جماعة كثيرة من العراقيين والغرباء، وسافر إلى البصرة والشام وغيرهما من البلدان»[3].

وقال القاضي أبو يعلى في «طبقات الحنابلة»: «سافر ابن بطة إلى مكة

---

(١) «شذرات الذهب» (٣ / ١٢٤)، وربما قصد بالإفتاء في هٰذا النص مجرد الإجابة على الأسئلة الفقهية.

(٢) «تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٧١).

(٣) «الأنساب» (٢ / ٢٦١).

والثغور والبصرة وغير ذلك من البلدان»(١).

وقال الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء»(٢): «رحل ابن بطة في الكهولة؛ فسمع من علي ابن أبي العقب بدمشق، ومن أحمد بن عبيد الصفار بحمص وجماعة، وقد سردت لنا بعض المصادر أسماء مشايخ ابن بطة تفصيلاً منهم الخطيب في «تاريخه» حيث قال: «حدث ابن بطة عن عبد الله بن محمد البغوي، وأبي محمد بن صاعد، وإسماعيل بن العباس الوراق، وأبي بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري، وأبي طالب أحمد بن نصر الحافظ، والحسن بن علي بن زيد السامري، وأبي زيد ابن الباغندي، ومحمد بن محمود السراج، ومحمد بن مخلد العطاء، ومحمد بن ثابت العكبري وغيرهم من العراقيين والغرباء(٣)، ونهج الإمام الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء» منهج الخطيب في «تاريخه»؛ فذكر أسماء مشايخ ابن بطة على النحو الذي ذكره الخطيب، غير أن هٰذه المصادر لم تذكر لنا تفاصيل هٰذه الرحلة التي قام بها الإمام ابن بطة لأجل طلب العلم؛ فلم تبين لنا تاريخ دخول ابن بطة إلى هٰذه البلدان المتعددة السالفة الذكر، وفي أي سنة أخذ الحديث من هٰؤلاء المشايخ، وفي أي بلد كان ذلك؛ لم يرد لنا بيان ذلك مفصلاً(٤)؛ غير أننا استفدنا من هٰذه المصادر أن الإمام ابن بطة كان واسع الرحلة لطلب العلم، بدأ رحلته منذ صغره حتى سن الكهولة، فلقي كثيراً من مشاهير علماء الأمصار في عصره من المحدثين والفقهاء الأجلاء».

---

(١) «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٤٤).

(٢) (١٦ / ٥٢٩).

(٣) «تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٧١).

(٤) إلا ما كان في حق علي بن أبي العقب؛ فإنه أخذ عنه بدمشق، وأحمد بن عبيد الصفار؛ فإنه أخذ عنه بحمص كما تقدم بيانه نقلاً عن الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ٥٢٩).

● عزلته:

بعد عودة ابن بطة من تلك الرحلات العلمية المتعددة التي قضى فيها سنوات عديدة؛ لازم العزلة مدة طويلة من حياته، واختار لنفسه الابتعاد عن الناس وعدم المخالطة بهم؛ كما ذكر ذلك عنه كل من ابن الجوزي في كتابه «المنتظم»[1]، والخطيب في «تاريخ بغداد»، والذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء»، كلهم حكى عنه هذه القصة.

قال الخطيب: «حدثني أبو حامد الدلوي لما رجع أبو عبد الله بن بطة من الرحلة؛ لازم بيته أربعين سنة، فلم ير خارجاً منه في سوق، ولا رؤي مفطراً إلا في يومي الأضحى والفطر[2]، وكان أمّاراً بالمعروف، ولم يبلغه خبر منكر إلا غيره»[3].

وليس يعني القول عن ملازمة ابن بطة لبيته انقطاعه التام عن الناس بدليل قولهم: إنه كان أمّاراً بالمعروف، ولم يبلغه خبر منكر إلا غيره؛ فمفهوم العزلة إذا كان عندهم يعني عدم الخوض في الفتنة أو الاشتراك في وظائف الحكم، ولا يعني الانقطاع عن نشر العلم بين الطلاب، وهذا هو ما فعله ابن بطة في عزلته.

وقد كان العمل على إفادة طلاب العلم ورواية الحديث من أهم الأسباب التي دفعت ابن بطة إلى العزلة والعكوف على التدريس؛ حتى لا تتشتت جهوده في أغراض أخرى تصرفه عن علومه وتلاميذه، وربما كان يدفعه إلى ذلك روح التدين الغالبة عليه؛ حتى كان صواماً، قواماً، معروفاً بالنسك والعبادة، ومع

---

(١) (٧ / ١٩٤).

(٢) ولعل ابن بطة على مذهب الجمهور القائل باستحباب صوم الدهر، وإلا؛ فقد جاء النهي عن صوم الدهر في أحاديث كثيرة وصحيحة.

انظر: «نيل الأوطار» (ج ٤، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦)، و«سبل السلام» (ج ٢، ص ١٧٣).

(٣) «تاريخ بغداد» (ج ١، ص ٣٧٢).

ذلك؛ فربما كان أيضاً من دوافعه إلى العزلة ما شاع من المظالم على أيدي السلاطين في عصره؛ حتى لم ينج منها العلماء، فنجا بنفسه في عزلته؛ كما يدل على ذلك ما رواه تلميذه ابن شهاب قائلاً: «دخلت على أبي عبد الله بن بطة بين العشائين وهو متوار؛ فقال لي: اشرب ماء البئر، وكان قد اختفى لأمر طغى، وأظنه من سلطان، ودفع إلي كتاب «العزلة»»[١].

وقد ألف ابن بطة مؤلفاته العلمية خلال هذه الفترة، وظل كذلك معتزلاً لم يشغل نفسه بأمور الدنيا ولم يل من أمر السلطان شيئاً، بل ظل مقبلاً على التأليف والتدريس حتى وافاه أجله رحمه الله تعالى[٢].

● مجلسه للتدريس والتحديث:

سبق أن قلنا أن ابن بطة لازم العزلة مدة أربعين سنة بعد عودته عن رحلته لطلب العلم، وهذا يعني أنه تفرغ بالتدريس والتأليف والعبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الفترة الطويلة بعيداً عن مشاكل أخرى اجتماعية أو سياسية؛ فتصدى رحمه الله تعالى للتدريس في هذه المدة في كل من عكبرا وبغداد، فاستفاد منه خلق كثير من تلامذته في كلا البلدين.

ويدل لذلك ما ذكره الخطيب في «تاريخه»؛ حيث قال: «حدثنا عنه (يعني: عن ابن بطة) محمد بن أبي الفوارس، وأبو علي بن شهاب العكبري، وعبد العزيز بن علي الأزجي، والعتيقي، وعبد الملك بن عمر بن خلف الرزاز، وإبراهيم بن عمر البرمكي، وأبو القاسم الأزهري».

ثم قال الخطيب في «النهاية»: «وكلهم سمع منه بعكبرا؛ إلا البرمكي،

---

(١) «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٤٦).

(٢) تحقيق الجزء الأول (ص ٥٠ ـ ٥١) من كتاب «الإبانة الكبرى» للدكتور رضا نعسان معطي.

فإنه سمع منه ببغداد»[1].

وهٰذا يدلنا على أن فريقاً من تلامذته أخذ عنه بعكبرا وفريق آخر ببغداد، وكان لابن بطة مجلس للتدريس في يوم الجمعة بعكبرا.

كما حكى ذٰلك عنه أبو يعلى في «طبقاته»[2] بقول: «سمعت من يذكر أنه كان يجلس في مجلسه يوم الجمعة متوجهاً إلى القبلة والناس بين يديه، وكان يتطيلس بإزار مربع على رأسه، فربما استنكر شيئاً يظهر من حلقته من حديث أو نحوه، فيومىء فيقول: «أحسنوا الأدب»؛ فيحتشم الناس ذٰلك وينكفوا».

وكـان يسـافر في بعض الأحيان إلى بغداد، وربما كان ذٰلك للتدريس بجامع المنصور؛ فقد روى ابن أبي يعلى في «طبقاته» أيضاً عن ابن شهاب أنه قال: «رأيت أبا عبد الله بن بطة وقد صلى صلاة الجمعة ببغداد أو في جامع المنصور، وخرج بعد الصلاة فمشي في الصحن الذي يلي المنبر؛ فقال الناس في الرواق وما يليه: ابن بطة! فرأيت الناس يهرعون إليه»[3]، وفي هٰذه المجالس التي كان يعقدها ابن بطة تمكن العلماء وطلبة العلم من الرواية عنه والانتفاع به[4].

عبادته وتقواه:

كان ابن بطة إماماً، فاضلاً، معروفاً بالتقوى والصلاح، مستجاب الدعوة، زاهداً في الدنيا، عابداً، صالحاً، صوّاماً بالنهار، قوّاماً بالليل، متمسكاً بالسنة وعاملاً بها، كان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، أثنى عليه بكل ذٰلك غير واحد من أهل العلم.

---

(١) «تاريخ بغداد» (ج ١٠، ص ٣٧١).

(٢) (٢ / ١٤٦).

(٣) «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٤٦).

(٤) تحقيق الجزء الأول من كتاب «الإبانة الكبرى» للدكتور رضا معطي (ص ٥٢).

قال القاضي ابن أبي يعلى في «طبقاته»: «ولما رجع ابن بطة من الرحلة (يعني: رحلته في طلب العلم)؛ لازم بيته أربعين سنة؛ فلم ير في السوق، ولا رؤي مفطراً إلا يومي الفطر والأضحى وأيام التشريق».

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: «حدثني عبد الواحد بن علي العكبري؛ قال: لم أر في شيوخ أصحاب الحديث ولا في غيرهم أحسن هيئة من ابن بطة، وكان آمراً بالمعروف، ولم يبلغه منكر إلا غيره».

وعن أبي علي بن شهاب؛ قال: «سمعت أبا عبد الله بن بطة يقول: استعمل عند منامي أربعين حديثاً رويت عن رسول الله ﷺ».

وروي أنه وصف له ترك العشاء؛ فكان يجعل عشاءه قبل الفجر بيسير، ولا ينام حتى يصبح.

قال أبو القاسم ابن القاضي أبي يعلى رحمه الله: «وذكر أن أبا عبد الله ابن بطة كان يسرد الصوم»[1].

ومما يذكر من تقواه وحبه للتمسك بالسنة؛ ما رواه القاضي أبو يعلى في كتابه «طبقات الحنابلة»؛ قال ما نصه: «اجتاز الشيخ أبو عبد الله بن بطة بالأحنف العكبري، فقام له فشق ذلك عليه؛ فأنشأ يقول:

لَا تَلُمْنِي عَلَى القِيَامِ فَحَقِّي ... حِينَ تَبْدُو أَلَّا أَمَلَّ القِيَامَا
أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ البَرِيَّةِ عِنْدِي ... وَمِنَ الحَقِّ أَنْ أُجِلَّ الكِرَامَا

قال ابن بطة لابن شهاب: «تكلف له جواب هذه[2]؛ فقال:

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٧٢)، «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٤٤، ١٤٧)، و«المنهج الأحمد» (٨٢ - ٨٣)، و«المطلع على أبواب المقنع» (٤٤).

(٢) هكذا في كل من «طبقات الحنابلة» و«المنهج الأحمد»، وفي «شذرات الذهب».

قال ابن بطة متكلفاً له الجواب، فعلى هذا؛ قائل القصيدة هو ابن بطة نفسه لابن شهاب، =

أَنْتَ إِنْ كُنْتَ لَا عَدِمْتُكَ تَرْعَى ... لِيَ حَقّاً وَتُظْهِرُ الإِعْظاما
فَلَكَ الفَضْلُ فِي التَّقَدُّمِ والعِلْـ ... ـمِ ولسنا نُحِبُّ مِنْكَ احْتِشاما
فَاعْفِنِي الآنَ مِنْ قِيَامِكَ أَوْ لا ... فَسَأَجْزِيكَ بالقِيَامِ القِيَاما
وأنا كارِهٌ لِذلِكَ جِدّاً ... إِنَّ فيهِ تَمَلُّقاً وأَثاما
لاَ تُكَلِّفْ أَخَاكَ أَنْ يَتَلَقَّا ... كَ بِمَا يَسْتَحِلُّ فِيهِ الحَرَاما
وإذا صَحَّتِ الضَّمَائِرُ مِنَّا ... اكْتَفَيْنَا أَنْ نُتْعِبَ الأَجْساما
كُلُّنا واثِقٌ يَوَدُّ مُصافِيهِ ... فَفِيمَ انْزِعاجُنا وعَلاَما»(١)

وفاته ورثاء الناس له :

توفي الإمام ابن بطة رحمه الله تعالى في المحرم سنة سبع وثمانين وثلاث مئة وله ثلاث وثمانون سنة، ولم يختلف في ذلك كل من ترجم له؛ منهم ابن الأثير في كتابه «اللباب في تهذيب الأنساب»(٢) وفي كتابه «الكامل في التاريخ»(٣)، وابن عماد الحنبلي في «شذرات الذهب»(٤)، وابن الجوزي في «المنتظم»(٥)، وابن حجر في «لسان الميزان»(٦)، والذهبي في كتاب «العبر»(٧).

قال العليمي في «المنهج الأحمد»: «توفي (يعني: ابن بطة) يوم عاشوراء

= بخلاف ما في «طبقات الحنابلة» و«المنهج الأحمد»؛ فإنه يقتضي أن القائل بها هو ابن شهاب وليس ابن بطة، والله أعلم.

(١) «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٤٧)، و«المنهج الأحمد» (٢ / ٨٣ ـ ٨٤)، و«شذرات الذهب» (٣ / ١٢٣).

(٢) (١ / ١٣٠).

(٣) (٩ / ١٣٧).

(٤) (٣ / ١٢٢).

(٥) (٧ / ١٩٧).

(٦) (٤ / ١١٤).

(٧) (٣ / ٣٥).

سنة سبع وثمانين، ودفن بعكبرا، ورثاه ابن شهاب تلميذه؛ فقال:

هَيْهَــاتَ لَيْسَ إِلَـى الـسُّلُوِّ سَبِيلُ ... فَلْيَكْـتَـفِـنْــكَ[1] تَفَجُّـعٌ وَعَــوِيلُ
مَوْتُ ابــنِ بَطَّةَ ثُلْمَــةٌ لا يُرْتَـجَـى ... لِمَـســدِّهــا شَكَــلٌ لَهُ وَعَــدِيلُ
فَمَــضَـــى حَمِيداً مَا لَهُ خَلَفٌ ولا ... مِنْــهُ وإِنْ طَالَ الــزَّمَــانُ بَدِيلُ[2]
أَمَّــا الـمَـحَــاسِنُ بعــدَهُ فَدَوَارِسٌ ... والــعِــلْمُ رَبْــعٌ مُقْــفِــرٌ وَطُــلُولُ
أَمَّــا الــقُــبُــورُ فَإِنَّــهُــنَّ أَوَانِسٌ ... بِحُــلُولِــهِ وَعَـلى الــدِّيارِ مُحُــولُ
مَنْ لِلْخُصُـومِ اللُّدِّ إِنْ هُمْ شَغَّبُـوا ... وَعَــنَــاهُــمُ الــتَّـمْــوِيهُ والــتَّــأْوِيلُ
مَنْ لِلْقُــرْآنِ وَكَـشْفِ مُشْكِــلِ آيَةٍ ... حَتَّــى يَقُــومَ عَلَيْهِ مِنْــكَ دَلِــيلُ
مَنْ للحَــدِيثِ وَحِــفْــظِهِ بِرِوَايَةٍ ... مَنْــقُــولَــةٍ إِسْــنَــادُهــا مَنْــقُــولُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ لِسانٍ كَانَ كَالسـ ... ـيْفِ الــصَّــقِيلِ وَلَــيْسَ فِيهِ فُلُولُ
مَاتَ الَّــذِي آثَــارُهُ وَعُــلُومُــهُ ... مَدْرُوسَــةٌ مَسْــطُورُهــا مَنْــقُــولُ
الــشَّــيْخُ مَاتَ أَمِ البَسِيطَةُ زُلْــزِلَتْ ... أَمْ صَارَ فِي الـبَــدْرِ الـمُنِيرِ أُفُــولُ
مَنْ لِلْفَرائِضِ فِي عَوِيصِ حِسَابِها ... فِي الجَــدِّ أَوْ فِي الــرَّدِّ حَيْثُ تَعُولُ
مَنْ لِلشُّرُوطِ وَحِفْظِ حُكْمِ فُروعِها ... إِذْ أُحْكِمَتْ قَبْــلَ الفُــرُوعِ أُصُــولُ
مَنْ فِعْــلُهُ الــثَّــبْــتُ الــسَّــدِيدُ مُوَافِقٌ ... لِلْقَــوْلِ مِنْــهُ حَيْثُ صَارَ يَقُــولُ
مَنْ لَا يَهَــابُ إِذِ الحُقُــوقُ تَعَــاوَرَتْ ... مَنْ فِيهِ دَولاتُ الــزَّمَــانِ تَدُولُ
هَيْهَــاتَ أَنْ يَأْتِــي الــزَّمَــانُ بِمِثْلِهِ ... إِنَّ الــزَّمَــانَ بِمِــثْــلِهِ لَبَــخِــيلُ
الــلَّهُ حَسْبِي بَعْــدَهُ وَهُــوَ الَّــذِي ... فِي كُلِّ مَا أَرْجُــوهُ مِنْــهُ وَكِــيلُ
أَجْــبِــرْ مُصِيبَتَنَــا وأَحْسِنْ عَوْضَنَــا ... مِنْــهُ فَأَنْــتَ لِمَــا تَشَــاءُ تُنِيلُ[3]

---

(١) هكذا في «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٥٢): «فليكتفنك»، وفي «المنهج الأحمد»: «فيكفينك».

(٢) في «الطبقات»: «فمضى فقيداً».

(٣) «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٥٢)، «المطلع على أبواب المقنع» (ص ٤٤١)، و«المنهج الأحمد» (٢ / ٨٥ - ٨٦).

الفصل الثالث

شيوخ ابن بطة وتلامذته

● شيوخه:

تقدم أن قلنا أن ابن بطة رحل كثيراً لطلب العلم إلى أماكن متعددة، أخذ في خلال هٰذه الرحلة من أجلاء علماء عصره المعروفين بالعلم والتَّدَيُّن والتقوى والحفظ والعدالة والتمسك بالسنة والعمل بها، وقد ذكر المترجمون لابن بطة جملة من هٰؤلاء المشايخ كما تقدم بيانه؛ منهم الخطيب البغدادي في «تاريخه»[1]، والذهبي في «سير أعلام النبلاء»[2]، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة»[3] وغيرهم ممن ترجم له، وحيث لا يمكن أن نترجم لجميع مشايخ ابن بطة لكثرتهم؛ فإننا نكتفي بالترجمة لبعضهم، وهم:

١ ـ النجاد.

هو الإمام، الحافظ، الفقيه، شيخ العلماء ببغداد، أبو بكر، أحمد بن سلمان بن الحسن بن إسرائيل البغدادي الحنبلي، ولد سنة (**٢٥٣هـ**)، سمع؛ يحيى بن جعفر بن الزبرقان، وأحمد بن ملاعب، والحسن بن مكي، وأبا داود

(١) «تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٧١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ٣٨٩).

(٣) «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٤٤).

السجستاني، وأبا بكر بن أبي الدنيا، وأحمد بن محمد البرتي، وإسماعيل بن إسحاق، وهلال بن العلاء وطبقتهم.

قال الخطيب: «كان صدوقاً، عارفاً، صنف كتاباً كبيراً في السنن، وكان له بجامع المنصور حلقة قبل الجمعة للفتوى وحلقة بعدها للإملاء، حدث عنه أبو بكر القطيعي والدارقطني وابن شاهين والحاكم وابن منده وابن زرقويه.. وخلق كثير».

وقال أبو إسحاق الطبري: «وكان النجاد يصوم الدهر، ويفطر كل ليلة على رغيف؛ فيترك لقمة، فإذا كانت ليلة الجمعة؛ تصدق برغيفه واكتفى بتلك اللقم»(١).

٢ ـ الخرقي.

أما الخرقي؛ فهو عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد أبو القاسم الخرقي، قرأ العلم على أبي بكر المروذي وحرب الكرماني وصالح وعبد الله ابني إمام أحمد، له المصنفات الكثيرة في المذاهب لم ينتشر منها إلا «المختصر» في الفقه؛ لأنه خرج عن مدينة السلام لما ظهر سب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وأودع كتبه في درب سليمان؛ فاحترقت الدار التي كانت فيها الكتب، ولم تكن انتشرت لبعده عن البلد، قرأ عليه جماعة من شيوخ المذهب (يعني: المذهب الحنبلي)؛ منهم أبو عبد الله ابن بطة، وأبو الحسين التميمي، وأبو الحسين ابن شمعون وغيرهم، وقد كان الخرقي من سادات الفقهاء والعباد، كثير الفضائل والعبادة، مات سنة (**٣٣٤هـ**)(٢).

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (ج ٣، ص ٨٦٨)، و«طبقات الحنابلة» (ج ٢، ص ١٤٠) لأبي يعلى.

(٢) «طبقات الحنابلة» (ج ٢، ص ٧٥ ـ ٧٦)، و«البداية والنهاية» (١١ / ٢١٤).

٣ ـ النيسابوري.

أما النيسابوري؛ فهو الحافظ، المجود، العلامة، أبو بكر، عبد الله بن زياد بن واصل النيسابوري، الفقيه، الشافعي، صاحب التصانيف، سمع عبد الله بن هاشم الطوسي، ومحمد بن يحيى، وأحمد بن يوسف، ويونس الصدفي، والربيع، وأبا إبراهيم المزني، والزعفراني، وعلي بن حرب، وأبا زرعة، وعنه؛ علي النيسابوري، وحمزة الكسائي، وأبو إسحاق بن حمزة، والدارقطني، وابن المظفر. . وخلق كثير.

قال الحاكم: «كان إمام عصره من الشافعية بالعراق ومن أحفظ الناس للفقهيات واختلاف الصحابة».

وقال الدارقطني: «ما رأيت أحفظ منه للأسانيد والمتون، وكان يعرف زيادات الألفاظ في المتون، وكان أفقه المشايخ».

وقال عبيد الله بن بطة: «كنا نحضر مجلس ابن زياد، وكان يحرز من يحضره من أصحاب المحابر ثلاثين ألفاً، مات سنة (٣٢٤هـ) بعد أن بلغ من عمره ٨٦ سنة»[1].

٤ ـ البغوي.

هو الحافظ، الثقة، الكبير، مسند العالم، أبو القاسم، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان، البغوي الأصل، البغدادي، كان مولده في رمضان سنة (٢١٤هـ)، وبكر بالسماع باعتناء عمه علي بن عبد العزيز وجده؛ فسمع من علي ابن الجعد، وعلي بن المديني، وأحمد ابن الحنبلي، وأبي نصر التمار، وشيبان بن فروخ، وداود بن عمر، والضبي، ويحيى بن عبد الحميد

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٣ / ٨١٩)، «البداية والنهاية» (١١ / ١٨٦).
ولا يخفى ما في ذكر عدد تلاميذ النيسابوري من المبالغة.

الحماني، وسويد بن سعيد، وخلق كثير أزيد من ثلاث مئة شيخ، وجمع وصنف معجم الصحابة والجعديات، وطال عمره.

حدث عنه ابن ساعد، والجعابي، والقطيعي، والإسماعيلي، وأبو حفص ابن شاهين، وعمر الكتاني، وابن المظفر، والدارقطني، وأبو القاسم ابن حبابة، وأبو طاهر المخلص، وعبد الرحمن بن أبي شريح الهروي، وأبو مسلم الكاتب، وخلق كثيرون إلى الغاية.

قال الخطيب: «أبو بكر كان ثقة، ثبتاً، فهماً، عارفاً».

وقال السلمي: «سألت الدارقطني عن البغوي؛ فقال: ثقة، جبل، إمام، أقل المشايخ خطأ، توفي سنة (٣١٧هـ)»[(١)].

٥ ـ الآجري.

هو الإمام، المحدث، القدوة، أبو بكر، محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، مصنف كتاب «الشريعة في السنة» و«الأربعين» وغير ذلك، سمع أبا مسلم الكجي، وأبا شعيب الحراني، وخلف بن عمرو العكبري، وأحمد بن يحيى الحلواني، وجعفر الفريابي وطائفة سواهم، وروى عنه أبو الحسن الحمامي، وعبد الرحمن بن عمران النحاس، وأبو الحسين ابن بشران، وخلق كثير من الحجاج والمغاربة، وكان مجاوراً بمكة، وكان عالماً عاملاً صاحب سنة واتباع.

قال الخطيب: «كان ديناً، ثقة، له تصانيف»[(٢)].

قال الحافظ ابن كثير: «كان ثقة، صادقاً، ديناً، وله مصنفات كثيرة مفيدة، وقد حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاث مئة، ثم انتقل إلى مكة؛ فأقام بها حتى

(١) «تذكرة الحفاظ» (٢ / ٧٣٧ ـ ٧٤٠)، «البداية والنهاية» (١١ / ١٦٣).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (٣ / ٩٣٦).

مات بعد إقامته بها ثلاثين سنة رحمه الله، مات سنة (٣٦٠هـ)»[١].

٦ ـ ابن صاعد.

هو يحيى بن محمد بن صاعد، أبو محمد، مولى أبي جعفر المنصور، رحل في طلب الحديث، وكتب وسمع وحفظ، وكان من كبار الحفاظ وشيوخ الرواية، وكتب عنه جماعة من الأكابر، وله تصانيف تدل على حفظه وفقهه وفهمه، توفي بالكوفة سنة (٣١٨هـ) وله سبعون سنة[٢].

٧ ـ ابن مخلد.

هو محمد بن مخلد بن حفص، أبو عبد الله الدوري العطار الخطيب، حدث عن جماعة؛ منهم أبو داود السجستاني، وأبو بكر المورزي، وزكريا بن يحيى الناقد وغيرهم، حدث عنه أبو عبد الله بن بطة، ومحمد بن حسين الآجري، وأبو العباس ابن عقدة، والدارقطني، وأبو حفص بن شاهين ومن في طبقتهم، وذكره ابن ثابت وأثنى عليه، ولد سنة (٢٤٣هـ)[٣]، سئل الدارقطني عنه فقال: «ثقة مأمون»، ومات سنة (٣٣١هـ) وله ٩٧ أو ٩٨ سنة[٤].

٨ ـ عمر بن محمد بن رجاء أبو حفص العكبري.

حدث عن عبد الله ابن الإمام أحمد، وقيس بن إبراهيم الطوابيقي، وموسى بن حمدون العكبري، وعصمة بن أبي عصمة وغيرهم، وكان عابداً، صالحاً، روى عنه جماعة؛ منهم أبو عبد الله بن بطة[٥].

---

(١) «البداية والنهاية» (١١ / ٢٧٠).

(٢) «البداية والنهاية» (١١ / ١٦٦).

(٣) هكذا في «المنهج الأحمد»، وفي «طبقات الحنابلة»؛ ولد سنة (٢٨٣هـ).

(٤) «المنهج الأحمد» مع الهامش (٢ / ٤٣ ـ ٤٤)، «طبقات الحنابلة» (٢ / ٧٣).

(٥) «طبقات الحنابلة» (٢ / ٥٦).

قال الخطيب: «وكان عبداً، صالحاً، ديناً، صدوقاً»، ثم قال: «أخبرنا الأزهري؛ قال: قال لنا أبو عبد الله بن بطة: إذا رأيت العكبري يحب أبا حفصة ابن رجاء؛ فاعلم أنه صاحب سنة، مات سنة (**٣٢٩هـ**)»[١].

٩ ـ الوراق.

وهو إسماعيل بن العباس بن عمر بن مهران بن فيروز بن سعيد، أبو علي الوراق، ولد سنة (**٢٤٠هـ**).

قال الدارقطني: «إسماعيل بن العباس الوراق ثقة».

وقال الحسن بن أبي طالب أن يوسف بن عمر القواس ذكره في جملة شيوخه الثقات، سمع إسحاق بن إبراهيم البغوي، والزبير بن بكار، والحسن ابن عرفة، وبشر بن مطر، وعلي بن حرب، وأحمد بن منصور الرمادي، وإبراهيم بن هانىء، وخلقاً من هٰذه الطبقة، وروى عنه ابنه محمد، وأبو الحسن الدارقطني، وأبو حفص بن شاهين، وأبو حفص الكتاني وغيرهم، مات سنة (**٣٢٣هـ**)[٢].

١٠ ـ أبو طالب الحافظ.

وهو أحمد بن نصر بن طالب، أبو طالب الحافظ، روى عنه خلق كثير؛ منهم الدارقطني، وابن شاهين، وإسحاق بن إبراهيم الدبري وغيرهم، وكان ثقة، ثبتاً، مات سنة (**٣٢٣هـ**)[٣].

---

(١) «تاريخ بغداد» (١١ / ٢٣٩)، وفي «طبقات الحنابلة» توفي سنة (٣٣٩هـ).

(٢) «تاريخ بغداد» (٦ / ٣٠٠).

(٣) «تاريخ بغداد» (٥ / ١٨٢).

● تلاميذه :

بعد عودة ابن بطة رحمه الله من رحلته العلمية التي قضى فيها مدة طويلة من عمره؛ خصص بقية حياته لنشر العلم بالتأليف والتدريس على النحو الذي تقدم حتى استفاد منه خلق كثير من طلبة العلم، الذين أصبحوا فيما بعد أئمة وعلماء من المحدثين والفقهاء، الذين رفعوا راية التوحيد والحديث والفقه؛ فنشروها بالتأليف والتدريس مثل شيخهم ابن بطة؛ رحم الله الجميع، وقد سبق أن ذكرنا أن لابن بطة تلاميذ كثيرة، وحيث يطول بنا المقام لو ترجمنا لجميعهم؛ نكتفي بترجمة بعضهم فيما يلي، وهم :

١ ـ ابن شهاب العكبري : هو الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب، الفقيه، الثقة، الأمين، ولد بعكبرا في محرم سنة (**٣٣٥هـ**)، وقيل : سنة (**٣٣١هـ**)، وسمع الحديث على كبر السن من ابن الصواف وطبقته، ولازم أبا عبد الله ابن بطة إلى حين وفاته وله اليد الطولى في الفقه والأدب والإقراء والحديث والشعر والفتيا.

وقال الخطيب : «سمعت البرقاني وذكر بحضرته ابن شهاب؛ فقال : ثقة، أمين، وله المصنفات في الفقه والفرائض والنحو، وتوفي في رجب سنة (**٤٢٨هـ**) ودفن بعكبرا»[(١)].

٢ ـ أبو حفص العكبري : هو عمر بن إبراهيم بن عبد الله، أبو حفص العكبري يعرف بابن المسلم، معرفته بالمذهب المعرفة العالية، له التصانيف السائرة؛ «المقنع»، و«شرح الخرقي»، و«الخلاف بين أحمد ومالك» وغير ذلك من المصنفات، سمع من أبي علي بن الصواف، وأبي بكر النجاد، وأبي محمد ابن موسى، وأبي عمر بن السماك، ودعالج، ورحل إلى الكوفة والبصرة وغيرهما

(١) «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٣ / ٢٤١)، و«طبقات الحنابلة» (٢ / ١٨٦ - ١٨٧).

من البلدان، وسمع من شيوخها، وصحب من فقهاء الحنابلة؛ عمر بن بدر المغازلي، وأبا بكر عبد العزيز، وأبا إسحاق بن شاقلا، وأكثر ملازمة ابن بطة، له اختيارات في المسائل المشكلات... توفي أبو حفص في ضحوة يوم الخميس لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثلاث مئة (٣٨٧هـ)[(١)].

٣ ـ أحمد بن موسى بن عبد الله بن إسحاق، أبو بكر الزاهد، المعروف بالروشنائي[(٢)].

قال الخطيب: «كتبت عنه في قريته ونعم العبد كان؛ فضلاً، وديانة، وصلاحاً، وعبادة، وكان له إلى جنبه مسجد يدخله ويغلقه على نفسه ويشتغل بالعبادة ولا يخرج منه إلا لصلاة الجماعة».

قال ابن أبي يعلى: «صحب ابن بطة وابن حامد وغيرهما من شيوخ مذهبنا، وتوفي ليلة السبت التاسع والعشرون من رجب سنة (٤١١هـ)[(٣)]، ودفن في قريته رحمه الله»[(٤)].

٤ ـ أبو إسحاق البرمكي، إبراهيم بن عمر البغدادي، روى عن القطيعي وابن موسى وطائفة.

قال الخطيب: «كان صدوقاً، ديناً، فقيهاً على مذهب أحمد، له حلقة للفتوى، توفي يوم التروية وله أربع وثمانون سنة... وصحب ابن بطة وابن

---

(١) «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٦٣ ـ ١٦٦)، «المنهج الأحمد» (٢ / ٨٧).

(٢) هكذا في «تاريخ بغداد»: «روشنائي» بالهمزة، وفي «طبقات الحنابلة»: «روشناني» بالنون.

(٣) هكذا في «تاريخ بغداد» وفي «طبقات الحنابلة»، توفي سنة إحدى وأربع مئة.

(٤) «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٧٩ ـ ١٨٠)، «تاريخ بغداد» (٥ / ١٤٩).

حامد، ولد في شهر رمضان سنة (٣٦١هـ)»[١].

٥ ـ السوسنجردي: هو أحمد بن عبد الله بن الحضر بن مسرور، أبو الحسين المعدل المعروف بابن السوسنجردي، سمع محمد بن عمرو الرزاز، وأبا عمرو بن السماك، وأحمد ابن سلمان النجاد، وعلي بن محمد بن الزبير الكوفي ونحوهم، وكان ثقة، مأموناً، ديناً، مستوراً، حسن الاعتقاد، شديداً في السنة[٢].

٦ ـ ابن حامد: وهو الحسن بن حامد بن علي بن مروان، أبو عبد الله البغدادي إمام الحنبلية في زمانه ومدرسهم ومفتيهم.

قال القاضي أبو يعلى: «كان ابن حامد مدرس أصحاب أحمد وفقيههم في زمانه، وله المصنفات العظيمة؛ منها «كتاب الجامع» نحو أربع مئة جزء في اختلاف العلماء، وكان معظماً مقدماً عند الدولة وغيرهم»[٣].

●●●●●

---

(١) «شذرات الذهب» (٣ / ٢٧٣).

(٢) «تاريخ بغداد» (٤ / ٢٣٧).

(٣) «شذرات الذهب» (٣ / ١٦٦)، «المنهج الأحمد» (٢ / ٩٨).

الفصل الرابع

ثقافة ابن بطة ومؤلفاته

لابن بطة ثقافة إسلامية واسعة متعددة الجوانب؛ فهو إمام في معرفة عقائد السلف بأدلة من الكتاب والسنة، وإمام في الحديث والفقه والتفسير، وله مؤلفات عديدة، وفيما يلي نفصل القول في ذلك بالإيجاز.

● ثقافته ومؤلفاته في العقيدة:

يعد ابن بطة من كبار علماء السنة الذين ألفوا في بيان العقيدة السلفية والدفاع عنها ورد مذاهب المخالفين لمنهج الكتاب والسنة؛ فقد وضح رحمه الله أصول مذهب السلف في العقائد خير توضيح بأدلة من الكتاب والسنة، وتوسع في ذلك في كتابه «الإبانة الكبرى» الذي نحن بصدد تحقيقه في هذه الرسالة، حيث استعرض فيه مذهب السلف استعراضاً تاماً وشاملاً لجميع جوانب مسائل العقيدة السلفية، وكتاب «الإبانة الكبرى» أوسع كتاب ألف في شرح عقائد السلف على ضوء أدلة من الكتاب والسنة، فلذا؛ كان مرجعاً هاماً يرجع إليه جهابذة علماء السنة الذين ألفوا في العقائد السلفية من بعده؛ مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم الجوزية في عديد من مؤلفاتهما[1]

(١) انظر: «الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ٤٢ و٥ / ٣٩٦)، وكتاب «شفاء العليل» لابن القيم (ص ٢٨٣).

حيث ينقلان كثيراً من مرويات ابن بطة في هٰذا الكتاب لإثبات مذهب السلف والرد على الفرق المخالفة، وكذٰلك الحافظ الذهبي في كتابه «العلو للعلي الغفار»[1].

ومما يدل على أن علماء السنة كانوا يعتمدون بمرويات ابن بطة ويستدلون بها؛ ما ذكره ابن بدران في كتابه «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد»؛ فقال: «ورأيت جمهور مشايخنا يقولون في تصانيفهم: دليلنا ما روى أبو بكر الخلال بإسناده عن النبي ﷺ، ودليلنا ما رواه أبو بكر بن عبد العزيز بإسناده، ودليلنا ما روى ابن بطة بإسناده[2]، وما كتبه ابن بطة في شرح عقيدة أهل السنة يتفق في أصول العقائد مع ما كتبه سائر علماء السنة؛ مثل الآجري في كتابه «الشريعة»، وابن خزيمة في «كتاب التوحيد»، والإمام أحمد في كتاب «الرد على الجهمية»، وابن منده في كتاب «الإيمان»، والإمام البخاري في «خلق أفعال العباد»، وأبو داود السجستاني في كتاب «الرد على القدرية»، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، والخلال في كتاب «السنة»، وأبي عثمان الدارمي في «الرد على بشر المريسي»، والإمام أبو القاسم إسماعيل ابن محمد الأصبهاني في كتابه «الحجة في بيان المحجة» و«شرح عقيدة أهل السنة»، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وكتاب «الاعتقاد» له، وسائر مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم ممن ألف في شرح مذهب أهل السنة.

وكل هٰؤلاء كان مصدر عقيدتهم الكتاب والسنة لا غير، فمن قرأ كتابي «الإبانة الكبرى» و«الصغرى» لابن بطة وغيرهما من مؤلفات السلف؛ يرى

---

(١) (ص ٢٥٢) تحقيق الألباني.

(٢) تحقيق الجزء الأول من كتاب «الإبانة الكبرى» للدكتور رضا نعسان معطي (ص ٧٤ - ٧٥).

مصداق ذٰلك، حيث أوردوا رحمهم الله تعالى في إثبات عقائد السلف أدلة من كتاب الله تعالى ومن السنة المطهرة في الدرجة الأولى، ثم بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة؛ تأييداً لنصوص الكتاب والسنة دون اعتماد على الأدلة العقلية التي يعتمد عليها علماء الكلام.

كل هٰذا يدلنا على أن ابن بطة كغيره من علماء السنة، كان إماماً يقتدي به في العقيدة، وفي معرفة مذهب السلف بلا نزاع، فلذا؛ كانت مؤلفاته في العقيدة تعد من المراجع الموثوقة المعتمدة لدى علماء السنة الذين جاؤوا من بعده رحمة الله عليهم جميعاً، ومن الجدير بالذكر أننا لم نأثر على مؤلفات ابن بطة في العقيدة سوى الكتابين «الإبانة الكبرى»، و«الصغرى»، ويحتمل أن يكون له مؤلفات في العقيدة غير الكتابين المذكورين؛ إلا أننا لم نأثر عليها حتى الآن.

ولعل مكانة شيوخ ابن بطة في العقيدة تزيد معرفتنا بأصالة ثقافته فيها؛ كالنجاد، وابن مخلد، والبغوي، وأبي حفص العكبري، وكذٰلك تلامذته لا سيما المبرزون منهم في هٰذا الجانب، الذين نبغوا وألفوا فيه، ونخص منهم بالذكر ابن حامد، وابن شهاب، وعمر بن إبراهيم العكبري، وسعة معرفة ابن بطة بالعقيدة وإمامته فيها أمر عرفه له العلماء وذكروه به[1].

● ثقافته ومؤلفاته في الحديث:

يدل على ثقافة ابن بطة الواسعة في علم الحديث والرواية دلائل عديدة منها شهادة كثير من الأئمة بأنه كان إماماً في الحديث وحافظاً للسنة؛ فمنهم من وصفه بأنه الإمام الكبير الحافظ وأحد المحدثين العلماء، ذكر ذٰلك ابن العماد الحنبلي في كتابه «شذرات الذهب»[2].

---

(١) تحقيق كتاب «الإبانة» المجلد الأول للدكتور رضا نعسان معطي (ص ٦٩).

(٢) (٣/ ١٢٢).

ومنهم من وصفه بأنه كان صاحب حديث، كما ذكر ذلك الحافظ الذهبي في كتابه «العبر»[1]، وثبت عن الحافظ ابن حجر في كتابه «الميزان»[2] قوله: «إنه كان إماماً في السنة»، وكما وصفه ابن الأثير أيضاً في كتابه «اللباب»[3] بأنه كان فاضلاً عالماً بالحديث.

ويضاف إلى هذا رحلاته الكثيرة في طلب الحديث وجمعه وتصديه للسماع والتأليف والرواية والتدريس مدة أربعين سنة، ونبوغ كثير من تلامذته الذين أخذوا منه علم الحديث سماعاً وكتابة وإجازة بعد عودته من تلك الرحلات، كل هذا مما يدلنا على رسوخ قدمه في رواية الحديث وعلومه؛ فقد علمنا فيما سبق أن ابن بطة بدأ رحلته إلى بغداد لسماع الحديث في سن مبكر لم يتجاوز الثاني عشر من عمره، ثم واصل رحلته العلمية سنوات عديدة؛ فأخذ في هذه المدة علوم الحديث عن مشاهير علماء السنة في الأمصار الذين ترجمنا لهم سابقاً من الذين كان لهم أثر كبير في تكوين شخصية ابن بطة ورسوخ قدمه في علم الحديث وسعة معرفته فيه.

وقد ذكر المترجمون لابن بطة أن مؤلفاته تزيد على مئة مصنف[4]؛ فمن أهم مؤلفاته في الحديث الكتابان «الإبانة الصغرى» و«الإبانة الكبرى» الذي نحن بصدد تحقيقه؛ فإنه روى في هذين الكتابين ألوفاً من الأحاديث المرفوعة، والآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء السلف، روى ابن بطة بأسانيده المتصلة المرفوعة بطرق متعددة في كثير من الروايات، ولا شك أن المحدثين إنما يروون الحديث الواحد بطرق متعددة لفائدة ترجع إلى الحكم على الحديث صحةً وضعفاً.

---

(١) (٢ / ٣٥).

(٢) (٣ / ١٥).

(٣) (١ / ١٣٠).

(٤) انظر: «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٥٢)، و«المنهج الأحمد» (٢ / ٨٤).

فكم من حديث ضعيف روي بطرق متعددة يقوي بعضها بعضاً، فيكون صالحاً للاحتجاج بمجموع طرقه؟ ورب حديث ضعيف باعتبار إسناد وصحيح باعتبار إسناد آخر؛ فيحتج به؟ وكم من حديث روي منقطعاً أو مرسلاً أو معضلاً ويأتي بإسناد آخر موصولاً متصلاً؛ فيصح الاحتجاج به، أو يكون الراوي مدلساً يروي الحديث تارة بالعنعنة وتارة يصرح بالتحديث؛ فيقبل حديثه بسبب ذٰلك؟

هٰذه بعض الفوائد التي لأجلها يروي المحدثون الحديث الواحد بطرق مختلفة الأسانيد، والإمام ابن بطة يعمل ذٰلك كثيراً في كتابه «الإبانة الكبرى» كما يشاهد ذٰلك القارىء في هٰذا الكتاب، وهٰذا إن دل على شيء؛ فإنما يدل على معرفته الدقيقة بأسانيد الحديث ومتونها كغيره من المحدثين الحفاظ.

ومن مرويات ابن بطة في الحديث «معجم الصحابة» للبغوي، كما أثبت ذٰلك ابن الجوزي في كتابه «المنتظم»؛ رداً على من ينكر سماع ابن بطة هٰذا الكتاب من البغوي، وقد سبق القول بأنه سمع كتاب «المعجم» لابن منيع وذٰلك في رحلته الأولى من عكبرا إلى بغداد أيام طلبه العلم، ومن بين مؤلفاته في الحديث أيضاً كتابه «السنن»، وهٰذا الكتاب وإن كان مفقوداً يذكره كل من ترجم لابن بطة أنه من مؤلفاته في الحديث؛ منهم أبو يعلى في «طبقاته»[1]، والعليمي في «المنهج الأحمد»[2].

وتظهر ثقافة ابن بطة الحديثية في تقريره للعقائد الدينية حيث رواها واستشهد عليها بالأحاديث المسندة دون أن يهتم بالأدلة العقلية اهتمامه بها، وهٰذا هو منهج المحدثين في كتب العقائد التي ألفوها[3].

---

(١) انظر: (٢ / ١٥٢).

(٢) انظر: (٢ / ٨٤).

(٣) تحقيق المجلد الأول من كتاب «الإبانة الكبرى» للدكتور رضا نعسان معطي (١ / ٧٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته «معارج الوصول»: «وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلام نحو هٰذا، وهٰذا كثير في الحديث والآثار، يذكرونه في الكتب التي يذكر فيها هٰذه الآثار، كما يذكر مثل ذٰلك غير واحد فيما يصنفونه في السنة مثل ابن بطة، واللالكائي، والطلمنكي، وقبلهم المصنفون في السنة كأصحاب أحمد؛ مثل عبد الله، والأثرم، وحرب الكرماني وغيرهم»[1].

● ثقافته ومؤلفاته في الفقه:

كما كان ابن بطة رحمه الله إماماً بارعاً في معرفة السنة ومعرفة أصول السلف في العقائد كما تقدم بيانه؛ كان رحمه الله إماماً في معرفة الفروع الفقهية، فقد اتفقت كلمة المترجمين لابن بطة على أنه يعد من أعيان فقهاء الحنابلة، وقد نوه العلماء بسعة معرفته في علم الفروع والأحكام؛ فقال الحافظ ابن حجر: «كان (يعني: ابن بطة) إماماً في السنة، إماماً في الفقه»[2].

وقال أبو الفتح القواس: «ذكرت لأبي سعيد الإسماعيلي (ابن بطة) وعلمه وزهده؛ فخرج إليه، فلما عاد؛ قال لي: هو فوق الوصف»[3].

وقال ابن الأثير[4]: «كان إماماً، فاضلاً، عالماً، من فقهاء الحنابلة».

وقال السمعاني في «الأنساب»[5]: «كان من فقهاء الحنابلة، صنف التصانيف الحسنة المفيدة».

(١) «معارج الوصول» (١ / ١٩٠ - ١٩١) ضمن مجموع «الرسائل الكبرى».

(٢) «لسان الميزان» (٤ / ١١٢).

(٣) المصدر السابق نفسه (٤ / ١١٤).

(٤) «اللباب» (١ / ١٣٠).

(٥) انظر: (٢ / ٢٦١).

قال ابن عماد الحنبلي في وصف ابن بطة: «الإمام، الكبير، الحافظ ابن بطة الفقيه الحنبلي، العبد، الصالح...»[1]، ويقال: «إنه أفتى وهو ابن خمس عشرة سنة، ومصنفاته تزيد على مئة رحمه الله تعالى»[2].

وقال الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء»[3]: «الإمام، القدوة، العابد، الفقيه، المحدث، شيخ العراق».

وقال في هامش «جامع الرسائل» لابن تيمية: «إنه (يعني: ابن بطة) من كبار فقهاء الحنابلة والمحدثين»[4].

وقد أشار إلى سعة معرفته في علم الفروع (بما في ذلك علم الفرائض) تلميذه ابن شهاب في قصيدته التي رثى بها ابن بطة بعد موته؛ حيث قال:

مَاتَ الَّـذِي آثَـارُهُ وَعُـلُومُـهُ ... مَدْرُوسَـةٌ مَسْـطُورهـا مَنْـقُـولُ
الشَّـيْخُ مَاتَ أَمِ البَسِيطَةُ زُلْـزِلَتْ ... أَمْ صَارَ فِي الـبَـدْرِ الـمُنِيرِ أُفُـولُ
مَنْ للفَرَائِضِ فِي عَوِيصِ حِسَابِها ... فِي الجَـدِّ أَوْ فِي الـرَّدِّ حَيْثُ تَعُولُ
مَنْ لِلْشُّرُوطِ وَحِفْظِ حُكْمِ فُرُوعِهَا ... إِذْ أُحْكِمَتْ قَبْـلَ الفُـرُوعِ أُصُـولُ
هَيْهَـاتَ أَنْ يَأْتِـي الـزَّمَـانُ بِمِثْلِهِ ... إِنَّ الـزَّمَـانَ بِمِـثْـلِهِ لَبَـخِـيلُ[5]

ومما يدل على رسوخ قدمه وسعة معرفته في الفقه وأحكام الشريعة؛ كثرة مؤلفاته الفقهية التي خصصها ابن بطة في تحقيق مواضيع مهمة في الفقه، وهي كثيرة تبلغ حوالي ١٦ مؤلفاً؛ كما ذكرها القاضي ابن أبي يعلى وغيره من الأئمة، وهي كما يلي:

---

(١) «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٣ / ١٢٢).

(٢) المصدر السابق نفسه (٣ / ١٢٤).

(٣) (١٦ / ٥٢٩).

(٤) انظر: «جامع الرسائل» لابن تيمية، الهامش، المجموعة الأولى (ص ٨٧).

(٥) «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٥٢ ـ ١٥٣)، و«المنهج الأحمد» (٢ / ٨٥).

١ ـ «المناسك».

٢ ـ «الإمام ضامن».

٣ ـ «الإنكار على من قضى بكتب الصحف الأولى».

٤ ـ «الإنكار على من أخذ القرآن من الصحف».

٥ ـ «النهي عن صلاة النافلة بعد العصر وبعد الفجر».

٦ ـ «تحريم التميمة».

٧ ـ «صلاة الجماعة».

٨ ـ «منع الخروج بعد الآذان والإقامة لغير حاجة».

٩ ـ «إيجاب الصداق بالخلوة».

١٠ ـ «فضل المؤمن».

١١ ـ «الرد على من قال طلاق الثلاث لا يقع»

١٢ ـ «صلاة النافلة في شهر رمضان بعد المكتوبة».

١٣ ـ «ذم البخل».

١٤ ـ «تحريم الخمر».

١٥ ـ «ذم الغناء والاستماع إليه».

١٦ ـ «التفرد والعزلة»[١].

ولم يكن ابن بطة فقيهاً عاديّاً بل كان إماماً له آراء واختيارات في كثير من مسائل فقهية في مذهب الإمام أحمد؛ فهو إمام مجتهد في المذهب وإن لم يكن

(١) «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٥٢)، «المنهج الأحمد» (٢ / ٨٤).

مجتهـداً مطلقـاً، وقـد جمع العلامة المرادي في كتابه «الإنصاف» في الفقه الحنبلي عدداً كبيراً من اختيارات ابن بطة في المسائل الفقهية(١).

ومن العوامل التي ساعدت ابن بطة على نبوغه في الفقه حتى كان إماماً بارزاً، له اختيارات فقهية في المذهب؛ أخذه العلم من أجلاء فقهاء الحنابلة وأئمتهم الموثوقين، الّذين كان لهم دور بارز في بناء المذهب بالتدريس والتأليف في مختلف الفنون، من هٰؤلاء المشايخ:

١ ـ عبد العزيز بن جعفر بن أحمد، المعروف بغلام الخلال، كان أحد أهـل الفهم، موثـوقـاً به في العلم، متسع الرواية، مشهوراً بالرواية، موصوفاً بالأمـانـة، مذكـوراً بالعبـادة، له المصنفـات في العلوم المختلفـة؛ منهـا: «الشافي»، و«المقنع»، و«تفسير القرآن»، و«الخلاف مع الشافعي»، و«كتاب القولين»، و«كتاب زاد السفر»، و«التنبيه» وغير ذٰلك(٢).

٢ ـ منهم محمد بن مخلد بن حفص، أبو عبد الله الدوري العطار، كان إماماً، جليلاً، موثوقاً به؛ كما قال عنه الدارقطني.

قال ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة»: «صحب جماعة من أصحاب إمـامنـا أحمـد وحـدث عنهم؛ منهم صالـح ابن إمـامنـا أحمـد، وأبـو داود السجستاني، وأبو بكر المروزي وغيرهم»(٣).

٣ ـ الحسن بن عبد الله، أبو علي النجاد، كان فقيهاً، معظماً، إماماً في أصول الدين وفروعه(٤)، وقد تقدم ترجمته، وقد نبغ من تلامذة ابن بطة عدد كثير منهم.

---

(١) انظر: (١ / ٤١٤، ٤٤١، ٣ / ٣١١).

(٢) «طبقات الحنابلة» (٢ / ١١٩ ـ ١٢٠).

(٣) نفس المصدر (٢ / ٧٣).

(٤) انظر: «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٤٠).

أبـو حفص العكبـري قال عنـه القاضي ابن أبي يعلى: «كانت معرفته بالمذهب المعرفة العالية، له التصانيف السائرة «المقنع»، و«شرح الخرقي»، و«الخلاف بين أحمد ومالك» وغير ذٰلك من المصنفات، سمع من أبي علي الصـواف، وأبي بكـر النجـاد، وأبي محمـد بن موسى، وأبي عمرو السماك وغيرهم، رحـل إلى الكـوفة والبصرة وغيرهما من البلدان، وصحب من فقهاء الحنابلة عمر بن بدر المغازلي وأبا بكر عبد العزيز وأبا إسحاق بن شاقلا، وأكثر ملازمة ابن بطة، له اختيارات في المسائل المشكلات»[١].

٤ ـ الحسن بن حامد بن علي بن مروان، أبو عبد الله البغدادي.

قال القاضي أبو يعلى: «كان إمام الحنابلة في زمانه ومدرسهم ومفتيهم، له المصنفات في العلوم المختلفات، له «الجامع في المذهب» نحواً من أربع مئة جزء، وله «شرح الخرقي»، و«شرح أصول الدين»، و«أصول الفقه»»[٢].

٥ ـ إبراهيم بن عمر بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، أبو إسحاق البرمكي.

قال في «طبقـات الحنابلة»: «كان ناسكاً، زاهداً، فقيهاً، مفتياً، قيماً بالفرائض وغيرها، حدث عن أبي بكر بن بخيت وابن مالك القطيعي وابن ماسي في آخرين، وصحب ابن بطة وابن حامد وعلق عنهما[٣]، ونبوغ هٰؤلاء يعتبر دليلاً على جودة فقهه، ويعد من ثمار جهده الأمر الذي يدل على كونه عالماً وإماماً في الفقه».

●●●●●

(١) «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٦٣).

(٢) «طبقات الحنابلة» (٢ / ١٧١).

(٣) نفس المصدر السابق (٢ / ١٩٠).

الفصل الخامس

الدفاع عن ابن بطة

ومع الثناء الكثير على ابن بطة من الأئمة في جمعه الحديث وحفظه وروايته له واعتنائه به ومعرفته للأصول والفروع ؛ وجد من يصفه بالضعف من قبل حفظه وقلة إتقانه في الرواية ، وفيما يلي بيان ما قيل فيه من ذلك تفصيلاً .

قال ابن الأثير: «كان زاهداً، عابداً، عالماً، ضعيفاً في الرواية[1]، تكلموا فيه»[2].

وقال الذهبي في كتاب «العبر»[3]: «كان صاحب حديث، ولكنه ضعيف من قبل حفظه».

وقال في «المغني»[4]: «إمام، لكنه لين صاحب أوهام».

وقال ابن حجر في «لسان الميزان»[5]: «قال أبو القاسم الأزهري: ابن بطة ضعيف ضعيف».

---

(١) «الكامل» لابن الأثير (٩ / ١٣٧).

(٢) «اللباب» لابن الأثير (١ / ١٣٠).

(٣) (٣ / ٣٥).

(٤) (٢ / ٤١٧).

(٥) (٤ / ١١٣).

وقال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان»[1]: «إمام، لٰكنه ذو أوهام».

وقد أورد الخطيب البغدادي رحمه الله كثيراً من الاتهامات التي وجهت إلى ابن بطة وطول في ذٰلك، ولٰكن ابن الجوزي تصدى للرد عليه في كتابه «المنتظم» وكذٰلك العلامة المعلمي في كتابه «التنكيل»، وفيما يلي نذكر ما ذكره الخطيب من الشبهات التي أوردها في الطعن على ابن بطة، ثم نعقب ذٰلك بردود كل من ابن الجوزي والمعلمي على تلك الشبهات، ويلي ذٰلك تعليقنا على المسألة.

الشبهة الأولى:

قال الخطيب: «كتب إلى أبو ذر عبد بن أحمد الهروي من مكة يذكر أنه سمع نصراً الأندلسي قال: خرجت إلى عكبرا، فكتبت عن شيخ بها عن أبي خليفة وعن ابن بطة، ورجعت إلى بغداد؛ فقال أبو الحسن الدارقطني: أين كنت؟ قلت: بعكبرا. فقال: وعن من كتبت؟ فقلت: عن فلان صاحب أبي خليفة وعن ابن بطة. فقال: وإيش كتبت عن ابن بطة؟ قلت: كتاب «السنن» لرجاء بن مرجي، حدثني به ابن بطة عن حفص بن عمر الأردبيلي عن رجاء بن مرجي؛ فقال: هٰذا محال، دخل رجاء بن مرجي بغداد سنة أربعين، ودخل حفص بن عمر الأردبيلي سنة سبعين ومئتين؛ فكيف سمع منه؟».

قال الخطيب: «حدثني أبو القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي، حدثني الحسن بن شهاب أن ابن بطة قدم بغداد ونزل على ابن السوسنجردي، فقرأ عليه أبو الحسن بن الفرات كتاب «السنن» لرجاء بن مرجي الحافظ، وكتبه ابن الفرات عنه عن حفص بن عمر الأردبيلي الحافظ عن رجاء؛ فأنكر ذٰلك أبو الحسن الدارقطني، وزعم أن حفصاً ليس عنده عن رجاء، وأنه يصغر عن السماع منه؛ فأبردوا بريداً إلى أردبيل، وكان ابن حفص بن عمر حيّاً هناك، وكتبوا إليه

(١) (٤ / ١١٢).

يستخبرونه عن هٰذا الكتاب؛ فعاد جوابه بأن أباه لم يرو عن رجاء بن مرجي ولا رآه قط، وأن مولده كان بعد موته بسنين.

قال أبو القاسم: فتتبع ابن بطة النسخ التي كتبت عنه وغير الرواية، وجعلها عن ابن الراجيان عن فتح بن شخرف عن رجاء، ولما مات ابن بطة؛ رأيت نسخته بالسنن وقد غير أول كل خبر منها، وجعله رواية ابن الراجيان عن شخرف عن رجاء»[1].

قال ابن الجوزي إجابة عن هٰذه الشبهة: «وجواب هٰذا أن أبا ذر كان من الأشاعرة المتعصبين، وهو أول من أدخل الحرم مذهب الأشعري، ولا يقبل جرحه الحنبلي يعتقد كفره».

وأما عبد الواحد الأسدي؛ فهو ابن برهان، فقد قال عنه ابن الجوزي أيضاً: «بأن جرحه لابن بطة لا يقبل، وذٰلك لأنه كان يختار مذهب مرجئة المعتزلة، وينفي الخلود في حق الكفار، كما نقل ذٰلك عن ابن عقيل؛ فيكون قد خالف بهٰذا الاعتقاد إجماع المسلمين، فمن كان اعتقاده يخالف إجماع المسلمين؛ فهو خارج عن الإسلام؛ فكيف يقبل قوله؟» انتهى كلام ابن الجوزي ملخصاً[2].

وظاهر أن ابن الجوزي بطعنه في أبي ذر وابن برهان؛ ظاهر أنه يرد روايتهما من أساسها، وأنها باطلة مكذوبة على ابن بطة؛ حيث لم يعمد إلى المقارنة التاريخية لتصحيح القول بلقاء حفص لرجاء حتى تصح رواية ابن بطة عنه وينتفي عنه ما اتهم به في الرواية عن حفص من تغيير السند.

والذي نأخذه على ابن الجوزي في هٰذا المقام عدم عنايته في دفاعه عن

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٧٢ - ٣٧٣).

(٢) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧ / ١٩٤ - ١٩٥).

ابن بطة بتحقيق الجانب التاريخي؛ فإما أن يتبين له لقاء حفص لرجاء من الناحية التاريخيه فيقوى بذلك دفاعه عن ابن بطة وتخطأته لرواة القصة وما جاء فيها، وإما أن يتبين له عدم مقابلة حفص لرجاء وروايته عنه فيصحح دفاعه عن ابن بطة ويبحث له عن وجه آخر من أوجه الدفاع غير مجرد الطعن في أبي ذر وابن برهان؛ كأن يعتذر عن ابن بطة في هذا الموضوع بما اعتذر به عنه صاحب كتاب «التنكيل»، وهو دخول الوهم على ابن بطة في هذا الموضوع معللاً ذلك بأنه ساح في أول عمره فكان يسمع ولا يكتب، ولم يكن يؤمل أن يحتاج آخر عمره إلى أن يروي الحديث، وبعد رجوعه من سياحته؛ انقطع في بيته مدة ثم احتاج الناس إلى أن يسمعوا منه؛ فكان يتذكر ويروي على حسب ظنه فيهم، وكأنه سمع «سنن رجاء بن مرجي» من الأردبيلي عن رجل فتوهم بآخره أن الأردبيلي رواها عن رجاء نفسه، وقد رجع ابن بطة عن هذا السند لما تبين أنه وهم، والله أعلم[1].

وقد اعتذر صاحب «التنكيل» بدخول الوهم على ابن بطة بعد أن أجرى مقارنة تاريخية تبين له بعدها عدم رواية حفص عن رجاء[2].

قلت: وهذا الاعتذار يقبل من صاحب «التنكيل» إذا ثبت صحة ما رواه ابن الفرات أنه قرأ على ابن بطة كتاب «السنن»، وأن ابن بطة أخبره بروايته له عن حفص عن رجاء، أما إذا لم يصح شيء من ذلك؛ فإن القصة تكون كلها مفتراة على ابن شهاب وابن الفرات وابن بطة جميعاً، بل وعلى الدارقطني أيضاً، ويكون إثم هذا الافتراء عائداً على أبي ذر وابن برهان، اللذين روياها وطعن ابن الجوزي في صحة شهادتهما على ابن بطة.

والواقع أننا نستبعد على ابن بطة في تقواه وورعه أن يعمد إلى تغيير سند

---

(١) «التنكيل» (١ / ٣٤٢).

(٢) «التنكيل» (٣٤٢).

الرواية على هٰذا النحو، وكيف له بجمع النسخ التي رويت عنه من أصحابها في بغداد وغيرها ليقوم بمسح سنده القديم وإثبات السند الجديد، وهل كان ذٰلك يخفى على الناس غشه وتدليسه في السند لو فرض أنه استطاع تغييره في جميع النسخ التي رويت عنه، كيف ذٰلك من بقاء الكتابة القديمة حتى ولو ضرب عليها بالقلم وظهور أثر الحك للأسانيد القديمة؛ الأمر الذي لا يخفى على من يطلع عليه، وما هو موقف ابن بطة من تلاميذه الذين رووا عنه هٰذا الكتاب برواية حفص، وما مدى ظنهم بأمانته إذا وجدوه يبدل سنده بسند آخر، وهل كانوا يسلمون له ذٰلك بهٰذه البساطة، وهل يتفق ذٰلك مع أمانتهم وروايتهم للحديث؟

ولعل هٰذا كله مما دفع ابن الجوزي إلى تكذيب القصة من أساسها، وإذا جاز أن نقبل اتهام ابن بطة بضعف الحفظ ودخول الوهم عليه في الرواية إذا صح هٰذا عنه؛ فهل يجوز أن نقبل تعمده الكذب مع ما قدمناه من شهادات العلماء له بالتقوى والصلاح والصدق؟

قال الذهبي في كتابه «العلو للعلي الغفار»: «تكلموا في إتقانه وهو صدوق في نفسه»[1].

وهٰذا مما يبعد عنه الاتهام بالكذب، ونتساءل كذٰلك في هٰذا المقام؛ ما الذي منع ابن بطة من أن يذكر روايته لـ «السنة» عن ابن الراجيان عن فتح بن شخرف عن رجاء من أن يذكر ذٰلك لتلاميذه من أول الأمر، وأي كسب له في أن يذكر روايته عن حفص الأردبيلي سواء علم بلقاء حفص لرجاء أم لا؛ فما بالك إذا كان لقاء حفص لرجاء أمر مشكوكاً فيه بل منفياً؛ كما يقوله صاحب «التنكيل»؟

إن قول ابن بطة للحقيقة أقرب إليه وأيسر عليه مما اتهم به من تعمد التغيير في السند على نحو ما ذكروه، هٰذا إذا فرضنا أنه كان متهماً بتعمد تغيير الإسناد

(١) «العلو للعلي الغفار» (ص ١٧٠).

المذكور، وأما إذا فرضنا أنه غير الإسناد بعد أن تبين له الخطأ في الإسناد رجوعاً إلى ما فيه الصواب؛ فهٰذا لا يعد نقصاً من ابن بطة، فإن الرجوع من الخطأ إلى الصواب واجب شرعاً من مقاصد النبلاء، ومنهج الأئمة الفضلاء، وعلامة العدالة والثقة في الدين، وذٰلك لأن الخطأ والوهم صفة لازمة للإنسان مهما بلغ من قوة الذاكرة والحفظ؛ فالأئمة الأجلاء يقولون اليوم قولاً ثم يرجعون عنه غداً معترفين بالخطأ إذا كان الصواب خلاف ما قالوه؛ فهٰذا أبو حنيفة رحمه الله كان يقول لصاحبه أبي يوسف: «ويحك يا يعقوب! (يعني: أبا يوسف)؛ لا تكتب كل ما تسمع مني؛ فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غداً، وأرى الرأي غداً وأتركه بعد غد»، وفي رواية عنه: «حرام علي من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي؛ فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع غداً».

قال الإمام مالك رحمه الله: «إنما أنا بشر أخطىء وأصيب؛ فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة؛ فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة؛ فاتركوه، ومثل هٰذه الأقوال ينقل عن الأئمة الشافعي وأحمد وغيرهم من الأئمة[1].

ومن هنا نعرف أن ابن بطة إذا أثبت بعضاً من الرواة في إسناد الحديث ثم تبين له وجه الصواب بعد ذٰلك؛ فلا مانع من إزالة الخطأ وإثبات الصواب مكانه، وإذا صح ما انتهى إليه صاحب «التنكيل» من عدم لقاء حفص لرجاء، واستقام دفاعه عن ابن بطة بأن روايته بهٰذا السند من قبيل الوهم الذي دخل عليه بآخره؛ فإن ذٰلك لا يكون خاصّاً برواية ابن بطة لكتاب «السنن» عن حفص عن رجاء، وإنما يتعدى ذٰلك إلى الأحاديث والآثار التي رواها ابن بطة في «الإبانة» عن

---

(١) «الانتفاع في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (ص ١٤٥) لابن عبد البر، «أعلام الموقعين» لابن القيم الجوزية (٢ / ٢٠٠ - ٢٠١)، وابن عابدين في حاشيته على «البحر الرائق» (٦ / ٢٩٣)، «صفة صلاة النبي ﷺ» للألباني (٢٤ - ٣٥) مع الهامش.

حفص عن رجاء، وعددها في المجلد الذي نقوم بتحقيقه خمس روايات[1].

ومما يجدر ذكره هنا أن هٰذه الأحاديث والآثار الخمسة رواها ابن بطة بطرق مختلفة، أحدها روايته لها عن طريق حفص عن رجاء وليست مروية عن هٰذا الطريق وحده، ثم إن الأحاديث الأربعة كلها صحيحة روى بعضها البخاري ومسلم.

● **الشبهة الثانية في الطعن على ابن بطة:**

قال الخطيب: «حدثنا أبو القاسم التنوخي؛ قال: أراد أبي أن يخرجني إلى عكبرا لأسمع من ابن بطة كتاب «معجم الصحابة»، تصنيف أبي القاسم البغوي؛ فجاءه أبو عبد الله بن بكير وقال له: لا تفعل؛ فإن ابن بطة لم يسمع المعجم من البغوي، وذٰلك أن البغوي حدث به دفعتين؛ الأولى منهما قبل سنة ثلاث مئة في مجلس عام، والأخرى بعد سنة ثلاث مئة في مجلس خاص لعلي ابن عيسى وأولاده، ففي أي المرتين سمعه ابن بطة؟»[2].

قال ابن الجوزي: «الجواب عن هٰذا من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن التنوخي كان معتزليّاً يميل إلى الرفض؛ فكيف يقبل قوله في سني؟

والثاني: أن هٰذه الشهادة على نفي؛ فمن أين له أنه لم يسمع؟ فإذا قال ابن بطة سمعت؛ فالإثبات مقدم.

والثالث: من أين له أنه إن كان لم يسمع أنه يرويه؟

فمن الجائز لو مضى إليه قال له: ليس بسماعي، وإنما أرو به إجازة؛ فما

---

(١) وذلك في الصفحات التالية من الجزء التاسع: (١٢٤، ١٣٥، ١٤٤، ١٥٨، ٢٣٦).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٧٣ - ٣٧٤).

أبله هٰـذا الطاعن بهٰـذا؟ إنما وجه الطعن أن يقول قد رواه وليس بسماعه»[1].

قلت: هناك جواب آخر أشار إليه الخطيب نفسه بعد أن ذكر هٰذه القصة؛ فإنه قال: «قلت: وفي هٰذا القول نظر؛ لأن محمد بن عبيد الله بن الشخير قد روى عن البغوي «المعجم»، وكان سماعه بعد الثلاث مئة بسنين عدة، وهٰذا مما يدفع اعتراض ابن بكير على ابن بطة بأنه لم يسمع المعجم بحجة أن البغوي لم يرو معجمه في مجلس عام إلا في الفترة ما قبل ثلاث مئة (أي قبل ولادة ابن بطة)»، فإذا ثبت أن البغوي روى معجمه بعد ثلاث مئة بسنين عدة (كما بينه الخطيب)؛ فليس هناك ما يمنع سماع ابن بطة؛ لأن ابن بطة ولد عام ٣٠٤هـ، فيجوز أن يسمع بعد ذٰلك عن البغوي بناء على أن البغوي حدث بالمعجم دفعة ثالثة، ولعلها كانت لنفر خاص؛ فلم يقف عليها ابن بكير، وقد تكون هناك دفعة رابعة خاصة أيضاً، وقد ذكر ابن بطة فيما رواه ابن الجوزي قصة حاصلها أن أباه بعثه وهو صغير مع شريك له من أهل بغداد فأدخله على البغوي واسترضوه أن يحدثهم بالمعجم في نفر خاص؛ قال: «ثم قرأنا عليه المعجم...» إلى آخر القصة[2].

الشبهة الثالثة في الطعن عليه:

قال الخطيب: «حدثني أحمد بن الحسن بن خيرون؛ قال: رأيت كتاب ابن بطة بمعجم البغوي في نسخة كانت لغيره، وقد حكك اسم صاحبها وكتب اسمه عليها»[3].

قال ابن الجوزي إجابة عن هٰذه الشبهة:

---

(١) «المنتظم» لابن الجوزي (٧ / ١٩٥).

(٢) «التنكيل» (١ / ٣٤٤ ـ ٣٤٥)، «تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٧٤).

(٣) «تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٧٤).

«انظر إلى طعن المحدثين؛ أتراه إذا حصلت للإنسان نسخة فحك اسم صاحبها وكتب سماع نفسه وهي سماعه؛ أيوجب هٰذا طعناً؟ ومن أين له أنه لم يعارض بهٰذا أصل سماعه؟ ولقد قرأت بخط أبي القاسم بن الفراء أخي القاضي أبي يعلى: قابلت أصل ابن بطة بالمعجم؛ فرأيت سماعه في كل جزء؛ إلا أني لم أر الجزء الثالث أصلاً... إلى أن قال: فإذا كان ابن بطة يقول: سمعت المعجم وقد ثبت صدقه، وروى سماعه؛ فكيف يدفع هٰذا بنفي[1] فيقال: ما سمع؟ فالقادح بهٰذا لا يخلوا إما أن يكون قليل الدين، أو قليل الفهم؛ فيكون ما رأى سماعه في نسخة أو ما رآه حاضراً مع طبقته فينفي عنه السماع»[2].

● الشبهة الرابعة في الطعن عليه:

قال الخطيب: «حدثني عبد الواحد بن علي الأسدي؛ قال: قال لي محمد بن أبي الفوارس: روى ابن بطة عن البغوي عن مصعب بن عبد الله عن مالك عن الزهري عن أنس عن النبي ﷺ؛ قال: طلب العلم فريضة على كل مسلم».

ثم قال الخطيب: «وهٰذا باطل من حديث مالك، ومن حديث مصعب عنه ومن حديث البغوي عن مصعب، وهو موضوع بهٰذا الإسناد، والحمل فيه على ابن بطة، والله أعلم»[3].

قال ابن الجوزي إجابة عن هٰذه الشبهة: «وجواب هٰذا من وجهين:

أحدهما: أن هٰذا لا يصح عن ابن برهان، قال شيخنا أبو محمد عبد الله ابن علي المقرىء: شاهدت بخط الشيخ أبي القاسم ابن برهان وكان الخط بيد

---

(١) وذلك بناء على القاعدة المعروفة بأن المثبت مقدم على النافي، والحافظ حجة على من لم يحفظ.

(٢) «المنتظم» لابن الجوزي (٧ / ١٩٥ - ١٩٦).

(٣) «تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٧٥).

الشيخ أبي الكرم النحوي بما[1] حكاه عني أحمد بن ثابت الخطيب من القدح في الشيخ الزاهد أبي عبد الله بن بطة؛ لا أصل له، وهو شيخي، وعنه أخذت العمل في البداية.

والثاني: أنه لو صح؛ فقد ذكرنا القدح في ابن برهان، فيقال حينئذ للخطيب: لم قبلت قول من يعتقد مذهب المعتزلة؟ وإن الكفار لا يخلدون فيخرج بذلك إلى الكفر بخرقه الإجماع فيمن شهدت له بالسفر الطويل وطلب العلم، وحكيت عن العلماء أنه الصالح المجاب الدعوة؛ أفلا تستحي أن تجعل الحمل عليه في حديث ذكره عنه ابن برهان ولا تجعل الحمل على ابن برهان؟ نعوذ بالله من الهوى»[2].

وقال المعلمي في كتابه «التنكيل» في الإجابة عن هٰذه الشبهة الرابعة: «إن ابن برهان ليس بعمدة فيما انفرد به، ولعله سمع من أبي الفوارس يقول: بلغني عن ابن بطة أو نحو ذٰلك، ولو روى هٰذا الحديث؛ لكان الظاهر أن يشتهر عنه وينتشر، ولو صح عنه لحمل على الوهم؛ فإنه سمع من البغوي وهو صغير ولم يكن له أصول، إنما كان يحمل على حفظه فيهم؛ فيحتمل أن يكون سمع الحديث من البغوي بسند آخر، وسمع منه حديثاً أو أكثر بهٰذا السند فوهم»[3].

قلت: ومما يؤيد هٰذا الرأي ما ذكره الحافظ الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء»[4] بعد أن نقل قول الخطيب: «هٰذا باطل والحمل فيه على ابن بطة»؛ قال: «أفحش العبارة، وحاش الرجل (يعني: ابن بطة) من التعمد، لٰكنه غلط

---

(١) هٰكذا في «المنتظم»: «بما حكاه»، والظاهر أن الصواب: «ما حكاه عني...» بدون حرف الباء؛ لأن «ما» مبتدأ خبره لا أصل له، والله أعلم.

(٢) «المنتظم» (٧ / ١٩٦ ـ ١٩٧) ملخصاً.

(٣) «التنكيل» (١ / ٣٤٦).

(٤) (١٦ / ٥٣١).

ودخل عليه إسناد في إسناد».

● الشبهة الخامسة:

ذكر الخطيب عن ابن برهان؛ قال: «قال لي الحسن بن شهاب: سألت أبا عبد الله بن بطة: أسمعت من البغوي حديث علي بن الجعد؟ فقال: لا. قال ابن برهان: وكنت قد رأيت في كتب ابن بطة نسخة بحديث علي ابن الجعد؛ فقد حككها وكتب بخطه سماعه عليها، فذكرت ذلك لابن شهاب؛ فعجب منه»[1].

قال المعلمي في كتابه «التنكيل»[2] ردّاً على هذه التهمة: «تفرد بهذا ابن برهان ولم يروا ابن بطة حديث علي بن الجعد عن البغوي، وابن برهان لا يقبل منه ما تفرد به، ولعله وهم كأن كان الخط غير خط ابن بطة؛ فاشتبه على ابن برهان، وكأن يكون ابن بطة إنما كتب هذا الكتاب من مسموعاتي أو نحو ذلك (يعني أنه سمعه من غير البغوي)؛ فوهم ابن برهان»[3].

● الشبهة السادسة:

ذكر الخطيب عن ابن برهان؛ قال: «روى ابن بطة عن أحمد بن سلمان النجاد عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي نحواً من مئة وخمسين حديثاً؛ فأنكر ذلك عليه علي بن محمد بن نيال وأساء القول فيه وقال: ابن النجاد لم يسمع من العطاردي شيئاً حتى همت العامة أن توقع بابن نيال واختفى، قال: وكان ابن بطة قد خرج تلك الأحاديث في تصانيفه فتتبعها وضرب على أكثرها وبقي بقيتها على حاله»[4].

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٧٣).

(٢) (١ / ٣٤٢).

(٣) «التنكيل» (١ / ٣٤٢ - ٣٤٣).

(٤) «تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٧٣).

قال المعلمي إجابـة عن هٰذه الشبهة: «فأقول: قد مر الكلام في ابن برهـان، ولٰكن دخـول الـوهم عليه في هٰذا بعيد، والنجـاد يقال أنه ولد سنة (٢٥٣هـ)، وسمـع من الحسن بن مكرم المتوفي سنة (٢٧٤هـ)، ورحل إلى البصـرة وسمع بها من أبي داود المتوفى سنة (٢٧٥هـ)، ووفاة العطاردي سنة (٢٧٢هـ)؛ فلا مانع من أن يكون للنجاد إجازة من العطاردي ولابن بطة إجازة من النجاد؛ فروى ابن بطة تلك الأحاديث بحق الإجازة، فكان ماذا؟ فأما حكه لبعضها؛ فلعله وجدها أو ما يغني عنها عنده بالسماع من وجه آخر، فحك ما رواه بالإجازة وأثبت السماع»[1].

كان هٰذا ما نسبه الخطيب وغيره إلى ابن بطة تفصيلاً مع الإجابة عنه، وأما بقية الشبهـات التي وجهت لابن بطة من بعض أهل العلم؛ فإنها مجملة لم يفصلها من ذكرها من الأئمة، وهي تدور حول نسبة «الأوهام» لابن بطة، وقلة الإتقان والضعف في الرواية، فعلى فرض ثبوتها ووقوعها من ابن بطة؛ فإنها لا تقدح فيما أثنى به عليه العلماء من التقوى والصلاح والصدق والإمامة والفقه والعقيدة والحديث، فإنهم مع اتهامهم له بذٰلك؛ فقد وصفوه بالعدالة والصدق والإمامة في السنة والفقه كما سبق ذكره، وأما الخطأ الذي نسب إليه؛ فإنه شيء لم يتعمده الشيخ، وحاشاه من التعمد، ونعم ما قاله الذهبي في حق ابن بطة رحمه الله عندما نقل عن الخطيب قوله: هٰذا باطل والحمل فيه على ابن بطة، وذٰلك عندما روى عن طريق ابن بطة الحديث المتقدم الذي هو: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»؛ قال الذهبي ما نصه: «أفحش العبارة وحاشى الرجل من التعمد، لٰكنه غلط، ودخل عليه إسناد في إسناد»[2].

وربما كان ما لحق بابن بطة من الضعف والوهم إن صح ذٰلك (ربما كان

---

(١) «التنكيل» (١ / ٣٤٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ٥٣١).

ذلك في آخر حياته، وربما كان ذلك أيضاً فيه)؛ كما يقول المعلمي في أول طلبة للعلم حيث بدأ رواية الحديث وهو صغير السن قبل أن يكتب فتداخلت عليه بعض الأسانيد التي أخذها شفاهاً دون كتابة.

أما أحاديث كتاب «الإبانة»؛ فهي بصفة عامة أحاديث مشهورة، رواها أصحاب الكتب الستة وأصحاب المسانيد؛ كـ «مسند الإمام أحمد»، والطيالسي، والدارمي، وأصحاب المصنفات والمعاجم، وغيرها من المصادر المعتبرة في الحديث؛ فلم يرو ابن بطة أحاديث انفرد بها عن الأئمة وهماً وخطأً ليس لها أصل في المصادر المعتبرة، بل كان جل ما رواه في هذا الكتاب أحاديث صحيحة أو حسنة أو آثار مرفوعة لها أصل في المصادر المعتبرة، رواها الأئمة في مصنفاتهم بأسانيد متصلة إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة؛ كما هو موضح في تخريجنا لهذا الكتاب، والأحاديث الضعيفة قليلة تبلغ حوالي (٢٦) حديثاً مقابل مئات من الأحاديث الصحيحة، مع العلم بأن إخراج الأحاديث الضعيفة لا يدل على ضعف راويها، وقد روى كثير من الأئمة الحفاظ الأحاديث الضعيفة في مؤلفاتهم؛ فلم يقدح ذلك في ثقتهم وأمانتهم، بل يرى غير واحد من الأئمة كالإمام أحمد وأبي داود أن إخراج الأحاديث الضعيفة والأخذ بها أولى من الاعتماد على آراء الرجال إذا لم يوجد في الباب غيره من الأحاديث[١]، وغاية القول؛ براءة ابن بطة مما اتهم به من تعمد التغيير والتحريف في أسانيده، وأن أمانته في الحديث ثابتة لا يطعن فيها وقوع بعض الأحاديث القليلة الضعيفة في كتبه، وأننا لم نجد ما يدل على وهمه وضعفه، ولو فرض وكان منه ذلك مما صوغ لبعض العلماء أن يتهموه بالضعف والوهم؛ فلا بد وأنه من القلة بحيث لم يمنع هؤلاء الأئمة من الثناء عليه من اتهامهم له بالضعف في الحفظ، وإن دل هذا على شيء؛ فإنما يدل على دقة هؤلاء العلماء في نقد الرجال، وتحرجهم

---

(١) انظر: «قواعد التحديث» لجمال الدين القاسمي (ص ١١٧ ـ ١١٨).

الشديد فيما يصدرونه من أحكام طبقاً للقواعد الدقيقة التي أصلوها ليبنوا عليها أحكامهم في نقد الرجال والأقوال.

الباب الثاني

التعريف بالكتاب

ويشتمل على فصلين:

= **الفصل الأول: في اسم الكتاب:**

- تحقيق نسبة الكتاب إلى المؤلف.
- موضوع الكتاب.
- أقسام الكتاب وموضوعاتها تفصيلًا.
- أسباب تأليف الكتاب.
- مصادر الكتاب.
- قيمة الكتاب بين الكتب السلفية في العقيدة.

= **الفصل الثاني: وصف المخطوطة وبيان منهج التحقيق:**

- تمهيد.
- النسخة الأصلية للمجلد الثاني.
- النسخة المختصرة.
- منهجي في التحقيق.
- صور المخطوط.

الفصل الأول

في اسم الكتاب

اشتهر هٰذا الكتاب باسم كتاب «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة»، هٰكذا ورد مكتوباً بهٰذا الاسم في أوائل الأجزاء السبعة التي اشتمل عليها المجلد الثاني من النسخة التيمورية، ابتداء من الجزء الثامن إلى الجزء الرابع عشر، كما جاء مكتوباً بنفس الاسم في النسخة الظاهرية في أوائل الجزء الرابع والخامس، وهي تضم المجلد الأول من الكتاب، كما عرف بهٰذا الاسم بين المترجمين / لابن بطة، وبين المؤلفين من أهل العلم قديماً وحديثاً ولا سيما لدى السلفيين الذين يأخذون الأدلة من هٰذا الكتاب كمرجع أساسي لمسائل العقيدة، ولم يختلف أحد في تسمية هٰذا الكتاب بهٰذا الاسم، وإن كان البعض منهم يذكره بالاختصار باسم «الإبانة الكبرى»، أو باسم «الإبانة في أصول الديانة»، أو باسم «الإبانة» فقط، فإذا ذكر كتاب «الإبانة» / لابن بطة مطلقاً (أي: بدون إضافة)؛ فالمراد به «الإبانة الكبرى»؛ كما يفعل شيخ الإسلام / ابن تيمية وابن القيم في نقولهما عنه، ووجود اسم الكتاب في أوائل كل جزء من أجزاء هٰذا الكتاب دليل على أن هٰذا العنوان هو الذي اختاره المؤلف رحمه الله.

● تحقيق نسبة الكتاب إلى المؤلف:

لا يختلف أهل العلم في نسبة كتاب «الإبانة» لابن بطة، ويدل على صحة هٰذه النسبة دلائل عديدة؛ منها:

أولاً: مجيء نسبة هٰذا الكتاب للمؤلف منصوصاً عليه في مستهل جميع الأجزاء السبعة التي اشتملت عليها نسخة المكتبة التيمورية بالقاهرة بهٰذه العبارات التالية: «كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة»، تأليف أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة رحمه الله.

ثانياً: السند المتصل للمؤلف في نسبة هٰذا الكتاب إليه مسجلاً في مطلع كل جزء من الأجزاء السبعة المذكورة، وهو كما يلي:

رواية الشيخ أبي القاسم علي بن أحمد بن محمد بن علي البسري بالإجازة عنه (أي: عن ابن بطة).

رواية الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن عبيد الله بن نصر بن عبيد الله الزاغوني، نفعنا الله وإياه بالعلم؛ آمين.

وقد جاء هٰذا السند المتصل مسجلاً هٰكذا في بداية الجزء الخامس والسادس والسابع من المجلد الأول أيضاً.

ثالثاً: تنصيص كثير من المؤلفين قديماً وحديثاً على أن هٰذا الكتاب «الإبانة» من أجلّ مؤلفات ابن بطة وأعظمها نفعاً وحجماً، وإليك فيما يلي نصوصاً من الأئمة تصرح بنسبة هٰذا الكتاب للمؤلف.

قال القاضي ابن أبي يعلى في كتابه «طبقات الحنابلة»[1] بعد ترجمة طويلة لأبي عبد الله بن بطة؛ قال ما نصه: «فلنذكر الآن بعض مصنفاته: «الإبانة الكبيرة»، و«الإبانة الصغيرة». . . » إلخ.

وقال الحافظ الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء»[2]: «أبو عبد الله. . .

---

(١) (٢ / ١٥٢).

(٢) (١٦ / ٥٢٩).

ابن بطة مصنف كتاب «الإبانة الكبرى» في ثلاث مجلدات».

وقال أيضاً في كتابه «العلو للعلي الغفار»: «قال المروزي: قلت لأبي عبد الله: إن رجلاً قال: أقول كما قال الله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، أقول هٰذا ولا أجاوزه إلى غيره؛ فقال: «هٰذا كلام الجهمية»، بل علمه معهم؛ فأول الآية يدل على أنه علمه، رواه ابن بطة في كتاب «الإبانة» عن عمر بن محمد رجاء عن محمد بن داود عن المروذي»(١).

وقال أيضاً في موضع آخر من هٰذا الكتاب: «قال الإمام أبو عبد الله بن بطة العكبري مصنف «الإبانة الكبرى» في السنة، وهو أربع مجلدات»(٢).

وقال أيضاً في موضع آخر من نفس الكتاب: «قال الإمام الزاهد أبو عبد الله ابن بطة العكبري، شيخ الحنابلة في كتاب «الإبانة» من جمعه وهو ثلاث مجلدات: باب الإيمان بأن الله بائن من خلقه وعلمه، محيط بخلقه... » إلخ(٣).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ينقل كثيراً من «كتاب الإبانة» منسوباً إلى ابن بطة عندما يريد بيان مذهب السلف في مسائل العقيدة.

قال في «الفتاوى»(٤): «روى الأثرم في السنة، وأبو عبد الله بن بطة في «الإبانة»، وأبو عمر الطلمنكي... » إلخ.

وقال أيضاً في موضع آخر من نفس الكتاب: «أما رسالة أحمد بن حنبل

---

(١) انظر: «مختصر العلو للعلي الغفار» تحقيق وتعليق محمد ناصر الألباني، نشر المكتب الإسلامي (ص ١٩٠).

(٢) «مختصر العلو للعلي الغفار» (ص ٢٢٣).

(٣) «مختصر العلو للعلي الغفار» (ص ٢٥٢ - ٢٥٣).

(٤) (٥ / ٤٢).

إلى مسدد بن مسرهد؛ فهي مشهورة عند أهل الحديث والسنة من أصحاب أحمد وغيرهم، تلقوها بالقبول، وقد ذكرها أبو عبد الله بن بطة في كتاب «الإبانة»»[١].

وقال أيضاً في «الفتاوى»: «وأما حديث ابن مسعود؛ ففي جميع طرقه؛ مرفوعها، وموقوفها؛ التصريح بذلك، وإسناد حديث ابن مسعود أجود من جميع أسانيد هٰذا الباب، ورواه أبو عبد الله بن بطة في «الإبانة» بإسناد آخر من حديث أنس أجود من غيره. . .»[٢].

وكذٰلك العلامة ابن قيم الجوزية أكثر النقل عن الإمام ابن بطة في كتابه «الإبانة» منسوباً إليه، من ذٰلك قوله في كتابه «شفاء العليل»[٣] وهو في صدد بيان مذهب السلف في معنى الفطرة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية بعد أن ذكر بعض معاني الفطرة عند علماء السنة؛ قال ما نصه: «وهٰذا تأويل ابن قتيبة وذكره ابن بطة في «الإبانة». . .» إلخ، كما نقل عنه في كتابه «حادي الأرواح»، نقل عنه نقولاً أكثرها يتعلق بمروياته؛ منها حديث أنس المرفوع: «بينما نحن حول رسول الله ﷺ؛ إذ قال: «أتاني جبريل في يده كالمرآة البيضاء، في وسطها النكتة السوداء؛ قلت: يا جبريل! ما هٰذا. . .» الحديث؛ قال: «ورواه ابن بطة في «الإبانة» من حديث الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة»[٤].

وقد أكثر ابن القيم النقل عن «الإبانة» في هٰذا الكتاب، ونكتفي بهٰذا

---

(١) انظر: «الفتاوى» (٥ / ٣٩٦).

(٢) «الفتاوى» (٦ / ٤٠٢).

(٣) (ص ٢٨٣).

(٤) انظر: «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤)، مطبعة المدني، تصحيح علي صبح المدني.

القدر خوف الإطالة.

وقال المؤرخ الفقيه ابن العماد الحنبلي في كتابه «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»[1] نقلاً عن ابن ناصر الدين: «كان (يعني: ابن بطة) أحد المحدثين العلماء الزهاد، ومن مصنفاته «الإبانة في أصول الديانة». انتهى كلامه.

وعقد العليمي في كتابه «المنهج الأحمد» بعد أن ذكر ترجمة ابن بطة مطولاً عنواناً قال فيه: «ذكر بعض مصنفاته»، ثم قال: ««الإبانة الكبرى»، «الإبانة الصغرى»، «السنن». . . » إلخ[2].

قال شارح «الطحاوية»: «روى ابن بطة بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال: لا تسبوا أصحاب محمد؛ فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم أربعين سنة»، وقال محققه: «إسناده صحيح»[3].

وهٰذا الأثر في المجلد الرابع من «الإبانة» الذي فيه الكلام على الصحابة[4].

رابعاً: ومما يدل على صحة نسبة كتاب «الإبانة» لابن بطة؛ وجود سلسلة من السماعات التي تؤكد نسبة هٰذا الكتاب للمؤلف في نهاية كل جزء من الأجزاء السبعة التي يحتوي عليها المجلد الثاني، كما توجد هٰذه السماعات أيضاً مع كل جزء من الأجزاء السبعة التي اشتمل عليها المجلد الأول، وهي كثيرة تبلغ (٧٣) سماعاً، نذكر منها فيما يلي بعض السماعات الواردة في الأجزاء الأربعة التي قمنا بتحقيقها.

---

(١) وذٰلك في (٣ / ١٢٢).

(٢) «المنهج الأحمد» (٢ / ٨٤).

(٣) والمحقق هو ناصر الدين الألباني، وذٰلك في (ص ٥٣٠).

(٤) تحقيق المجلد الأول من كتاب «الإبانة» للدكتور رضا بن نعسان معطي (ص ١٠١).

جاء في نهاية الجزء الثامن صفحة (٦١ ـ ٦٢) ما نصه: «الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآل محمد الطيبين وسلم تسليماً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، سمع جميع هٰذا الجزء من أوله إلى آخره على الشيخ، الإمام، الأحد، السند، الأوحد، ناصر السنة، أبي الحسن، علي بن عبيد الله ابن بقية الزاغوني، أحسن الله توفيقه، بقراءة الشيخ أبي الفضل جعفر بن زيد ابن عبد الرزاق الشامي الشيوخ: الشيخ الإمام أبو القاسم موسى بن أحمد بن محمد بن أحمد اليسادري، والشيخ أبو الحسن علي بن زيد الشامي، والشيخ أبو الحسن علي بن وهب العاقولي، وولد صاحب الجزء القارىء زيد بن أبي الفضل جعفر، والشيخ أبو الفتح فتحان ابن الفرا الكرجي الفقيه وذٰلك في يوم الثلاثاء رابع عشرين من شهر صفر سنة أربع عشرة وخمس مئة.

وسمعه أيضاً الشيخ الصالح أبو نصر منصور بن أحمد بن محمد الخطيب الجهرمي، وسمعته أيضاً علم المعروفة بست مختار الدمشقية، وكتب جعفر بن زيد حامد الله تعالى ومصلّياً على نبيه محمد وآله الطاهرين وسلم تسليماً دائماً أبداً.

شاهدت على الأصل بالجزء الثامن سماع جماعة من أبي الحسن علي ابن عبد الله بن نصر الزاغوني بقراءة ابن ناصر؛ منهم أبو منصور عبد الله، وأبو طاهر إبراهيم، وأبو القاسم عبد الرحمٰن، وأبو الفرج عبد العزيز بنو محمد بن أحمد ابن حمدية العكبري في جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وخمس مئة، وشاهدت عليه أيضاً سماع شيخنا جمال الداراني الفرج بن الجوزي علي أبي الحسن ابن الزاغوني في ثلاث وعشرين وخمس مئة، ونقل جميع ذٰلك من أصل ابن ناصر يوسف ابن خليل سنة سبع وثمانين وخمس مئة ببغداد، وسمع مع الجماعة بقراءة ابن ناصر أبو جعفر أحمد بن عمر بن بركة بن بشر البزار على ابن الزاغوني سنة أربع وعشرين وخمس مئة، سمع الجزء جميعه في مجلسين أخرجهما يوم الجمعة ثامن من ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وخمس مئة على

الشيخ الفقيه الإمام العالم سربد الدين محمد عبد الكافي بن عبد الوهاب بن أبي الفرج الحنبلي أيده الله؛ الشيخ ناصر بن جعفر بن محصن النجار، والشيخ أبو الطالب بن إبراهيم بن عبد الباقي من أهل كفر بطنا[1]، وعبد السلام بن ناصر ابن أبي السرايا الساج، وعبد الجبار بن علي بن أبي القاسم، وأحمد بن عدي ابن حسن الجلاد، وحسن بن حسين بن عبد الله، والفقيه عبد الوهاب بن حسن ابن حيدر الهمذاني الأصل، ويحيى بن بشر بن إبراهيم الخياط، وعبد الغالب ابن نصر بن عبد الله الفلاح، وأحمد بن صالح بن رجب، وأبو الخير بن منصور ابن أبي الخبر النساج، وسالم ابن أبي المنى بن عبد الله النابلسي، وعمر بن عبد الباقي بن نصر المقدسي، وعبد الحق بن خلف بن عبد الحق، ويوسف بن علي بن أبي الحسين المقرىء، وإلياس بن عبد الله الآدمي، وخلف بن جعفر ابن حفاظ، والفقيه خضر بن محمد بن عبد الله الآدمي، وذلك بقراءة سلامة بن إبراهيم بن سلامة الحداد والخط له في التاريخ.

سمع على جميع هٰذا الجزء بسماعي من أحمد بن عمر بن بركة البزاز عن ابن الزاغوني عن ابن البسري عن ابن بطة إجازة بقراءة برهام العالم صدر الدين أبي حفص عمر بن سعيد بن عبد الواحد بن بحمشي الحلبي؛ ابن أخته شهاب الدين أبو طالب عبد الرحمٰن بن محمد بن عبيد الله بن العجمي، والإمام شمس الدين أبو المظفر عبيد الله بن حرم بن يوسف بن حمير، دكين الصورتي ثم الدمشقي، وبدر الدين أبو الحسن علي بن محمد بن العقاب الأسدي، والعفيف جعفر بن أبي حامد بن سلمان الخازن، والشيخ تميم بن

---

(١) بفتح أوله وسكون ثانيه، وبعض بفتحها أيضاً، ثم راء وفتح الباء الموحدة وطاء مهملة ساكنة ونون: قرية من قرى غوطة دمشق من إقليم داعية.

قال أبو القاسم الدمشقي: «سكنها معاوية بن أبي سفيان بن عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، ونسب إليها وثيق بن أحمد بن عثمان بن محمد السلمي «الكفر بطناني»». «معجم البلدان» لياقوت بن عبد الله الحموي (٤ / ٤٦٨).

سعيد بن عبد الله المقري المغربي، والزكي أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله ابن أحمد بن عبد الواحد ابن الضبي، وسمع من أوله إلى البلاغ بعد النصف[1] الحاج عبد الغفار بن عبد الله السيفي التركي، وذلك في مجلسين آخرهما يوم الثلاثاء سلخ جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وست مئة، وكتبه يوسف بن خليل ابن عبد الله الدمشقي.

ومن السماعات الواردة في آخر الجزء التاسع ما يلي:

حدثنا أبو جعفر عمر بن رجاء / خ، وحدثني أبو صالح محمد بن محمد؛ قالا: حدثنا أبو جعفر محمد بن داود البصروي[2]؛ قال: حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري:

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً، سمع هذا الجزء من أوله إلى آخره على الشيخ الإمام ناصر السنة أبي الحسن علي ابن عبيد الله بن نصر بن الزاغوني، أطال الله بقاءه، سمعته المشايخ؛ منهم الشيخ الفقيه أبو الفتح فتحان بن أبي طاهر بن فتحان بن القرا الكراجي، والشيخ الصالح أبو نصر منصور بن أحمد بن محمد الخطيب الجهرمي؛ حفظه الله بما حفظ به الذكر، وسمعته علم الدمشقية المعروفة بست[3] مختار، وكاتب السماع صاحب الكتاب جعفر بن زيد دبل بن عبد الرزاق الشامي، وولده أبو الثّمار زبد جيرة الله ونسر الصالحين، وذلك في شهر

(١) يوجد في موضع البياض كلمة غامضة غير مقروءة في المخطوطة.

(٢) في القاموس: «البصروي» نسبته إلى بصرى، كحبلى بلد بالشام أو قرية ببغداد قرب عكبراء، منها محمد بن خلف الشاعر «البصروي».

(٣) قال السيوطي في «المزهر» (ج ١، ص ٣٠٦): «وقولهم: ستي؛ بمعنى: سيدتي: مولد، ولا يقال: ست؛ إلا في العدد». مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

صفر في يوم السبت سنة أربع عشرة وخمس مئة، وكتب أبو الفضل جعفر حامداً لله عز وجل ومصليّاً على رسوله محمد وآل محمد وسلم تسليماً دائماً أبداً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

سمع جميع الجزء في مجلسين؛ آخرهما في العشر الأخر من الحجة سنة إحدى وسبعين وخمس مئة على الشيخ الإمام الأجل سديد الدين والإسلام أبي محمد عبد الكافي بن عبد الوهاب بن أبي الفرج الحنبلي بحق الإجازة من ابن الزاغوني؛ الشيخ أبو طالب عبد الله بن إبراهيم بن عبد الباقي، . وناصر بن جعفر بن محصن النجار، ويوسف بن علي بن أبي الحسين، وعثمان بن أبي المنى ابن عبد الحكم، وعبد السلام بن ناصر ابن أبي السرايا، وعمر بن عبد الباقي بن نصر المقدسي، وعلي بن عبد الوهاب بن سالم، وعلي بن منصور بن الحسين المقري، والفقيه أبو الفتح ناصر بن عبد المنعم بن شمخ الشاغوري، وعلي بن عبد الله، وإلياس بن عبد الله الآدمي، وولده أحمد، ويوسف بن وثاب بن عطاء، وسالم ابن أبي المنى ابن عبد الله النابلسي، وأبو بكر بن محمود بن شمخ، وخلف بن جعفر بن حفاظ، وأحمد بن صالح بن رجب، وأحمد بن عدي بن حسن الجلاد، وحسن بن حسين بن عبد الله، وأبو الخير ابن منصور ابن أبي الخير النساج، والفقيه عبد الوهاب بن حسن بن حيدر بقراءة سلامة بن إبراهيم بن سلامة الحداد، وسمع أيضاً عبد الغالب بن حبة بن عبد الله الفلاح، وعبد الحق بن خلف بن عبد الحق، وعبد الحق بن مهد بن شاكر الفدا.

وسمع من (باب الإيمان بأن الشيطان مخلوق)؛ يوسف بن عيسى بن فضل، وعبد الوهاب بن سعيد، وعبد الله وجماعة آخرون في التاريخ المذكور في أول الطبقة / جامع دمشق / مهد الله تعالى بالمسلمين.

شاهدت على الأصل بالجزء التاسع سماع جماعة على الشيخ أبي

الحسن علي ابن عبد الله بن نصر بن الزاغوني؛ منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حمدية العكبري، وبنوه؛ أبو منصور، وأبو طاهر، وأبو الفرج، وهبة الله عن عبد الوهاب ابن أبي حبة، وولده عبد الوهاب، وأبو جعفر أحمد بن عمر بن بركة بن بشر البزار، وذلك بقراءة أبي الفضل بن ناصر.

ومن السماعات الواردة في الجزء العاشر ما يلي:

والحمد لله رب العالمين أبداً، وصلواته على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وسلم تسليماً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قرأت جميعه على الشيخ الإمام ناصر السنة أبي الحسن علي بن عبد الله ابن نصر بن الزاغوني، أطال الله بقاءه، وسمعه معي جماعة المشايخ؛ منهم الشيخ الصالح أبو نصر منصور بن أحمد بن محمد الخطيب الجهرمي الفارسي، والشيخ علي بن وهب بن مساور العاقولي، والشيخ سعدان بن حسن بن عبد الله الخباز، والشيخ الفقيه أبو الفتح فتحان بن القرا الكرجي، وكاتب السماع صاحب الكتاب جعفر بن زيد بن عبد الرزاق الشامي، وولده زيد جيره الله، وعلم الدمشقية المعروفة بست مختار، وسمع علي بن زيد بن عبد الرزاق الشامي من قول طاوس اليماني إلى آخره، وذلك في يوم الأربعاء الثالث من شهر ربيع الأول سنة أربع عشرة وخمس مئة، والحمد لله حق حمده، وصلواته على محمد وآله وسلم.

سمع جميع هذا الجزء في مجالس آخرها يوم الجمعة في العشر الأخر من صفر سنة ثلاث وسبع مئة على الشيخ الإمام الأجل سديد الدين أبي محمد عبد الكافي بن عبد الوهاب بن أبي الفرج الحنبلي الشيخ عبد السلام بن ناصر ابن سرايا، وعمر بن عبد الباقي بن علي المقدسي، وعبد الحق بن خلف بن عبد الحق، وعبد الحق بن مهدي بن شاكر الفدا، وعلي بن أبي منصور الحسين العراقي، ويوسف ابن علي بن أبي الحسن، وأبو الخير بن منصور بن أبي الخير

النساج، وأحمد بن صالح بن رجب، وحسن بن حسن بن عبد الله، والعقيد عبد الوهاب بن حسن بن حيدر الهمداني الأصل، وعلي بن عبد الله الحنبلي، وذٰلك بقراءة سلامة بن إبراهيم بن سلامة بن أحمد، وهٰذا خطه بجامع دمشق في التاريخ المذكور في أول الطبقة، وجماعة آخرون لا نعرف أسماءهم؛ سماعهم على تمام.

سمع جميع الجزء في مجلسين على الشيخ، الإمام، الأجل، سديد الدين، أبي محمد، عبد الكافي بن عبد الوهاب بن أبي الفرج الحنبلي أيده الله؛ الشيخ ناصر بن جعفر بن محصن النجار، وعبد السلام بن ناصر بن سرايا النساج، وعلي ابن أبي منصور بن حسين العراقي، وعمر بن عبد الباقي بن نصر المقدسي، ويوسف بن علي بن أبي الحسين المقري، وعلي بن عبد الله، ومنصور بن أبي الخير ابن عبد الله، وولده أبو الخير النساج، ويوسف بن عيسى ابن فضل المؤذن، وحسن بن حسين بن عبد الله الحنبلي، وعبد الحق بن خلف ابن عبد الحق، والفقيه عبد الوهاب بن حسن بن حيدر الهمداني الأصل، وعلي ابن عبد الله، وخلف بن جعفر بن حفاظ النساج بقراءة سلامة بن إبراهيم بن سلامة الحداد والخط له، وكان آخر المجلس يوم الجمعة الخامس والعشرون من ربيع الأول سنة اثنتين وسبع مئة، وسمع أيضاً جماعة متفرقون لم نقف على أسمائهم، وسمع أيضاً الجميع يوسف بن حدارة النساج الشاغور بن محمد مع الجماعة.

وجاء من السماعات في الجزء الحادي عشر ما يلي:

قرأت جميع هٰذا الجزء على الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن عبيد الله ابن نصر بن الزاغوني، وسمع معي الشيخ الصالح أبو نصر منصور بن أحمد بن محمد الخطيب الجهرمي الفارسي، وعلم بنت عبد الله المعروفة بست مختار الدمشقية، وصاحب الكتاب جعفر بن زيد بن عبد الرزاق، وولده زيد جبره الله،

وذٰلك في يوم السبت الثالث عشر من ربيع الأول سنة أربع عشرة وخمس مئة، والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين.

وسمعه أيضاً الشيخ أبو الفتح فتحان بن أبي طاهر بن فتحان بن القرا الكرجي، سمع جميع الجزء على الشيخ، الإمام، العالم، أبي الحسن، علي ابن عبيد الله بن نصر بن الزاغوني أيده الله بطاعته؛ يحيى بن محمد بن إبراهيم الحجازي أبو حفص، وعمر بن المبارك بن أحمد بن سهلانا، وعبد الله بن محمد بن الشاعر في شهر جمادى الأخرة من سنة تسع عشرة وخمس مئة.

سمع جميع هٰذا الكتاب من أوله إلى هٰهنا على الشيخ، الفقيه، الإمام، سديد الدين، ابن الفقيه الإمام شرف الإسلام؛ عبد الوهاب الحنبلي أيده الله، وولده الفقيه عبد الوهاب، ومحمد بن أحمد بن محمد، وأخوه عبد الله، وولده عمر، وعثمان بن أبي المحب عبد الحاكم الحنبلي، وعبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمٰن، وعبد الملك بن عثمان بن عبد الله المقدسي، وخليل بن يونس ابن عبد الله السناني الحنبلي، وخلف بن جعفر بن حفاظ، وإبراهيم بن علي ابن فهد القرا، ومحمد بن أبي حكم بن عبد الله بن سعد، وفضل بن أبي بكر ابن بلال المقدسي، ويوسف بن علي بن أبي الحسن، خطه سعسع، وسمع الجزء الأخير أحمد بن صدقة المصري، وناصر بن سليمان بن علي، وسمع من باب أعلام النبي ﷺ لأمته طريق الأمم قبلهم عبد الرحمٰن بن أبي الطوسي بلال، وسمع الجميع سالم بن أبي المنى ابن عبد الله النابلسي.

سمع جميع الجزء على الشيخ، الإمام، العالم، أبي الحسن، علي بن عبد الله بن نصر ابن الزاغوني أيده الله بطاعته؛ أبو علي محمد بن إبراهيم الحجازي أبو حفص، وعمر ابن المبارك بن أحمد بن سهلاناً في شهر جمادى الآخرة في سنة عشرين وخمس مئة.

● موضوع الكتاب:

موضوع هٰذا الكتاب؛ جمع الأدلة من الكتاب الكريم، وروايته للأحاديث النبوية الشريفة الواردة في العقيدة، وشرح عقائد السلف والتعليق عليها، والرد على الطوائف المنحرفة المخالفة لمنهج الكتاب والسنة من المرجئة، والقدرية، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة؛ فقد استعرض المؤلف رحمه الله في هٰذا الكتاب جميع أو معظم مسائل العقيدة السلفية بأدلتها من الكتاب والسنة، ورواية الآثار الواردة عنهم في بيان العقيدة السلفية، ومنهج المؤلف في هٰذا الكتاب أن يضع العقيدة التي يريد أن يقررها على رأس كل باب من أبواب الكتاب، ثم يبدأ بالاستدلال عليها بالآيات القرآنية أولاً، ثم بالأحاديث النبوية، ثم بالإجماع وأقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة.

وسنورد موضوع كل باب من أبواب الكتاب عند حديثنا عن أقسام الكتاب في الفقرة التالية.

● أقسام الكتاب وموضوعاتها تفصيلاً:

يتألف كتاب «الإبانة» من ثلاثة أو أربعة مجلدات[1]:

أما المجلد الأول والثاني؛ فيحتويان على أربعة عشر جزءاً، وهٰذه الأجزاء تحتوي على أربعة وسبعين باباً.

---

(١) وصف الذهبي هٰذا الكتاب بأنه أربع مجلدات تارة، وثلاث مجلدات تارة أخرى.

قال في كتابه «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ٥٢٩): «ابن بطة مصنف كتاب «الإبانة» في ثلاث مجلدات، ومن الغريب أنه وصفه في كتاب «العلو للعلي الغفار» بأنه ثلاث مجلدات وذٰلك في (ص ١٧٠)، وفي موضع آخر من نفس الكتاب وصفه بأنه في أربع مجلدات وذٰلك في (ص ١٥٠)، ولٰكن يمكن الجمع بين القولين بأنه اطلع على نسختين من الكتاب؛ فوصفه تارة بأنه كان في ثلاث مجلدات، وتارة أخرى في أربع مجلدات.

المجلد الأول:

يشتمل المجلد الأول على سبعة أجزاء، والسبعة الأجزاء تحتوي على واحد وثلاثين باباً؛ فالجزء الأول منه يتضمن خمسة أبواب، وهي كما يلي:

١ ـ باب ذكر الأخبار والآثار التي دعت إلى جمع هٰذا الكتاب وتأليفه.

٢ ـ باب ما افترض الله تعالى نصّاً في التنزيل من طاعة الرسول ﷺ.

٣ ـ باب ذكر ما جاءت به السنة من طاعة رسول الله ﷺ، والتحذير من طوائف يعارضون سنن رسول الله ﷺ بالقرآن.

٤ ـ باب ذكر ما نطق به الكتاب نصّاً في محكم التنزيل بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة.

٥ ـ باب ذكر ما أمر به النبي ﷺ من لزوم الجماعة والتحذير من الفرقة.

أما الجزء الثاني؛ فإنه يتضمن ثلاثة أبواب:

١ ـ باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة والأخذ بها وفضل من لزمها.

٢ ـ باب ذكر افتراق الأمم في دينهم، وعلى كم تفترق هٰذه الأمة وأخبار النبي لنا بذٰلك ﷺ.

٣ ـ باب ترك السؤال عما لا يعني والبحث والتنقير عما لا يضر جهله، والتحذير من قوم يتعمقون في المسائل ويتعمدون إدخال الشكوك على المسلمين.

أما الجزء الثالث؛ فإنه يتكون من بابين:

١ ـ باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان.

٢ ـ باب ذم المراء والخصومات في الدين والتحذير من أهل الجدل والكلام.

أما الجزء الرابع؛ فإنه يتضمن خمسة أبواب:

١ ـ باب التحـذير من استمـاع كلام قوم يريدون نقض الإسـلام ومحو شرائعه؛ فيكنون عن ذٰلك بالطعن على فقهاء المسلمين.

٢ ـ باب إعلام النبي ﷺ لأمته ركوب طريق الأمم قبلهم وتحذيره إياهم.

٣ ـ باب إعلام النبي ﷺ لأمته أمر الفتن الجارية وأمره لهم بلزوم البيوت.

٤ ـ باب تحذير النبي ﷺ من قوم يتجادلون بمتشابه القرآن، وما يجب على الناس من الحذر منهم.

٥ ـ باب النهي عن المراء في القرآن.

الجزء الخامس ويتألف من ثمانية أبواب، وهي:

١ ـ باب معـرفـة الإيمان، وكيف نزل به القرآن وترتيب الفرائض، وأن الإيمان قول وعمل.

٢ ـ باب معرفة اليوم الذي نزلت فيه هٰذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾.

٣ ـ باب معرفة الإسلام وعلى كم بني.

٤ ـ باب معرفة الإسلام والإيمان، وسؤال جبريل ﷺ عن ذٰلك.

٥ ـ باب فضائل الإيمان وعلى كم شعبة هو وأخلاق المؤمنين وصفاتهم.

٦ ـ باب كفر تارك الصلاة ومانع الزكاة، وإباحة قتالهم إذا فعلوا ذٰلك.

٧ ـ باب ذكر الأفعال والأقوال التي تورث النفاق وعلامات المنافقين.

٨ ـ باب ذكر الذنوب التي من ارتكبها؛ فارقه الإيمان، فإن تاب؛ راجعه.

الجزء السادس، ويشتمل على أربعة أبواب:

١ ـ باب ذكر الذنوب التي تصير بصاحبها إلى كفر غير خارج به عن الملة.

٢ ـ باب أن الإيمان خوف ورجاء.

٣ ـ باب بيان وجوب الإيمان وفرضه، وأنه تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح والحركات، ولا يكون المؤمن مؤمناً إلا بهٰذه الثلاثة.

٤ ـ باب ذكر الآيات من كتاب الله عز وجل في ذٰلك.

الجزء السابع، ويتكون من أربعة أبواب:

١ ـ باب زيادة الإيمان ونقصانه، وما دل على الفاضل فيه والمفضول.

٢ ـ باب الاستثناء في الإيمان.

٣ ـ باب سؤال الرجل لغيره: أمؤمن أنت، وكيف الجواب له، وكراهية العلماء هٰذا السؤال، وتبديع المسائل عن ذٰلك.

٤ ـ باب القول في المرجئة وما روي فيه، وإنكار العلماء لسوء مذهبهم[1].

المجلد الثاني ومحتوياته:

يبدأ المجلد الثاني من كتاب «الإبانة» من الجزء الثامن؛ أوله كتاب القدر، وينتهي بالجزء الرابع عشر، وهو يشتمل على سبعة أجزاء أيضاً، والسبعة الأجزاء تشتمل على ثلاث وأربعين باباً، والجزء الأول منه يشتمل على ثمانية

---

(١) تحقيق المجلد الأول من كتاب «الإبانة» للدكتور رضا معطي (ص ١١٦ ـ ١١٩).

أبواب، وهي كما يلي:

١ ـ باب ذكر ما أخبرنا الله تعالى في كتابه أنه ختم على قلوب من أراد من عباده؛ فهم لا يهتدون إلى الحق ولا يسمعونه ولا يبصرونه، وأنه طبع على قلوبهم.

٢ ـ باب ذكر ما أعلمنا الله تعالى في كتابه، أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه لا يهتدي بالمرسلين والكتب والآيات والبراهين إلا من سبق في علم الله أنه يهديه.

٣ ـ باب ذكر ما أخبرنا الله تعالى أنه أرسل المرسلين إلى الناس يدعونهم إلى عبادة رب العالمين، ثم أرسل الشياطين على الكافرين تحرضهم على تكذيب المرسلين، ومن أنكر ذلك؛ فهو من الفرق الهالكة.

٤ ـ باب ذكر ما أعلمنا الله تعالى أن مشيئة الخلق تتبع لمشيئته، وأن الخلق لا يشاؤون إلا ما شاء الله.

٥ ـ باب ما روي أن الله تعالى خلق خلقه كما شاء، لما شاء، فمن شاء؛ خلقه للجنة، ومن شاء؛ خلقه للنار، سبق بذلك علمه ونفذ فيه حكمه وجرح به قلمه، ومن جحده؛ فهو من الفرق الهالكة.

٦ ـ باب الإيمان بأن الله أخذ ذرية آدم من ظهره فجعلهم فريقين؛ فريقاً للجنة، وفريقاً للسعير.

٧ ـ باب الإيمان بأن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرضين، ومن خالف ذلك؛ فهو من الفرق الهالكة.

٨ ـ باب الإيمان بأن الله تعالى خلق القلم فقال له: اكتب، فكتب ما هو كائن، فمن خالفه؛ فهو من الفرق الهالكة.

الجزء التاسع، وهو الثاني من كتاب القدر، وفيه عشرة أبواب:

١ ـ باب الإيمان بأن الله عز وجل كتب على آدم المعصية قبل أن يخلقه، فمن رد ذلك؛ فهو من الفرق الهالكة.

٢ ـ باب الإيمان بأن السعيد والشقي من سعد أو شقي في بطن أمه، ومن رد ذلك؛ فهو من الفرق الهالكة.

٣ ـ باب الإيمان بأن الله عز وجل إذا قضى من النطفة خلقاً كان وإن عزل صاحبها، ومن رد ذلك؛ فهو من الفرق الهالكة.

٤ ـ باب التصديق بأن الإيمان لا يصح لأحد ولا يكون العبد مؤمناً حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وأن المكذب بذلك إن مات عليه؛ دخل النار، والمخالف لذلك من الفرق الهالكة.

٥ ـ باب الإيمان بأن الشيطان مخلوق مسلط على بني آدم، يجري منه مجرى الدم؛ إلا من عصمه الله، ومن أنكر ذلك؛ فهو من الفرق الهالكة.

٦ ـ باب الإيمان بأن كل مولود يولد على الفطرة وذراري المشركين.

٧ ـ باب ما روى في المكذبين في القدر.

٨ ـ باب ما روى في ذلك من الصحابة ومذهبهم في القدر رحمهم الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

٩ ـ باب ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك.

١٠ ـ باب ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذلك.

الجزء العاشر، وهو الثالث من كتاب القدر، ويحتوي على ثلاثة أبواب:

١ ـ باب ما روى في الإيمان بالقدر والتصديق به عن جماعة من التابعين.

٢ ـ باب مذهب عمر بن عبد العزيز رحمه الله في القدر وسيرته في القدرية، وفيه رسالة عبد العزيز بن ماجشون.

٣ ـ باب فيما روى عن جماعة من فقهاء المسلمين ومذهبهم في القدر وقول الأوزاعي في ذلك.

الجزء الحادي عشر، وفيه ثلاثة أبواب:

١ ـ باب جامع في القدر وما روي في أهله.

٢ ـ باب ذكر الأئمة المضلين الذين أحدثوا الكلام في القدر، وأول من افتتحه وأنشأه ودعا إليه.

٣ ـ باب ما أمر الناس به من ترك البحث والتنقير عن القدر والخوض فيه والجدال، وما يليه من حديث موسى وعزير وعيسى ابن مريم.

الجزء الثاني عشر، وهو الأول من كتاب الرد على الجهمية، ويحتوي على الأبواب التالية:

١ ـ باب ذكر ما نطق به نص التنزيل من القرآن بأنه كلام الله، وأن الله عالم متكلم.

٢ ـ باب ما جاءت به السنة من رسول الله ﷺ وعن الصحابة بأن القرآن الكريم كلام الله.

٣ ـ باب الإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، خلافاً على الطائفة الواقفة الشاكة، التي وقفت وشكت وقالت: لا نقول مخلوق وغير مخلوق.

٤ ـ باب ذكر اللفظية والتحذير من رأيهم ومقالاتهم.

٥ ـ باب بيان كفر طائفة من الجهمية زعموا أن القرآن ليس في صدور الرجال.

٦ ـ باب اتضاح الحجة في أن القرآن كلام الله غير مخلوق من قول التابعين وفقهاء المسلمين والبدلاء والصالحين، رحمه الله عليهم أجمعين، وكفر من قال: إن القرآن مخلوق، وبيان رده وزندقته.

٧ ـ باب بيان كفرهم وضلالاتهم، وخروجهم عن الملة وإباحة قتلهم.

الجزء الثالث عشر، وفيه ثلاثة أبواب:

١ ـ باب إباحة قتلهم وتحريم مواريثهم على عصبتهم من المسلمين.

٢ ـ باب ما روى في جهم وشيعته الضلال، وما كانوا عليه من قبيح المقال.

٣ ـ باب بيان كفر الجهمية الذين أزاغ الله قلوبهم بما تأولوه من متشابه القرآن.

الجزء الرابع عشر ومحتوياته، يحتوي هٰذا الجزء على تسعة أبواب، وهي:

١ ـ باب ذكر مناظرات الممتحنين بين أيدي الملوك الجبارين الذين دعوا الناس إلى هٰذه الضلالة.

٢ ـ باب ذكر شيء من محنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل وحجاجه لابن أبي داود وأصحابه بحضرة المعتصم.

٣ ـ باب ذكر محنة شيخ من أذنة بحضرة الواثق ورجوع الواثق إلى مذهبه.

٤ ـ باب ذكر مناظرة هٰذا الشيخ بحضرة الواثق أيضاً.

٥ ـ باب مناظرة بين الشحام قاضي الري للواثق.

٦ ـ باب مناظرة رجل آخر بحضرة المعتصم.

٧ ـ باب مناظرة العباس بن مشكويه الهمذاني بحضرة الواثق.

٨ ـ باب القول فيمن زعم أن الإيمان مخلوق.

٩ ـ باب التصديق بأن الله تبارك وتعالى كلم موسى، وبيان كفر من جحد ذلك وأنكره.

كان هٰذا بيان أقسام الكتاب من المجلد الأول والثاني، وأما المجلد الثالث؛ فإنه لا يعرف محتوياته وأقسامه.

وسيأتي الحديث عن بعض محتوياته في الفصل الثاني من هٰذا الكتاب عند الكلام عن وصف المخطوطة إن شاء الله تعالى.

● **أسباب تأليف الكتاب:**

أشار المؤلف إلى ما حمله على تأليف هٰذا الكتاب في مقدمته للمجلد الأول والثاني لهٰذا الكتاب؛ حيث تحدث فيهما عما حدث في عهده من البدع والمنكرات، ووجود كثير من الفرق الضالة عن منهج الكتاب والسنة، وخروجها عن الجادة التي كان عليها سلف الأمة، وذٰلك بتحكيمها العقول، واتباع الهوى، وعدم التمسك بالكتاب والسنة، وذكر أنه لما رأى خطورة الوضع على الأمة الإسلامية في عقيدتها؛ أراد أن يبين رحمه الله أن الواجب على الأمة الإسلامية اتباع منهج القرآن والتمسك بالسنة؛ كما هو الحال في عهده عليه الصلاة والسلام، وعلى ذٰلك مضى سلف الأمة؛ فبياناً لهٰذا الهدف النبيل، وتحذيراً عن السير في طريق الزيغ والضلال؛ ألف هٰذا الكتاب؛ فإليك فيما يلي بعض ما قاله في مقدمته للمجلد الأول:

«أما بعد ـ يا إخواني ـ عصمنا الله وإياكم من غلبة الأهواء ومشاحنة الآراء، وأعاذنا وإياكم من نصرة الخطأ وشماتة الأعداء، وأجارنا وإياكم من غِيَر الزمان وزخاريف الشيطان، وقد كثر المغترون بتمويهاتها، وتباهى الزائفون

والجاهلون بلبسة حلتها؛ فأصبحنا وقد أصابنا ما أصاب الأمم قبلنا، وحل بنا الذي حذَّرَناه نبيُّنا ﷺ من الفرقة والاختلاف وترك الجماعة والائتلاف، وواقع أكثرنا الذي عنه نهينا، وترك الجمهور منا ما به أمرنا؛ فخُلِعت لبسة الإسلام، ونُـزعت حلة الإيمـان، وانكشف الغـطاء، وبـرح الخفـاء؛ فعُبِدت الأهواء، واستُعْمِلت الآراء، وقامت سوق الفتنة وانتشرت أعلامها، وظهرت الردة وانكشف قنـاعها، وقدحت زناد الزندقة فاضطرمت نيرانها، وخلف محمداً ﷺ في أمته فاضـح الخلف، وعظمت البلية، واشتدت الرزية، وظهر المبتدعون، وتنطع المتنطعون، وانتشرت البدع، ومات الورع، ونعق إبليس بأوليائه نعقة فاستجابوا له من كل ناحية وأقبلوا نحـوه مسـرعين من كل قاصية، فألبسوا شيعاً، وميزوا قطعاً، وشمتت بهم أهل الأديان السالفة والمذاهب المخالفة؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، وما ذاك إلا عقوبة أصابت القوم عند تركهم أمر الله، وصدفهم عن الحق، وميلهم إلى الباطل، وإيثارهم أهواءهم، ولله عز وجل عقوبات في خلقه عند ترك أمره ومخالفة رسله؛ فاشتعلت نيران البدع في الدين، وصاروا إلى سبيل المخالفين، فأصابهم ما أصاب من قبلهم من الأمم الماضين، وصرنا في أهل العصر الذين وردت فيهم الأخبار ورويت فيهم الآثار. . .»(١).

وأما مقالته في مقدمته للمجلد الثاني؛ فهي كما يلي: قال بعد أن بين ما كان عليه سلف الأمة من الاستقامة في الدين وعدم اتباعهم سوى كتاب الله وسنة رسوله؛ قال بعد ذلك ما نصه:

«فلم يزل الصـدر الأول على هٰذا جميعـاً؛ على ألفة القلوب، واتفاق المـذاهب؛ كتـاب الله عصمتهم، وسنـة المصـطفى إمامهم، لا يستعملون الآراء، ولا يفزعون إلى الأهواء، فلم يزل الناس على ذٰلك، والقلوب بعصمة مولاهـا محـروسة، والنفوس عن أهوائها بعنايته محبوسة؛ حتى حان حين من

---

(١) تحقيق المجلد الأول من كتابه «الإبانة» للدكتور رضا بن نعسان معطي (ص ١ ـ ٤).

سبقت له الشقوة، وحلت عليه السخطة، وظهر الذين كانوا في علمه مخذولين، وفي كتابه السابق أنهم إلى أعدائهم من الشياطين مسلَمون، ومن الشياطين عليهم مسلّطون، فحينئذ؛ دب الشيطان بوسوسته، فوجد مساغاً لبقية، ومركباً وَطِياً إلى ظفره بحاجته، فسكن إليه المنقاد إلى الشبهات، والسالك في بليات الطرقات، فاتخذها دليلاً قائداً، وعن الواضحة حائداً؛ طالب رئاسة، وباغي فتنة، معجب برأيه، وعابد لهواه، عليه يرد، وعنه يصدر، قد نبذ الكتاب وراء ظهره، فلم يستشهده، ولم يستشره؛ ففي آذانهم وقر، وهو عليهم عمى، كأنهم إلى كتاب الله لم يندبوا، وعن طاعة الشيطان لم يزجروا؛ فهم عن سبيل من أرشده الله متباعدون، ولأهوائهم في كل ما يأتون ويذرون متبعون؛ فاستحوذ الشيطان على من لم يشرح الله صدره للإسلام، وأورده بحار الغي؛ فهم في حيرة يترددون، فجاروا عن سواء السبيل. . .».

وقد صرح المؤلف بهذا المعنى المفهوم من كلامه في المقدمتين؛ من أن أسباب تأليف هذا الكتاب هو ما حدث في عهده من المبتدَعات وظهور الفرق، صرح بهذا المعنى في بعض الأبواب التي عقدها في المجلد الأول؛ حيث قال: «باب في ذكر الأخبار والآثار التي دعت إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه»، ثم روى حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً: «إذا لعن آخر هذه الأمة أولها؛ فليظهِر العالمُ علمَه؛ فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد» ﷺ، وفي رواية: «إذا أظهرت أمتي البدع، وشتم أصحابي؛ فليظهر العالم علمه. . .» الحديث، وحديث: «لمقام أحدكم في الدنيا يتكلم بكلمة حق يرد بها باطلاً أو يحق حقّاً أفضل من هجرة معي»، وحديث: «من أحيا سنتي؛ فقد أحبني، ومن أحبني؛ كان معي في الجنة»، وحديث: «والله؛ لأن يهدي الله بهداك رجلاً واحداً خير من حمر النعم»، وحديث: «ما أنفق عبد أفضل عند الله من نفقة قول». . . وغير ذلك من الأحاديث والآثار التي تحمل هذه المعاني التي تضمنتها الأحاديث والآثار السابقة.

وتعتبر مقدمة «إبانة ابن بطة» مع هٰذا الباب كافية في إعطاء الصورة الصحيحة للأسباب التي كانت وراء تأليف هٰذا الكتاب، ولا شك أنها أسباب توجب عليه وعلى أمثاله من أهل العلم في عصرهم بمثل هٰذا الواجب، والرد على الذين يحاولون أن يتنكبوا بالأمة سبيل الهدى وطريق الرشاد؛ فهي استجابة دينية بحتة، ومهمة شرعية واضحة، جزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين[1].

● مصادر الكتاب:

قد سبق أن ذكرنا غير مرة أن المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها ابن بطة في كتابه «الإبانة» هي: الكتاب والسنة والإجماع بالدرجة الأولى كغيره من علماء السنة، ثم الآثار المنقولة من أجلاء الصحابة؛ مثل: أبي بكر الصديق، وعمر ابن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن سلام، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعمرو بن العاص، وأبي هريرة، وأبي ذر، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وبلال بن رباح... وغيرهم من الصحابة.

ومن التابعين: سعيد بن جبير، والحسن البصري، ومجاهد، وعكرمة، ومحمد بن كعب القرظي، ووهب بن منبه، وطاووس اليماني، ومكحول، وعطاء، وقتادة، وغيرهم من الأئمة الذين جاؤوا من بعدهم؛ مثل: عمر بن عبد العزيز، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، والإمام الأوزاعي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك مصادر أخرى ينقل عنها المؤلف أحياناً بالإضافة إلى أدلة الكتاب والسنة والإجماع وأقوال السلف، وهي المناظرات التي جرت بين بعض أئمة السنة وبين أئمة الطوائف الضالة، وموضع هٰذه المناظرات في (كتاب الرد على الجهمية) وهو القسم الثالث من كتاب «الإبانة

---

(١) تحقيق المجلد الأول من كتاب «الإبانة» للدكتور رضا بن نعسان معطي (ص ١٢٢ - ١٢٣)، والأحاديث المذكورة ضعفها المحقق ما عدا حديث الرابع؛ فقد رواه البخاري.
انظر: (ص ٤١) من المجلد المذكور.

الكبرى»، الذي سبق أن ذكرنا أن زميلنا الفاضل يوسف الوابل يقوم بتحقيقه، ولهٰذه المناظرات أهميتها البالغة في عرض عقيدة السلف؛ حيث تتضمن حججهم عليها، وردودهم على شبهات المخالفين لها.

ومن مصادر ابن بطة أيضاً في كتابه تلك الرسائل التي كتبها بعض الأئمة؛ إجابة لمن كانوا يسألونهم عن العقيدة السلفية في موضوع القدر؛ كرسائل الإمام الأوزاعي، وابن الماجشون، وعمر بن عبد العزيز. . . إلى غير ذٰلك من الرسائل التي يتضمنها (كتاب القدر).

هٰذا؛ وقد استشهد ابن بطة في كتاب القدر بكثير من أشعار العرب وكلامهم في الجاهلية على إثباتهم للقدر، وربما فعل ذٰلك لكي يبرهن على أن القدرية ليس لديهم ما يتمسكون به في نفي القدر، حتى ولو كان من كلام الجاهلية(١).

● قيمة الكتاب بين الكتب السلفية في العقيدة:

ولا شك أن قيمة كل كتاب وعظم شأنه إنما هو بحسب ما تضمنه الكتاب من المباحث العلمية النافعة؛ فإذا كان الكتاب مؤلّفاً في أصول الشريعة الإسلامية المستمدة من أدلة الكتاب والسنة ومن الإجماع وأقوال السلف والأئمة المشهورين بالعلم والصلاح، إذا كان الكتاب على هٰذا المنهج؛ فهو يعد أصلاً من أصول الشريعة الإسلامية المختارة، ومرجعاً موثوقاً به لدى علماء الإسلام؛ فيجب قبوله والعمل بما فيه والاستدلال بمضمونه، وكتابنا هٰذا «الإبانة» الذي نحن بصدد تقييمه من هٰذا القبيل، وذٰلك لأن مؤلفه رحمه الله يعتمد دائماً في الاستدلال على كتاب الله وسنة رسوله والإجماع وأقوال السلف من الصحابة ومن بعدهم من الأئمة أهل السنة والجماعة.

---

(١) راجع: (ص ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠) من المجلد الثاني، قسم التحقيق.

وقد سبق أن قلنا: إنه قد استعرض في هٰذا الكتاب مذهب السلف استعراضاً شاملاً لجميع جوانب مسائل العقيدة السلفية أو جلها على ضوء أدلة من الكتاب والسنة؛ فلهٰذا كان هٰذا الكتاب مرجعاً يعتمد عليه الأئمة الذين جاؤوا من بعده؛ مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والحافظ الذهبي، وغيرهم من الأئمة؛ فاعتماد هٰؤلاء الأعلام لمرويات ابن بطة في هٰذا الكتاب يدل على عظم شأن هٰذا الكتاب وعلو قدره عندهم وعند الآخرين من علماء السنة، وإذا قارنا بين هٰذا الكتاب وبين ما ألفه سائر علماء السنة مما جمع أصحابها فيها الآيات والأحاديث والآثار في العقيدة؛ مثل كتاب «الشريعة» للآجري، وكتاب «الإيمان» لابن منده، و «خلق أفعال العباد» للإمام البخاري، وكتاب «السنة» للإمام أحمد، وكتاب «الرد على الزنادقة والجهمية» له أيضاً، وكتاب «التوحيد» لابن خزيمة، وكتاب «الاعتقاد» للبيهقي، وكتاب «القدر» لأبي داود السجستاني، وكتاب «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي، وغير ذٰلك من مؤلفات السلف في العقيدة، إذا قارنا بين هٰذا الكتاب وبين هٰذه المؤلفات؛ فإننا نجد كتاب «الإبانة» يمتاز عنها بما يأتي:

أولاً: الشمول في مسائل العقيدة والتوسع في توضيح مذهب السلف وشرحه والتعليق عليه.

ثانياً: توفير الأدلة الشرعية من نصوص الكتاب والسنة الكثيرة في كل باب من أبواب هٰذا الكتاب التي بلغ مجموعها في خصوص المجلد الأول والثاني أربعة وسبعين باباً؛ كما تقدم بيانه.

ثالثاً: كان المؤلف ابن بطة رحمه الله تعالى كثيراً ما يروي الحديث الواحد بأسانيد متعددة وبطرق مختلفة، ويكثر من الشواهد والمتابعات في الرواية، ولا شك أن ذٰلك مما يزيد القوة في الحديث ويبعد عن قارئه الشك في احتمال الضعف فيه؛ إذ تعدد الطرق وكثرة الشواهد والمتابعات من شأنها أن

تجعل الحديث الضعيف حسناً لغيره، والحديث الحسن صحيحاً لغيره، والحديث الصحيح أقوى وأصح من الحديث الذي ورد بطريق واحد صحيح.

رابعاً: مناقشة مذهب المخالفين والمبالغة في الرد عليهم، ولا سيما في الأجزاء الأربعة من المجلد الثاني التي أقوم بتحقيقها في هٰذه الرسالة؛ فقد ناقش رحمه الله مذهب القدرية، وتوسع في ذٰلك، وبيَّن مذهب أهل السنة عقب كل باب من أبواب القدر في هٰذه الأجزاء الأربعة، وقد خص هٰذه الأجزاء الأربعة في بيان مسائل القضاء والقدر عند أهل السنة، وفند مذهب القدرية بالأدلة، وأطنب في ذٰلك.

والله نسأل أن يتقبل منا ومن مؤلف هٰذا الكتاب صالح الأعمال، كما نسأله القبول عز وجل عن كافة علماء الإسلام الذين ألفوا خدمة للدين الإسلامي وعناية به؛ إنه ولي التوفيق والقادر عليه.

●●●●●

الفصل الثاني

وصف المخطوطة وبيان منهج التحقيق

● **تمهيد:**

كتاب «الإبانة» يتكون في الأصل من ثلاثة أو أربعة مجلدات[1]، ولا نعلم وجود نسخة أصلية لهذا الكتاب حتى الآن سوى نسخة واحدة تتكون من مجلدين: المجلد الأول يوجد في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت (رقم ٩٩)، وأوراق هذا المجلد يبلغ (١٧٤) ورقة، ويتألف من سبعة أجزاء، وكل ورقة فيها (٢٤) سطراً ومقاسها (٢١ × ٣٠ سم)، وخطها نسخي مقروء ومشكول أحياناً، وعليها سماعات كثيرة أقدمها كان سنة (٥٠٤هـ)، وأحدثها كان سنة (٦٨٧هـ)، وتزيد السماعات على هذا المجلد على (٣٠) سماعاً.

قام بتحقيق هذا المجلد الدكتور رضا بن نعسان معطي موضوعاً رسالته في الدكتوراه في العقيدة بجامعة أم القرى، وأما المجلد الثاني؛ فهو موجود في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم (١٨١ عقائد)، ويتكون هذا المجلد من سبعة أجزاء أيضاً وأربعة أجزاء منها هي: موضوع رسالتي التي أقوم بتحقيقها، والأجزاء الثلاثة الباقية من نفس المجلد هي

(١) تقدم البيان بأن الذهبي وصفه بأنه ثلاثة مجلدات تارة، وأربع مجلدات تارة أخرى، وبينا هناك وجه الجمع بين القولين باحتمال أنه اطلع على نسختين من كتاب «الإبانة»؛ إحداها في ثلاث مجلدات، والأخرى في أربعة مجلدات؛ فصح القول أنه ثلاث مجلدات أو أربع مجلدات.

موضوع رسالة للأخ يوسف الوابل يقوم بتحقيقها حاليّاً.

ومن الجدير بالذكر أن هناك نسخة مختصرة من النسخة الأصلية وهي موجودة في مكتبة كوبرلي في مدينة استنبول بتركيا، وسيأتي مزيد من الوصف لكل من النسخة الأصلية من المجلد الثاني والمختصرة فيما يلي من العنوان، أما بقية الكتاب سواء كانت مجلداً واحداً أو مجلدين؛ فإنها مفقودة، لا ندري حتى الآن في أي موضع توجد هٰذه البقية من المكتبات العامة في العالم، اللهم إلا جزآن يوجدان في مكتبة مانشستر في بريطانيا وموضوعها: «فضائل الصحابة»[1]، ويبدأ المجلد الثالث بالجزء الخامس عشر، وأوله (باب الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصار رؤوسهم، فيكلمهم ويكلمونه، لا حائل بينهم وبينه ولا ترجمان، وبيان كفر من جحد ذٰلك)، جاء بيان ذٰلك في نهاية الجزء الرابع عشر من المجلد الثاني الذي بين أيدينا (ص ٤٢٢)، ومن المحتمل أن يتضمن المجلد الثالث موضوع إثبات الصفات الإلٰهية على منهج السلف ردّاً على المؤولة والمعطلة، ويرجح هٰذا الاحتمال استدلال الحافظ الذهبي بكلام ابن بطة في الصفات في كتاب «الإبانة»؛ فإنه قال في كتابه «العلو للعلي الغفار» ما نصه: «قال الإمام أبو عبد الله بن بطة العكبري مصنف «الإبانة الكبرى في السنة» (وهو أربع مجلدات): حدثنا ابن زكريا بن يحيى الساجي؛ قال: قال أبي: القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم: «أن الله تعالى على عرشه...»»[2].

ومن المعلوم أن ابن بطة لم يتناول في المجلدين الأول والثاني موضوع الصفات الإلٰهية، فإذا لم يتكلم عن موضوع الصفات في هٰذين المجلدين؛ فلا

(١) انظر تحقيق كتاب «الإبانة» المجلد الأول للدكتور رضا بن نعسان معطي (ص ١١٥، ١٠١).

(٢) «العلو للعلي الغفار» (ص ١٥٠)، نشر المكتبة السلفية لصاحبها محمد عبد المحسن الكتبي ـ المدينة المنورة ـ مطبعة العاصمة.

بد من أن يكون قد ذكر هٰذا الموضوع في المجلد الثالث أو الرابع من كتاب «الإبانة» مع بقية مسائل العقيدية، وفيما يلي وصف المجلد الثاني من النسخة الأصيلة، وتقع فيه الأجزاء التي نقوم بتحقيقها من كتاب «الإبانة»؛ كما سيأتي أيضاً وصف النسخة المختصرة للكتاب.

● أولاً: النسخة الأصلية للمجلد الثاني:

النسخة الأصلية للمجلد الثاني والتي اعتمدنا في التحقيق هي النسخة الموجودة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية، وقد أشرنا إليها في التمهيد السابق، ويوجد عليها سماعات كثيرة يبلغ عددها (٧٣) سماعاً، وأقدم تواريخ هٰذه السماعات كان في سنة (٥١٤هـ)، وذٰلك موجود في السماع المثبت في الجزء الثامن (ص ٦١)، وفي الجزء الحادي عشر (ص ٢٤٢)، وبالجزء الثاني عشر (ص ٣٠٨)، وفي الجزء الرابع عشر (ص ٣٧٠).

وآخر هٰذه السماعات تاريخيّاً هو السماع المثبت سنة (٦٤٠هـ)، وهو موجود في الجزء التاسع (ص ٦٦)، وفي الجزء العاشر (ص ١٨٨)، وفي الجزء الثاني عشر (ص ٣٠٤)، وفي الجزء الرابع عشر (ص ٣٧٤).

وقد ذكرت من قبل في الفصل السابق عند الكلام عن تحقيق نسبة الكتاب إلى المؤلف بعض ما أمكن قراءته من هٰذه السماعات مما هو موجود منها في الأجزاء المختلفة من هٰذا المجلد مما يدخل ضمن القسم الذي أقوم بتحقيقه.

أما السماعات الأخرى الموجودة بمختلف أقسام الكتاب؛ فيمكن الاطلاع عليها في تحقيق الدكتور (رضا نعسان) للمجلد الأول، وكذٰلك في تحقيق الزميل (يوسف الوابل) لكتاب الرد على الجهمية من المجلد الثاني من هٰذا الكتاب.

ومما يجدر ذكره أنه يوجد في نهاية كل جزء لهٰذا المجلد عدد من

السماعات، وقد يوجد سماع أو سماعان وسط أجزاء المخطوطة.

وهٰذه النسخة الأصلية للمجلد الثاني، الذي نقوم بتحقيق كتاب القدر منه، نسخة كاملة، لم يسقط من أوراقها شيء، ويبدو أنها ليست بخط كاتب واحد، حيث نرى الاختلاف في الخط في بعض الأماكن من أجزاء هٰذه المخطوطة، وإن كانت قليلة جدّاً، حيث لا يوجد الاختلاف إلا في الصفحات الأولى من المجلد الثامن، وهو أول أجزاء المجلد الثاني، وكذٰلك الجزء الثالث عشر من هٰذا المجلد، والتباين واضح بين خط كاتب السماعات بالهامش وبين كاتب المخطوطة في الداخل، حيث إن السماعات مكتوبة بخط دقيق غير واضح، بحيث يصعب قراءتها أحياناً، ويوجد بالمخطوطة التصويبات المثبتة في الهامش، وهي قليلة جدّاً، لا تتجاوز كلمة أو كلمتين في الصفحة الواحدة، إذا وجدت، وحروفها منقوطة في غالب الأحوال؛ إلا في السماعات المثبتة في الهامش؛ فإنها غير منقوطة في كثير من المواضع.

وقد أثبت في افتتاح كل جزء من الأجزاء السبعة اسم الكتاب بكامله، مع إسناد الكتاب إلى المؤلف، مكتوباً بخط النسخ الواضح المتين، والمجلد مكتوب بخط نسخ قديم جيد مقروء.

ويبلغ عدد أوراق الأجزاء الأربعة التي قمت بتحقيقها **٢٢١** ورقة، وعدد صفحاتها يبلغ **٤٤٢** صفحة، وفي كل صفحة **٢٤** سطراً، ومقاسها **٢١×٢٩,٥** سم.

وقد كانت استفادتي بهٰذه النسخة الأصلية في التحقيق عن طريق النسخة المصورة عنها والموجودة بمركز البحث العلمي بـ (جامعة أم القرى)، وكذٰلك عن طريق النسخة المصورة الموجودة بنفس المركز لنسخة منقولة باليد عن النسخة الأصلية وموجودة بدار الكتب المصرية أيضاً تحت رقم (**١٤٤/٢٥**).

وقد كتبت هٰذه النسخة بخط يد ناسخ اسمه (محمود نصحي) سنة

١٣٧١هـ، وعدد أوراقها ٤٥٣ ورقة، ومقياس الصفحة ١٩×١٥، مكتوب في أول الصفحة منها عنوان الكتاب بكامله بخط عريض، منسوباً إلى المؤلف (ابن بطة).

أما استفادتي عن طريق مصورة النسخة الأصلية؛ فبناء على أنها صورة طبق الأصل، والرجوع إليها كالرجوع إلى النسخة الأصلية نفسها.

وأما استفادتي عن مصورة النسخة المنقولة باليد؛ فقد كانت في المواضع التي يتعذر عليَّ فيها قراءة مصورة النسخة الأصلية بسبب ما قد يصيب بعض الكلمات من التعتيم في التصوير، أو بسبب رداءة الخط في بعض الكلمات الأخرى، أو غير ذلك من الأسباب، وقد أفدت منها في تيسير قراءة النص، حيث إنها مكتوبة بخط أوضح من خط النسخة الأصلية.

ومما يجدر ذكره دقة كاتب هذه النسخة، وأنه كذلك كان دقيقاً في قراءة هذه النسخة، ومن ثم نقلها نقلاً مطابقاً دون تغيير، وتامّاً دون إسقاط شيء من أوراقها.

● **ثانياً: النسخة المختصرة:**

هذه النسخة المختصرة الموجودة عندنا حالياً هي مصورة من النسخة الموجودة بمكتبة كوبرلي في مدينة استنبول بتركية تحت رقم (٢٣١)، ومسطرتها (٢٣)، ومقاسها (٤٣ × ٣٠سم)، وبلغت أوراقها (٢٠٩)، ويخص المجلد الثاني منها (١١٧ ورقة)، وقد كتبت بخط نسخي جيد، وقد كان نسخها في شهر محرم سنة تسع عشر وسبع مئة، وناسخ المختصر هو عماد الدين أحمد بن أبي بكر الشافعي، ومالك الكتاب هو أحمد بن علي بن أبي بكر الحنفي، وكل ذلك مثبت في آخر المختصر، وعلى الورقة الأولى منه قد دون إسناد الأصل الذي اختصر وهو: رواية الشيخ علي بن أحمد بن محمد بن البسري البندار بالإجازة

عن ابن بطة، ورواه عنه الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني، ورواه عنه الشيخ الإمام أبو الحسين علي بن عساكر بن المرحب بن العوام البطائحي، ورواه عنه الشيخ الإمام الصالح الموفق أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، وتأتي فائدة هٰذا المختصر من حيث أن مختصره لم يسقط منه إلا الروايات المتكررة، أما كلام المؤلف؛ فقد حرص على ذكره كاملاً بغير زيادة ولا نقصان.

وقد بين المختصر منهجه هٰذا على الورقة الأولى من الكتاب؛ إذ يقول: «لم نسقط من الكتاب إلا ما كرره لأجل الرواية، فإذا جاء في الخبر أو الأثر فائدة زائدة في متن الحديث؛ كتبه بتمامه لأجل زيادته، وكل خبر ذكره من طريق واحد كتب على ما هو عليه، وكذٰلك إن ذكره من طريقين كتب، فإذا جاء من طريق ثالثة ولم تكن فيها زيادة؛ اكتفى بالطريقين، فقد ثبتت الحجة بشاهدين، واختير من الطرق أعلاها وأتمها، فلذا سمي مختاراً، فأما لشروح وكلام المصنف؛ فبجملته مثبت، فليثق الناظر في هٰذه النسخة بما يرى فيها، وليعتمد عليها؛ ففيها الغناء والشفاء والاكتفاء، ومن أراد الرواية وطرق الإسناد؛ فأصول الكتاب محفوظة مشهورة؛ إذ كان الاعتماد في هٰذا الاختيار على ذكر المقري دون الإسناد والتكرار، وبالله التوفيق».

وقد استفدت منها فوائد عديدة عندما قابلتها مع الأصل منها؛ حيث يوجد أحياناً غموض وخطأ، أو خطأ مطبعي في عبارة الأصل؛ فأجد ذٰلك واضحاً في «المختصر»، فأثبت الواضح منها، ثم أبين الخطأ والكلمة الغامضة بالهامش، كما أنني استفدت منها في تيسير قراءة بعض الكلمات الغامضة غير المقروءة في الأصل بسبب ما أصابها من التعتيم أو المسح، كما أنني أثبت الاختلاف بين النسختين في اللفظ بالهامش في بعض الكلمات أحياناً مع صحة المعنى في كل من النسختين.

● منهجي في التحقيق:

اتبعت في تحقيق الكتاب الخطوات التالية:

١ ـ إجراء دراسة تحليلية لموضوعات الكتاب قدمتها بين يدي التحقيق.

٢ ـ إثبات النص الأصلي كما هو وارد في النسخة الأصلية، اللهم إلا في المواضع التي دعت الضرورة إلى الرجوع فيها إلى النسخة المختصرة لاستكمال النقص أو تصحيح الخطأ في النسخة الأصلية، وذلك عن طريق إجراء المقابلة الدقيقة بين النسختين.

٣ ـ إذا وجدت غموضاً أو نقصاً في عبارة الأصل وكانت تلك العبارة واضحة في المختصر؛ فإنني أسجل في هذه الحالة ما في المختصر ثم أنبه على ما في الأصل من الخطأ بالهامش، وبالعكس إذا وجد الخطأ في المختصر؛ نبهت على ذلك في الهامش.

٤ ـ إذا سقط من نص الحديث أو الأثر شيء، أو كتبت بعض كلماته خطأ؛ رجعت إلى المصادر المعتمدة في رواية الأحاديث والآثار لجبر النقص أو تصحيح الخطأ، حيث أضع ما أثبته من ذلك بين معقوفتين، وأعزوه إلى مصدره الذي نقلته منه مشيراً في الهامش إلى النقص أو الخطأ في النسخة الأصلية.

٥ ـ تخريج الأحاديث المرفوعة بذكر أحكام العلماء عليها إن لم تكن مروية في «الصحيحين».

٦ ـ ذكر مواضع الأحاديث في مصادرها الأصلية كـ «الصحيحين»، و«السنن» الأربعة، والمسانيد، والمعاجم وغير ذلك من المراجع المعتبرة.

٧ ـ تخريج الآثار المروية في الكتاب حيث ذكرت مصدر كل أثر رواه المؤلف وموضعه منه، اللهم إلا القليل الذي لم أعثر له على موضع.

٨ ـ التعليق على كثير من المواضع العلمية التي ذكر المؤلف فيها رأيه أو آراء الفرق المختلفة، وذلك بتحقيق القول في تلك المواضع.

٩ ـ شرح الكلمات الغريبة وبيان معانيها.

١٠ ـ التعريف بالبلدان التي جاء ذكرها في المخطوطة.

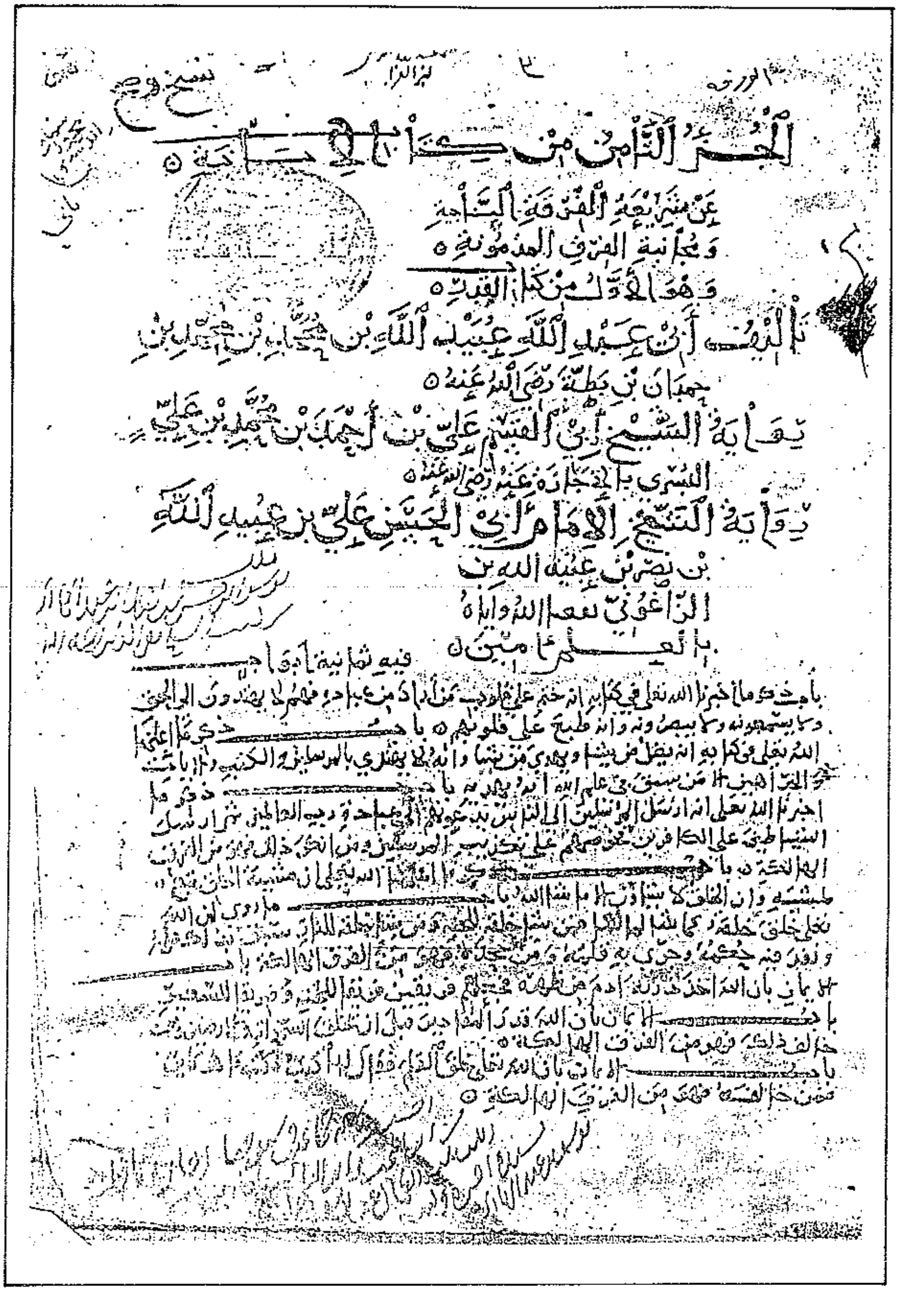
١١ ـ ذكر مواضع الآيات وأرقامها من السور القرآنية واستكمال ما ذكر منها ناقصاً، وإثبات ذلك في هامش التحقيق.

١٢ ـ ألحقت بالتحقيق فهارس للآيات والأحاديث والآثار والأعلام والمصادر والمراجع والموضوعات.

١٣ ـ الرموز والمصطلحات وهي كما يلي:

١ ـ حرف (١) أريد بها المخطوطة الأصلية.

٢ ـ حرف (م) وأريد بها النسخة المختصرة.



الجزء الثامن من كتاب الإبانة

عن شريعة الفرقة الناجية

ومجانبة الفرق المذمومة

وهو الأول من كتاب القدر

تأليف أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن

حمدان بن بطة رضي الله عنه

رواية الشيخ أبي القاسم علي بن أحمد بن محمد بن علي

البسري بالإجازة عنه رضي الله عنه

رواية الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن عبيد الله

بن نصر بن عبيد الله بن

الزاغوني نفعه الله وإياه

بالعلم آمين

فيه ثمانية أبواب

باب ذكر ما أخبرنا الله تعالى في كتابه أنه ختم على قلوب من أراد من عباده فهم لا يهتدون إلى الحق ولا يسمعونه ولا يبصرونه وأنه طبع على قلوبهم. باب ذكر ما أعلمنا الله تعالى في كتابه أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأنه لا يهتدي بالرسالة والكتب والآيات إلا من سبق في علم الله أنه يهديه. باب ذكر ما أخبرنا الله تعالى أنه أرسل المرسلين إلى الناس يدعونهم إلى عبادته وحده [illegible] ثم أرسل الشياطين على الكافرين تؤزهم على تكذيب المرسلين ومن أنكر ذلك فهو من الفرق الهالكة. باب [illegible] أن الخلق لا يشاؤون إلا ما شاء الله. باب ما روي أن الله تعالى خلق خلقه [illegible] فهو من الفرق الهالكة. باب الإيمان بأن الله أخذ ذرية آدم من ظهره فجعلهم فريقين فريقا للجنة وفريقا للسعير. باب الإيمان بأن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات [illegible] فمن خالف ذلك فهو من الفرق الهالكة. باب الإيمان بأن الله تعالى خلق القلم فكتب كل ما هو كائن [illegible] فمن خالف فهو من الفرق الهالكة.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآل محمد وسلم رب يسر
أخبرنا الشيخ الإمام ناصر السنة أبو الحسن علي بن عبيد الله
بن نصر الزاغوني أحسن الله توفيقه قال أخبرنا أبو القاسم علي بن
أحمد بن محمد بن البسري قال أخبرنا أبو عبد الله عبيد الله بن
محمد بن حمدان بن بطة إجازة قال الحمد لله أهل
الحمد ووليه المنان الجواد الذي ثوابه جزيل وعطاؤه
فضل وأياديه متتابعة ونعمه سابغة وإحسانه
متواتر وحكمه عدل وقوله فصل حصر الأشياء
بقدرته وأحاط بها علمه ونفذت فيها مشيئته
وصلى الله على خير خلقه محمد النبي وآله وسلم أما بعد يا إخواني
وفقنا الله وإياكم لأقصد الطرق وأهداها وأرشد السبل
وأسواها فهي طريق الحق التي اختارها وارتضاها واعلموا أن
طريق الحق أقصد الطرق ومناهجه أوضح المناهج وهي
ما أنزله الله في كتابه وجاءت به رسله ولم يكن رأيا
مبتدعا ولا هوى متبعا ولا إفكا مخترعا وهو الإقرار
لله بالملك والقدرة والسلطان وأنه هو المستولي على
الأمور بأنواع التدبير وأنه النافذ المشيئة فيما
يريد كان لم يزل حكيما وكل ما هو فيه بقضاء وتدبير
السابق مشيئته لا دونه مدبر ولا له مضاد
بيده نواصي الأمور وهو الآخذ بنواصي العباد والعالم
بخفيات القلوب ومستودعات الغيوب فمن هداه
فهو المهتدي ومن خذله ضل بلا حجة له
ولهذا خلق الجنة والنار وخلق لكل واحدة
منهما أهلا لا يخرجون [illegible] ساكنوها أجمعين [illegible]

آجالهم وافعالهم وجعلهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا
وخلق آدم عليه السلام واخذ من ظهره كل ذرية هو
خالقها الى يوم القيامة وقدر اعمالهم وقسم ارزاقهم
واحصى آجالهم وعلم اعمالهم وكل احد يستوفي
رزق مقسوم وعمله ومآله الى اجل معلوم قد قدر
ما تكسب كل نفس قبل ان خلقها فلا يخرج عما
علمه منها وقدر حركات العباد و[illegible] وخواطر
قلوبهم وخطرات تقوم بهم وليس لاحد تحرك الا حركة
ولا يهم همة الا باذنه وخلق الخير والشر وخلق لكل
واحد منهما عاملا يعمل به فلا يقدر احد ان يعمل الا ما خلق
له واراد قوما بالهدى فشرح صدورهم للايمان وحببه
اليهم وزينه في قلوبهم واراد آخرين للضلال فجعل
صدورهم ضيقة حرجة وجعل الرجاسة عليهم
وامرهم بعبادة باوامر وفرض عليهم فرائض فلا يؤدونها
الا بتوفيقه ومعونته وحرم محارم وحد حدودا
فلا يكفون عنها الا بعصمته فلا حول ولا قوة الا به وله
عليهم حجة [illegible] يضل
من يشاء ويهدي من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
فلم يزل الصدر الاول على هذا اجمع اهل السنة [illegible]
واتفاق المذاهب كان [illegible]
المصطفى [illegible]
الى [illegible] فلم يزل الناس على ذلك والقلوب [illegible]
[illegible] والنفوس [illegible]
حتى جاء [illegible]

أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال أتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت إني رجل شاب وأنا أخاف على نفسي العنت
ولا أجد ما أتزوج به النساء فأذن لي أن أختصي قال فسكت
عني ثم قلت له مثل ذلك فسكت عني ثم قلت له مثل ذلك فسكت
عني ثم قلت له مثل ذلك فسكت عني ثم قلت له مثل ذلك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة قد جف القلم بما أنت لاق فاختص
على ذلك أو ذر ن حدثنا أبو بكر أحمد بن إسماعيل الأدمي
قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن البختري الواسطي قال حدثنا وكيع
قال حدثنا مسعر عن علقمة بن مرثد عن المغيرة بن عبد الله
اليشكري عن المعرور عن عبد الله قال قالت أم حبيبة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق
مقسومة فلن يعجل شيء قبل أجله لو كنت سألت الله أن
يعيذك من عذاب في النار وعذاب في القبر كان خيرا وأفضل
حدثني أبو يوسف يعقوب بن يوسف قال حدثنا أبو
بكر محمد بن سعيد المروزي قال حدثنا محمد بن يحيى قال
حدثنا محمد بن أبي بكر قال حدثنا زيد بن عبد الله قال
سمعت ثابتا البناني يقول في قول الله عز وجل إنما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
قال [illegible] ن حدثنا أبو محمد عبد الله بن
عبد الرحمن السكري وعبد الله بن نعيم القباني قالا
حدثنا أبو يعلى الساجي وحدثني أبو صالح محمد بن أحمد
قال حدثنا الكديمي قالا حدثنا الأصمعي وحدثني

الباب الثالث

دراسة تحليلية لموضوعات الكتاب

ويشتمل على عشرة فصول وتمهيد في القدر والقدرية:

= الفصل الأول: وجوب الايمان بالقدر.

= الفصل الثاني: أزلية القدر.

= الفصل الثالث: شمول القدر الالهي لجميع أفعال العباد وضرورته.

= الفصل الرابع: أزلية العلم الالهي بأهل الجنة والنار وتعيينهم والحكم عليهم بذلك.

= الفصل الخامس: تقدير الهداية والاضلال.

= الفصل السادس: ختم الله وطبعه على قلوب الضالين من عباده.

= الفصل السابع: تبعية المشيئة الانسانية للمشيئة الالهية.

= الفصل الثامن: إيمان الصحابة ومن بعدهم من السلف بالقدر.

= الفصل التاسع: الرد على القدرية وبيان حكمهم في الدنيا وجزاؤهم في الآخرة.

= الفصل العاشر: النهي عن البحث في القدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد

قبل الدراسات التحليلية لموضوعات الرسالة نقدم التمهيد في بيان مفهوم القدر وتاريخ نشأة القدرية.

● **القدر:**

والقدر في القرآن الكريم وعند السلف عبارة عن علم الله الشامل لجميع الموجودات وتقديرها جملة وتفصيلاً؛ أي: تحديدها ذاتاً وصفة، زماناً ومكاناً، كمّاً وكيفية، ماهية وخاصية ونوعاً، ثم كتابة ذلك كله في أم الكتاب قبل خلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة كما نص على ذلك الحديث الشريف فيما رواه مسلم وغيره: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء».

قال أبو حازم رحمه الله: «إن الله عز وجل علم قبل أن يكتب، وكتب قبل أن يخلق؛ فمضى الخلق على علم الله وكتابه»[1].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «القدر قدرة الرحمٰن».

---

(١) «الاعتقاد» للبيهقي (ص ٥٩).

قال ابن عقيل: «إن الإمام أحمد شفي القلوب بلفظه، وهي ذات بيان وشمول معان»[1].

وقال الراغب: «القدر بوضعه يدل على القدرة، وعلى المقدور الكائن بالعلم، وحاصله وجود شيء في وقت وعلى حال بوفق العلم والإرادة والقول»[2].

وقال البيهقي: «والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر، يقال: قدرت الشيء وقدرته بالتشديد والتخفيف؛ فهو قدر؛ أي: مقدور ومقدر، كما يقال: هدمت البناء؛ فهو هدم؛ أي: مهدوم، وقبضت الشيء؛ فهو قبض؛ أي: مقبوض، فالإيمان بالقدر هو الإيمان بتقدم علم الله سبحانه بما يكون من أكساب الخلق وغيرها من المخلوقات وصدور جميعها عن تقدير منه، وخلق لها خيرها وشرها»[3].

وهٰذا المفهوم يدل عليه ما تضمنته الكتب السلفية من الروايات والآثار في هٰذا الباب؛ مثل الآجري في «الشريعة»[4]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[5]، وابن القيم في كتابه «شفاء العليل»[6]، والبيهقي في «الاعتقاد»[7] وغيرهم من أهل العلم.

---

(١) انظر: «قصيدة النونية» مع شرحها لمحمد خليل هراس (ج ١، ص ٩١ - ٩٣).

(٢) «فتح الباري» (١١ / ٤٧٧).

(٣) «الاعتقاد» للبيهقي (ص ٥٣ - ٥٤).

وانظر: «معالم السنن» للخطابي بهامش «مختصر سنن أبي داود» للمنذري (٧ / ٦٩ - ٧٠).

(٤) انظر: «الشريعة» (ص ١٧٦ - ١٩٠).

(٥) انظر: (ص ٥٢١ - ٦٠٦).

(٦) انظر: (ص ٦ - ١٢٠).

(٧) انظر: (ص ٥٣ - ٧٧).

فمن الآيات القرآنية الدالة على ثبوت القدر بالمعنى المذكور قوله تعالى: ﴿ولَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾(١).

وقوله: ﴿إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٢).

وقوله: ﴿والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾(٣).

وقوله: ﴿وزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذٰلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾(٤).

وقوله: ﴿وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾(٥).

وقوله: ﴿وإنْ مِنْ شَيْءٍ إلَّا عِنْدَنا خَزَائِنُهُ وما نُنَزِّلُهُ إلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾(٦).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وأَنْزَلْنَا مِنَ السَّماءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ﴾(٧).

وقوله: ﴿وعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ والبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(٨).

وقوله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلَّا ما كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

---

(١) الفرقان: ٢.

(٢) القمر: ٤٩.

(٣) يس: ٣٨.

(٤) فصلت: ١٢.

(٥) الرعد: ٨.

(٦) الحجر: ٢١.

(٧) المؤمن: ١٨.

(٨) الأنعام: ٥٩.

المُؤْمِنُونَ﴾[1] .

وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُم إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذٰلك عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾[2] .

فهٰذه الآيات وأمثالها تدل على شمول علمه تعالى لجميع مخلوقاته، وكتابتها قبل خلقها طبقاً لما قدره الله وعلمه.

ومما جاء في السنة في بيان معنى القدر قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أول ما خلق الله القلم؛ فقال له: اكتب؛ فقال: رب! وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة».

قال ابن القيم: «وهٰذا الذي كتبه القلم هو القدر؛ لما رواه ابن وهب، أخبرني عمر بن محمد أن سليمان بن مهران حدثه؛ قال: قال لي عبادة بن الصامت: ادعوا إلى ابني وهو يموت لعلي أخبره بما سمعت من رسول الله ﷺ أن أول شيء خلقه الله من خلقه القلم، فقال له: اكتب، فقال: يا رب! ماذا أكتب؟ قال: القدر»[3].

وقال أبو داود الطيالسي: «حدثنا عبد المؤمن: كنا عند الحسن فأتاه يزيد بن أبي مريم السلولي يتوكأ على عصاه، فقال: يا أبا سعيد! أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿مَا أصابَ مِنْ مُصِيْبَةٍ في الأَرْضِ ولا في أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ في كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾، فقال الحسن: نعم، والله إن الله ليقضي القضية في السماء حتى يضرب لها أجلاً أنه كائن في يوم كذا وكذا، في ساعة كذا وكذا، في الخاصة والعامة؛ حتى أن الرجل ليأخذ عصاه ما يأخذها إلا بقضاء وقدر، قال:

---

(١) التوبة: ٥١.

(٢) الحديد: ٢٢.

(٣) «شفاء العليل» (ص ٦).

يا أبا سعيد! والله لقد أخذتها وإني عنها لغني، ثم لا صبر لي عنها. قال الحسن: ألا ترى؟».

قال ابن القيم: «واختلف في الضمير في قوله من قبل أن نبرأها، فقيل: هو عائد على الأنفس لقربها منه، وقيل: على الأرض، وقيل: عائد على المصيبة، والتحقيق أن يقال: عائد على البرية التي تعم، هٰذا كله دل عليه السياق وقوله نبرأها، فينتظم التقادير الثلاثة انتظاماً واحداً[1]، والله أعلم».

قال الخطابي رحمه الله: «قد يحسب كثير من الناس أن معنى القدر من الله والقضاء منه معنى الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وما قدره، ويتوهم أن قوله ﷺ: «فحج آدم موسى» من هٰذا الوجه وليس كذٰلك، وإنما معناه الإخبار من تقدم علم الله سبحانه بما يكون من أفعال العباد وأكسابهم، وصدورهما عن تقدير منه، وخلق لها خيرها وشرها»[2].

القدرية:

ولقد تكلم ابن بطة رحمه الله عن تنبيء الرسول ﷺ بظهور القدرية المكذبين للقدر، وتكلم عن نشأتهم وتاريخهم وذٰلك في الباب الثاني من الجزء الحادي عشر، وعنوانه (باب ذكر أئمة المضلين الذين أحدثوا الكلام في القدر، وأول من ابتدعه وأنشأه ودعا إليه).

أما تنبؤه ﷺ بظهور القدرية وتحذيره منها؛ فقد جاء في أحاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام: «إنما أتخوف على أمتي ثلاثاً:

١ ـ التصديق بالنجوم.

٢ ـ والتكذيب بالقدر.

---

(١) «شفاء العليل» (٦ ـ ٧).

(٢) انظر: «المعالم» للخطابي بهامش «مختصر سنن أبي داود» للمنذري (٧ / ٦٩).

٣ ـ وحيف الأئمة»[١].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «سيكون في أمتي مسخ، وذٰلك في القدرية والزندقية»[٢].

وقـال أيضاً: «كأني بنسائهم يطفن حول ذي الخلصة تصطك إلياتهين مشركات، والذي نفسي بيده؛ لا ينتهي سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يقدر الخير كما أخرجوه من أن يقدر الشر»[٣].

وقد نشأت القدرية بعد ذٰلك في الأمة الإسلامية كما تنبأ به ﷺ؛ فكان أول من أحدث القول بنفي القدر في الإسلام (كما ينقل ابن بطة) رجل من أهل العراق يقال له سيبويه البقال، ويسميه البعض: السوسن[٤] ويكنى أبا يونس، كان نصرانيّاً؛ فأسلم ثم تنصر، ولم يكن له تبع على هٰذا الرأي في البداية سوى المـلاحين، ثم أخذ عنه معبد الجهني، فدعا الناس إلى هٰذه المقالة، فأخذ غيلان الدمشقي عن معبد، وكان مشهوراً بالدعوة إلى القدر في عهد عمر بن عبد العزيز، ثم قتل في عهد هشام بن عبد الملك لما عاد إلى الدعوة إلى القدرية بعد أن أعطى العهد لعمر بن عبد العزيز أنه تاب عن العقيدة القدرية، وكان السلف لا يحترمون معبداً، بل يأمرون بإهانته واحتقاره وعدم الجلوس معه؛ فعن عمرو بن دينار؛ قال: «بينا طاووس يطوف بالبيت؛ لقيه معبد الجهني، فقال له طاووس: أنت معبـد؟ فقال: نعم. قال: فالتفت إليهم طاووس، فقال: هٰذا معبد فأهينوه، وكان الحسن ينهى عن مجالسته».

(١) صحيح بشواهده، انظر التخريج: (حديث رقم ٢٥٦).

(٢) صحيح، انظر التحقيق: (حديث رقم ٢٤٥).

(٣) صحيح، انظر التحقيق: (حديث رقم ٢٤٨).

(٤) وفي «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي: «سنسويه البقال»، ويسميه الأوزاعي «سوسن» كما نقل ذٰلك عنه ابن بطة.

ثم جاءت المعتزلة بعد ذٰلك فاعتنقت هٰذا المذهب، وكان زعيمهم في ذٰلك عمرو بن عبيد وواصل ابن عطاء وغيرهما من رؤساء المعتزلة؛ فطوروا القول بنفي القدر حتى جعلوا نفي القدر أحد أركان مذهبهم، وسموا ذٰلك عدلاً[1]، وذٰلك لأن عدالة الرب لا تتم في نظرهم إلا بنفي القضاء والقدر، وأن العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه؛ فالله تعالى ليس خالقاً لأفعال العباد كما يزعمون.

وبعد هٰذا التمهيد في شرح مفهوم القدر والتاريخ للقدرية؛ نعرض في الفصول العشرة التالية دراسة تحليلية لما تضمنته المخطوطة من الموضوعات مع التعليق عليها.

●●●●●

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (ج ١، ص ٥)، تحقيق عبد الرحمٰن عميرة.

الفصل الأول
وجوب الايمان بالقدر

أثبت ابن بطة وجوب الإيمان بالقدر بما رواه من الأحاديث والآثار التي أوردها في البـاب الرابع من الجزء التاسع من هٰذا الكتاب، وعنوانه: (باب التصديق بأن الإيمان لا يصح لأحد ولا يكون العبد مؤمناً حتى يؤمن بالقدر خيره وشـره، وأن المكذب بذٰلك إن مات عليه؛ دخل النار، والمخالف لذٰلك من الفرق الهالكة).

ووجـوب الإيمـان بالقـدر موضـع إجماع علماء السنة، تواترت به أدلة الكتاب والسنة مما لا مجال معه للشك والتردد في إثبات القدر ووجوب الإيمان به، وقد روى ابن بطة في هٰذا الباب أنه ﷺ قال: «إن الله تعالى لو عذب أهل السماوات والأرضين؛ عذبهم غير ظالم لهم، ولو رحمهم؛ كانت رحمته إياهم خيراً لهم من أعمالهم، ولو أن لأمرىء أحداً ذهباً ينفقه في سبيل الله حتى ينفد ثم لم يؤمن بالقدر خيره وشره؛ دخل النار»[1].

وفيما رواه عطاء بن رباح؛ قال: «سألت الوليد بن عبادة بن الصامت: كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت؟ فقال: دعاني فقال: يا بني! اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده، وتؤمن بالقدر

(١) صحيح. انظر التحقيق: (حديث رقم ١٧١).

خيره وشره، قلت: يا أبت! كيف لي أن أؤمن بالقدر خيره وشره؟ قال: تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، هٰذا القدر، فإن مت على غير هٰذا؛ دخلت النار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم؛ فقال له: اكتب، قال: أي رب! وما أكتب؟ قال: القدر»، فجرى القلم تلك الساعة بما هو كائن إلى الأبد(١).

وروي عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر أن أول من تكلم في القدر معبد الجهني؛ فخرجت أنا وحميد بن عبد الرحمٰن نريد مكة فقلت: لو لقينا أحداً من أصحاب النبي ﷺ فسألناه عما يقول هٰؤلاء القوم، فلقينا عبد الله ابن عمر؛ فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله؛ فعلمت أنه سيكل المسألة إلي، فقلت: يا أبا عبد الرحمٰن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يتقفرون هٰذا العلم ويطلبونه ويزعمون أن لا قدر، إنما الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولٰئك؛ فأخبرهم أني منهم بريء وأنهم مني براء، والذي نفسي بيده! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله؛ ما قبل الله منه شيئاً حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، ثم قال: حدثنا عمر بن الخطاب؛ قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ؛ إذ أقبل رجل شديد بياض الثياب، وذكر حديث الإيمان بطوله إلى قوله: «فما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وحده، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبالبعث بعد الموت، والجنة والنار، والقدر خيره وشره. قال: صدقت»، وذكر تمام الحديث بطوله»(٢).

وفي الأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: «لن يجد عبد طعم الإيمان (ووضع يده في فيه) حتى يؤمن بالقدر، ويعلم أنه ميت وأنه مبعوث» إلى غير ذٰلك من الأحاديث الصحيحة والآثار المروية عن الصحابة والتابعين ومن

---

(١) صحيح. انظر التخريج: (حديث رقم ١٧٣).

(٢) صحيح. انظر التحقيق: (حديث رقم ١٧٨).

بعدهم من الأئمة في إثبات القدر ووجوب الإيمان به، رواها ابن بطة في هٰذا الباب.

قلت: هٰذه الأحاديث والآثار كلها صريحة في الدلالة على أن من لم يؤمن بالقدر؛ لا يقبل الله منه عمله مهما قدم من أنواع البر ولو أنفق مثل أحد ذهباً، وأن حقيقة الإيمان والتقوى لا تتم إلا بالإيمان بوحدانية الله والإيمان بالقدر، وأن الإيمان بالقدر لا يتم للمسلم حتى يعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ذٰلك هو القدر.

●●●●●

الفصل الثاني

أزليـــة القـــدر

يستشهد ابن بطة على هٰذا المعنى بما أورده من الآيات والأحاديث والآثار في بابين من أبواب «الإبانة»، وهما الباب السابع والثامن من الجزء الثامن.

أمـا أولهمـا؛ فهـو (بـاب الإيمـان بأن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرضين، ومن خالف ذٰلك؛ فهو من الفرق الهالكة)، وأما ثانيهما؛ فهو (باب الإيمان بأن الله تعالى خلق القلم، فقال له: اكتب، فكتب ما هو كائن، فمن خالفه؛ فهو من الفرق الهالكة).

وجماع القول في مرويات هٰذين البابين أن الله تعالى قدر مقادير الخلائق كلها قبل خلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة، وعلم بها أزلاً، وأن أول ما خلق الله القلم ثم أمره بكتابة ما سيكون إلى قيام الساعة من خلق ورزق وبر وفجور ورطب ويابس، ثم ختم الله عليه بعد الفراغ من كتابة المقادير؛ فكل ما يجري في الدنيا لم يكن إلا بالقضاء والقدر السابقين في الأزل، فهو تعالى عالم بكل شيء قبل وجوده جملة وتفصيلاً كعلمه به بعد وجوده؛ فعلم أهل الجنة من أهـل النـار، وأهل السعادة من أهل الشقاء، وكتب حياة كل نفس وأجلها وما يصيبها في الدنيا من خير أو شر، وما تعمله كل نفس في حياتها، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار، والناس يعملون في الدنيا فيما فرغ منه كتابة وتقديراً وعلماً؛

فلا يوجد شيء خارج قضاء الله وقدره لم يسبق به علمه ولم يجر به قلمه، كما جاء بيان ذلك في حديث سراقة بن مالك رضي الله عنه حيث قال: يا رسول الله! أنعمل لأمر فرغ منه أو لأمر نأتنفه؟ فقال: «بل لأمر فرغ منه». فقال سراقة ابن مالك: يا رسول الله! ففيما العمل إذاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له».

وفي كتابة المقادير الأزلية جاء قوله تعالى: ﴿نٓ والقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾؛ فدلت الآية الأولى على أن الله تعالى أقسم بالقلم الذي سطر المقادير في الأزل، ودلت الآية الثانية على أن الملائكة الموكلين بحفظ أعمال العباد اليومي وكتابتها كانوا يستنسخون من الكتاب السابق الذي كتبه القلم في أم الكتاب أزلاً، فيكون عمل الرجل اليومي مطابقاً لما يستنسخ من اللوح المحفوظ؛ كما فسره بذلك حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

ومع ثبوت أزلية القدر بالكتاب والسنة زعمت القدرية أن الله تعالى لم يقدر مقادير الأشياء أزلاً، والأمر آنف لم يعلم به الله إلا بعد وجوده، تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

قلت: إن أزلية القدر الإلهي مما تواترت به الروايات من أصحاب الكتب الستة وغيرهم من علماء السنة الذين ألفوا في بيان مذهب السلف؛ مثل الآجري في «الشريعة»، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، وشيخ الإسلام ابن تيمية في كثير من مؤلفاته، وابن القيم الجوزية في كتابه «شفاء العليل»، والبيهقي في «الاعتقاد»، بالإضافة إلى ما ورد من ذلك في كثير من آيات الله البينات المثبتة للقدر الأزلي له تعالى هدفهم جميعاً الرد على القدرية المنكرة لذلك.

والجدير بالذكر أن ثبوت القدر الأزلي والإيمان به لا يسقط المسؤولية عن

المكلفين، فلا يجوز لأحد الاحتجاج بالقدر في ترك العمل بتكاليف الشريعة أمراً أو نهياً؛ لأن ذٰلك ما تقتضيه نصوص الكتاب والسنة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة؛ فالإيمان بالقدر دون العمل بالشريعة هو مذهب الجبرية، كما أن التمسك بتكاليف الشريعة دون الإيمان بالقدر هو مذهب القدرية، ولا شك أن كلًا من المذهبين باطل، رد عليهما علماء السنة في كل زمان، ومذهب أهل السنة يوجب الإيمان بالقدر مع العمل بتكاليف الشريعة دون احتجاج بالقضاء والقدر في ارتكاب المعاصي وترك الواجبات؛ لأنه ﷺ قال لأصحابه لما سألوه عن ذٰلك: «اعملوا؛ فكلٌ ميسر لما خلق له».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن القدر نؤمن به ولا نحتج به، فمن احتج بالقدر؛ فحجته داحضة، ومن اعتذر بالقدر؛ فعذره غير مقبول، ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولاً؛ لقبل من إبليس وغيره من العصاة، ولو كان القدر حجة؛ لم يقطع سارق، ولا قتل قاتل، ولا أقيم حد على ذي جريمة، ولا جوهد في سبيل الله، ولا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، وقد سئل رسول الله عن هٰذا؛ فقيل: يا رسول الله! أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟ فقال: «اعملوا؛ فكلٌّ ميسر لما خلق له»[1]، وسلف الأمة وأئمتهم متفقون على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه ومحرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده، ومن احتج بالقدر على ترك مأمور أو فعل محظور، أو دفع ما جاءت به النصوص في الوعد والوعيد؛ فهو أعظم ضلالاً وافتراءً على الله، ومخالفة لدين الله من أولٰئك القدرية[2]، وقد عقد ابن القيم لبيان هٰذه المسألة باباً خاصّاً عنوانه (الباب السابع في أن سبق المقادير بالسعادة والشقاء لا يقتضي ترك الأعمال، بل يوجب

(١) «دقائق التفسير» الجامع لتفسير ابن تيمية (ج ٤، ص ٣٦٨ - ٣٦٩).

(٢) انظر: «الفتاوى» لشيخ الإسلام (٨، ص ٤٥٢).

الاجتهاد والحرص لأنه تقدير بالأسباب»(١).

ثم قال: «يسبق إلى أفهام كثير من الناس أن القضاء والقدر إذا كان قد سبق؛ فلا فائدة في الأعمال، وأن ما قضاه الرب سبحانه وقدره لا بد من وقوعه؛ فتوسط العمل لا فائدة فيه، وفيه سبق إيراد هٰذا السؤال من الصحابة على النبي ﷺ، فأجاب بما فيه الشفاء والهدي؛ ففي «الصحيحين» عن علي بن أبي طالب: كنا في جنازة في بقيع الغرقد؛ فأتانا رسول الله ﷺ ومعه مخصرة، فنكس، فجعل ينكث بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة؛ إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة»، فقال رجل: يا رسول الله! أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل السعادة، ومن كل من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة؛ فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء؛ فييسرون لعمل أهل الشقاوة» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى . وصَدَّقَ بالحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وأَمَّا مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنَى . وكَذَّبَ بِالحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾»(٢).

ثم قال بعد أن أورد عدة روايات في هٰذا الباب: «فاتفقت هٰذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجد والاجتهاد، ولهٰذا؛ قال بعض الصحابة لما سمع هٰذا الحديث: «ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن»، وهٰذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم، فإن النبي ﷺ أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالأسباب، فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ومكن منه

(١) انظر: كتاب «شفاء العليل» (ص ٥، ٢٤).

(٢) «شفاء العليل» (ص ٢٤).

انظر: «صحيح مسلم» (٤ / ٢٠٩)، مطبعة حلبي، والبخاري مع «فتح الباري» (١١ / ٤٩٤).

وهيء له، فإذا أتى بالسبب؛ أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب، وكل ما زاد اجتهاداً في تحصيل السبب؛ كان حصول المقدور أدنى إليه، وهٰذا كما إذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه؛ فإنه لا ينال ذٰلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه، فإذا قدر له أن يرزق الولد؛ لم ينل ذٰلك إلا بالنكاح أو التسري والوطء.

وإذا قدر له أن يستغل من أرضه من المغل كذا وكذا؛ لم ينله إلا بالبذر وفعل أسباب الزرع، وإذا قدر الشبع والري؛ فذٰلك موقوف على الأسباب المحصلة لذٰلك من الأكل والشرب واللبس، وهٰذا هو شأن أمور المعاش والمعاد، فمن عطل العمل اتكالا على القدر السابق؛ فهو بمنزلة من عطل الأكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتكالاً على ما قدر له... فالقدر السابق معين على الأعمال وما يحث عليها ومقتضي لها لا أنه مناف لها وصادٌّ عنها، وهٰذا موضع مزلة قدم، من ثبتت قدمه؛ فاز بالنعيم المقيم، ومن زلت قدمه عنه؛ هوى إلى قرار الجحيم، فالنبي ﷺ أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سببا السعادة الإيمان بالأقدار؛ فإنه نظام التوحيد والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره وذٰلك نظام الشرع، فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر؛ فأبى المنحرفون إلا القدح بإنكاره في أصل التوحيد، أو القدح بإثباته في أصل الشرع، ولم تتسع عقولهم التي لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جمعت الرسل جميعهم بينه وهو القدر والشرع والخلق والأمر، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، والنبي ﷺ شديد الحرص على جمع هٰذين الأمرين للأمة، وقال عليه الصلاة والسلام: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن العاجز من لم يتسع للأمرين»، وبالله التوفيق»[1].

---

(١) «شفاء العليل» (ص ٢٥ - ٢٦).

الفصل الثالث

شمول القدر الالهي لجميع أفعال العباد وضرورة تحققه

عقد ابن بطة لبيان هٰذا المعنى باباً خاصّاً وهو الباب الثالث من الجزء التاسع عنوانه (باب الإيمان بأن الله عز وجل إذا قضى من النطفة خلقاً؛ كان، وإن عزل صاحبها ومن رد ذٰلك؛ فهو من الفرق الهالكة).

قررت النصوص الواردة في هٰذا الباب أن إرادته تعالى غالبة، ومشيئته في خلقه ماضية؛ فلا يقدر أحد من خلقه على أن يجلب لنفسه ما لم يرد الله له من الخيرات والمنافع، كما لا يقدر على أن يدفع عن نفسه ما قدر الله عليه من الشرور والمضار؛ فالله تعالى لا يمنعه مانع من تنفيذ إرادته، كما لا يقدر أحد من خلقه أن ينفذ خلاف مراده ـ سبحانه ـ خلافاً للعبد في ذٰلك؛ فالله تعالى قد يحول بينه وبين مراده إذا لم يرد له ذٰلك أزلاً مهما أوتي العبد من قوة واجتهاد، ومهما أوتي من حزم وحيلة واحتياط، وبياناً لهٰذا المعنى يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «لو أن الماء الذي يكون منه الولد يبيت على صخرة؛ لأخرج الله منه ولداً ليخلقن الله نسمة هو خالقها»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما قدر الله لنفس أن تخرج؛ إلا وهي كائنة»(٢)، وذٰلك حينما جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله! إن لي جارية؛ أفأعزل عنها؟ قال: «سيأتيها ما قدر لها»،

(١) صحيح. انظر التحقيق: (حديث رقم ١٦٠).

(٢) صحيح. انظر التخريج: (حديث رقم ١٦٧).

فذهب ثم جاء، فقال: يا رسول الله! ألم تر إلى الجارية التي سألتك عنها؛ فإنها قد حبلت. فقال رسول الله ﷺ: «وما قدر الله لنفس أن تخرج؛ إلا وهي كائنة».

وعن أبي سعيد الخدري؛ قال: أصابنا نساء يوم خيبر؛ فكنا نعزل عنهن ونحن نريد الفداء، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك؛ فقال: «ليس من كل الماء يخلق الولد، وإن الله عز وجل إذا أراد شيئاً لا يمنعه شيء»(١)، وسأل رجل من أشجع رسول الله ﷺ عن العزل؛ فقال: «ما يقدر الله عز وجل في الرحم؛ فسيكون»(٢).

وفي الأثر الذي رواه الأعمش عن إبراهيم أن السلف كانوا يقولون: «النطفة التي قدر منها الولد لو ألقيت على صخرة؛ لخرجت تلك النسمة منها»(٣).

فدل كل من الأحاديث والآثار على شمول إرادته تعالى، وأنه إذا أراد شيئاً لا يمنعه شيء ولا يكون إلا ما أراد سبحانه، وأن ذلك هو مذهب السلف يجب على المسلمين معرفته والإيمان به، فمن زعم خلاف ذلك؛ فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله، وأنهم أقدر على ما يريدون منه على ما يريد، وهذا عين الشرك بالله، تعالى الله عما تقوله الملحدة القدرية علوّاً كبيراً.

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل مال الحرام ليس بقضاء وقدر من الله؛ زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره، وأن ما أخذه وأكله وملكه وتصرف فيه من أحوال الدنيا وأموالها؛ كان إليه، وبقدرته يأخذ منها ما يشاء ويضع ما يشاء ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء، إن شاء أغنى نفسه؛

---

(١) صحيح. انظر التخريج: (حديث رقم ١٦٨).

(٢) صحيح. انظر التخريج: (حديث رقم ١٥٧).

(٣) انظر التحقيق (حديث رقم ١٦٩).

أغناه، وإن شاء أن يفقرها؛ أفقرها، ومذهب أهل السنة أن ما ساقه الله على عباده من رزق حلال أو حرام ومن خير أو شر؛ فهو بقدر من الله تعالى، وأن المقتول مات في أجله المحدود له أزلاً؛ خلافاً لهٰؤلاء القدرية التي تزعم أنه تعالى لا يقدر ولا يرزق الحرام، وإنما العبد هو الذي يرزق لنفسه من الحرام بقدرته دون إرادة الرب عز وجل، وأن المقتول مات بدون أجله؛ فأثبت ابن بطة أن كل ذٰلك من الله تعالى، فالله هو الذي يرزق الحلال والحرام، وأن المقتول مات في أجله المحدود له، وهٰذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وما تزعمه القدرية؛ فهو مذهب باطل، دل على بطلانه الكتاب والسنة والآثار المنقولة عن السلف؛ من ذٰلك ما جاء في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «الزنا بقدر، وشرب الخمر بقدر، والسرقة بقدر»[1].

وجاء رجل إلى سالم بن عبد الله، فقال: الزنا بقدر؟ قال: نعم. قال: قدر الله علي ويعذبني عليه؟ قال: فأخذ له سالم الحصباء، هٰكذا كان السلف يثبتون أن الله تعالى هو الذي يقدر كل شيء سواء في ذٰلك الخير والشر.

قلت: وما ذكره ابن بطة من شمول القدر الإلٰهي لجميع أفعال العباد، وأن ما قدره لا بد من تحققه ونفاذه هو مذهب السلف الصالح الثابت بالكتاب والسنة، لم يخالف في ذٰلك سوى القدرية التي تزعم أن أفعال العباد مخلوقة له دون مشيئة من الله تعالى، بل يزعمون أنه تعالى غير قادر على أفعال العباد[2]؛ فتبارك الله أحسن الخالقين.

فمن الأدلة الدالة على شمول القدر الإلٰهي بأفعال العباد وغيرها من المخلوقات؛ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ فدخل فيه

---

(١) رواه اللالكائي (ج ٢، ص ٦٤٩ و٦٧٥)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (ص ١٢٥).

(٢) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٥٢١)، و«جامع الرسائل» لابن تيمية (المجموعة الأولى، ص ١٢٩)، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

الأعيان والأفعال من الخير والشر.

وقال: ﴿أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ فنفى أن يكون خالق غيره، ونفى أن يكون شيء سواه غير مخلوق(١).

ومن أصرح الأدلة وأوضحها دلالة على أن أفعال العباد مخلوقة له تعالى؛ قوله تعالى: ﴿واللهُ خَلَقَكُم وَمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ فأخبر أن أعمالهم مخلوقة لله عز وجل(٢).

وفيما رواه البيهقي عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾؛ قال: «الأصنام، ﴿واللهُ خَلَقَكُم وَمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ قال: خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم، وقال تعالى: ﴿وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ فامتدح بالقولين جميعاً، فكما لا يخرج شيء من علمه؛ لا يخرج شيء غيره من خلقه، وقال في آية أخرى: ﴿وأَسِرُّوا قَوْلَكُم أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾؛ فأخبر أن قولهم وسرهم وجهرهم خلقه وهو بجميع ذلك عليم، وقال تعالى: ﴿وأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وأَبْكَى . وأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وأَحْيَا﴾، فكما كان مميتاً محيياً بأن خلق الموت والحياة؛ كان مضحكاً مبكياً بأن خلق الضحك والبكاء، وقد يضحك الكافر سروراً بقتل المسلمين وهو منه كفر، وقد يبكي خوفاً بظهور المسلمين وهو منه كفر، ثبت أن الأفعال كلها خيرها وشرها صادرة عن خلقه وإحداثه إياها(٣)، وبمثل ما جاءت الآيات القرآنية من الدلالة على شمول القدر الإلهي لأفعال العباد وغيرها؛ جاءت السنة عن رسول الله ﷺ، من ذلك ما رواه البيهقي وغيره من علماء السنة

---

(١) يعني بذلك أن كل شيء غير الله مخلوق.

(٢) انظر: «الاعتقاد» للبيهقي (ص ٥٩ ـ ٦٠).

(٣) «الاعتقاد» للبيهقي (ص ٥٩ ـ ٦٠).

عن حذيفة بن اليمان؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته»، وفي حديث آخر عن أبي أمامة الباهلي؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول: أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخير وقدرته؛ فطوبى لمن خلقته للخير وخلقت الخير لهم وأجريت الخير على يديه، أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الشر وقدرته؛ فويل لمن خلقت الشر له وخلقته للشر وأجريت الشر على يديه»»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقدرية الثانية المجوسية الذين يجعلون لله شركاء في خلقه؛ كما جعل الأولون لله شركاء في عبادته، فيقولون: خالق الخير غير خالق الشر، ويقول من كان منهم في ملتنا: إن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالى، وربما قالوا: ولا يعلمها أيضاً، ويقولون: إن جميع أفعال الحيوان واقع بغير قدرته ولا صنعه؛ فيجحدون مشيئته النافذة، وقدرته الشاملة، ولهذا قال ابن عباس: القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر؛ تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر؛ نقض تكذيبه توحيده، ويزعمون أن هذا هو العدل، ويضمون إلى ذلك سلب الصفات ويسمونه التوحيد»[2].

وقال ابن القيم في قصيدته النونية استدلالاً على شمول القدر الإلهي لأفعال العباد وغيرها من المخلوقات:

وهُوَ القَدِيرُ فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ مَقْـ ... دُورٌ لَهُ طَوْعاً بِلاَ عِصْيَانِ
وَعُمُومُ قُدْرَتِهِ تَدُلُّ بِأَنَّهُ ... هُوَ خَالِقُ الأَفْعَالِ لِلْحَيْوَانِ
هِيَ خَلْقُهُ حَقّاً وأَفْعَالٌ لَهُم ... حَقّاً وَلاَ يَتَنَاقَضُ الأَمْرَانِ
لٰكِنَّ أَهْلَ الجَبْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِا ... لأَقْدَارِ مَا فُتِحَتْ لَهُمْ عَيْنَانِ

(١) «الاعتقاد» للبيهقي (ص ٦١ - ٦٢).

(٢) «الفتاوى» (ج ٨ / ٢٥٨).

قال شارح القصيدة الدكتور خليل هراس رحمه الله: «والحق الذي عليه أهل السنة أن أفعال الحيوانات تنسب إلى الله عز وجل على أنه خالقها وموجدها؛ كما قال تعالى: ﴿واللهُ خَلَقَكُم وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وتنسب إليها على أنها أفعال لها صادرة عن قدرها وإراداتها الحادثة، ولا تنافي بين الأمرين؛ فإن معنى كونها مخلوقة لله أن الله خلق جميع الأسباب التي وجدت بها؛ مثل القدر، والإرادات، والحواس، والآلات، والمواد الخارجية التي تقع عليها الأفعال، ومعنى كونها أفعالاً للعباد أنهم هم الذين باشروها بقدرهم وإراداتهم مباشرة تجوز اتصافهم بها على الحقيقة؛ فيقال: «صلى وصام، وزنى، وسرق» هٰذا هو مذهب الأمة الوسط الذي يجمع بين الآيات الدالة على عموم خلقه سبحانه مثل قوله: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1].

وبين الآيات الدالة على نسبة الأفعال إلى العباد وهي كثيرة؛ مثل قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا ما شِئْتُم﴾، وقوله: ﴿وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ والمُؤمِنُونَ. . .﴾ الآية، وقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾، ولٰكن أهل الجبر الذين ينفون عن العبد القدرة على الفعل ولا يسمونه فاعلاً إلا على جهة المجاز، والقدرية الذين يزعمون أن العبد مستقل بخلق أفعاله دون أن تتعلق بها قدرة الله ومشيئته؛ نظروا إلى المسألة بعين أعور حين أخذ كل منهم بجانب من الحق دون جانب، فالمجبرة غلبوا عموم القدرة والمشيئة؛ فلم يجعلوا للعبد فعلاً، ولا جعلوه مسؤولاً عما يصدر منه؛ إذ لا يسأل عما ليس من فعله، والقدرية غلبوا جانب التكليف والأمر والنهي؛ فخصصوا في القدر والمشيئة، وعزلوا أفعال العباد عن الدخول تحتهما؛ تحقيقاً لمسؤولية العبد وتصحيحاً للتكليف، وهٰكذا نظرت كل من الطائفتين نظراً قاصراً؛ فلم يؤمنوا بالكتاب كله الدال على إثبات عموم قضاء الله وقدره ومشيئته، وعلى أن

---

(١) الزمر: ٦٢.

أفعال العباد واقعة منهم بقدرتهم ومشيئتهم، فلو وفقوا لذلك كما وفق له أهل السنة والجماعة؛ لهدوا»(١).

قال البيهقي: «فلو كانت الأفعال غير مخلوقة؛ لكان الله سبحانه خالق بعض الأشياء دون جميعها، وهذا خلاف ما دلت عليه الآيات، ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان؛ فلو كان الله خالق الأعيان والناس خالقي الأفعال؛ لكان خلق الناس أكثر من خلقه، ولكانوا أتم قدرة منه وأولى بصفة المدح من ربهم سبحانه...»(٢).

قلت: ولا يتعارض ما ثبت من أنه تعالى خالق أفعال العباد مع ما ثبت من قوله عليه الصلاة والسلام: «والشر ليس إليك»؛ لأن المقصود من هذه الكلمة ليس نفي خلق الشر عن الله تعالى، وإنما المقصود منها كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية، وعلامة ابن قيم الجوزية، والبيهقي؛ أن الشر المحض ليس من أفعاله تعالى لأنه لا يخلق الشر المحض؛ إذ جميع أفعاله تعالى فيها حكمة وعاقبة محمودة، وليس فيها شر بالنسبة له تعالى، وإن كان شراً بالنسبة للمخلوقين؛ فهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «والشر ليس إليك».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الحسنة مضافة إليه تعالى لأنه أحسن بها من كل وجه... فما من وجه من وجوهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة؛ فهو إنما يخلقها حكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه؛ فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وحسنات وفعله كله خير، ولهذا؛ كان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح: «الخير بيديك والشر ليس إليك»؛ فإنه لا يخلق شرّاً محضاً، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس وهي شر جزئي إضافي، فأما شر كلي أو شر مطلق؛

(١) «القصيدة النونية» مع شرحها لخليل هراس (ص ٩١ ـ ٩٢).

(٢) «الاعتقاد» للبيهقي (ص ٦٠).

فالرب منزه عنه، وهٰذا هو الشر الذي ليس إليه، وأما الشر الجزئي الإضافي؛ فهو خير باعتبار حكمته، ولهٰذا؛ لا يضاف إليه مفرداً، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات كقوله تعالى: ﴿وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]، وإما أن يضاف إلى السبب كقـوله: ﴿مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ﴾[2]، وأما أن يحذف فاعله كقول الجن: ﴿وأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُم رَشداً﴾»[3،4].

وقال البيهقي في معنى هٰذه الآية: «والشر لا يتقرب به إليك»[5].

وهٰذا قليل من كثير مما ذكره علماء السنة في بيان شمول القدر الإلٰهي لأفعـال العبـاد، فقد توسع ابن القيم في كتابه «شفاء العليل»[6] في بيان هٰذه المسألة أكثر من غيره، فمن أراد مزيداً من الإيضاح في المسألة؛ فعليه مراجعة هٰذا الكتاب، حيث عقد باباً خاصّاً بهٰذه المسألة عنوانه (الباب السادس عشر فيما جاء في السنة من تفرد الرب تعالى بخلق أعمال العباد؛ كما هو متفرد بخلق ذواتهم وصفاتهم)، ثم أورد أدلة طويلة في ذٰلك مما يطول ذكره، هنا نكتفي بهٰذا القدر خوف الإطالة.

وهناك جانب آخر نبه عليه ابن بطة على ما تقدم بيانه، وهو أن كلًّا من الحلال والحرام يسمى رزقاً من الله عند أهل السنة؛ إذ لا رازق غير الله تعالى، وخالفت القدرية في ذٰلك؛ فأنكرت أن يكون الحرام رزقاً من الله تعالى، كما أنكرت أن يكون المقتول ميتاً بأجله المحدود، وهٰذا الذي وضحه ابن بطة هو

---

(١) الفرقان: ٢.

(٢) العلق: ٢.

(٣) الجن: ١٠.

(٤) «الحسنة والسيئة» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٤٤ ـ ٤٥).

(٥) «الاعتقاد» للبيهقي (ص ٦٢).

(٦) وذٰلك في (ص ١٠٩ ـ ١٢٠).

محل إجماع لدى علماء السنة.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن هٰذه المسألة فقيل له: إن الرجل إذا قطع الطريق وسرق، أو أكل الحرام ونحو ذٰلك؛ هل هو رزقه الذي ضمن الله تعالى له أم لا؟

فأجاب قائلاً: «الحمد لله، ليس هٰذا هو الرزق الذي أباحه الله له، ولا يحب ذٰلك ولا يرضاه، ولا أمره أن ينفق منه؛ كقوله تعالى: ﴿ومِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُونَ﴾، وكقوله تعالى: ﴿وأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾، ونحو ذٰلك؛ لم يدخل فيه الحرام، بل من أنفق من الحرام فإن الله تعالى يذمه ويستحق بذٰلك العقاب في الدنيا والآخرة بحسب دينه، وقد قال الله: ﴿ولا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالبَاطِلِ...﴾، ولٰكن هٰذا الرزق الذي سبق به علم الله وقدره كما في الحديث الصحيح عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذٰلك، ثم يكون مضغة مثل ذٰلك، ثم يبعث الله إليه الملك؛ فيؤمر بأربع كلمات، فيكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد، فكما أن الله كتب ما يعمله من خير أو شر، وهو يثيبه على الخير ويعاقبه على الشر؛ فكذٰلك كتب ما يرزق من حلال أو حرام، مع أنه يعاقبه على الرزق الحرام، ولهٰذا كل ما في الوجود واقع بمشيئة الله وقدره، كما تقع سائر الأعمال لٰكن لا عذر لأحد بالقدر، بل القدر يؤمن به وليس لأحد أن يحتج على الله بالقدر، بل لله الحجة البالغة، ومن احتج بالقدر على ركوب المعاصي؛ فحجته داحضة، ومن اعتذر به؛ فعذره غير مقبول، كالذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾، والذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾...» إلى أن قال: «فأما الرزق الذي ضمنه الله لعباده؛ فهو قد ضمن لمن يتقيه أن يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، وأما من ليس من المتقين؛ فضمن له ما يناسبه بأن يمنحه ما يعيش به في الدنيا ثم يعاقبه في

الآخـرة، كما قال عن الخليل: ﴿وارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾؛ قال: ﴿ومَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ المَصِيرُ. . .﴾ إلى آخر ما قاله هنالك»[1].

وسئـل أيضاً رحمه الله عن المقتول: هل مات بأجله، أم قطع القاتل أجله؟ فأجاب: «المقتول كغيره من الموتى، لا يموت أحد قبل أجله ولا يتأخر أحد عن أجله، بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تتقدم ولا تتأخر، فإن أجل الشيء هو نهاية عمره، وعمره مدة بقائه؛ فالعمر مدة البقاء، والأجل نهاية العمر بالانقضاء. . . وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعةً وَلَا يَسْتَقْـدِمُـونَ﴾[2]؛ إلا أن الأجل أجلان: أجل مطلق يعلم الله، وأجل مقيد، وبهـذا يتبين معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «من سره أن يبسط له في رزقه وينسـأ له في أجله؛ فليصل رحمه»؛ فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً، وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيزداد أم لا، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء ذلك؛ لا يتقدم ولا يتأخر»[3].

وقد يسأل سائل: كيف أنه تعالى يخلق ويقدر المعصية ويعاقب عليها، والطاعة فيثيب عليها؛ أقول: إن الإجابة على هذا السؤال ستأتي في التعليق على الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

●●●●●

---

(١) «الفتاوى» (ج ٨ / ٥٤٢ ـ ٥٤٤).

(٢) «الفتاوى» (ج ٨ / ٥١٦ ـ ٥١٨).

(٣) «الفتاوى» (ج ٨ / ٥١٦ ـ ٥١٧).

الفصل الرابع

أزلية العلم الالهي بأهل الجنة والنار وتعيينهم والحكم عليهم بذلك

واستدل ابن بطة على هٰذه المسائل بما ذكره من الآيات وما رواه من الأحاديث والآثار المروية عن السلف في ثلاثة أبواب من هٰذا الكتاب، وهي: الباب الخامس والسادس من الجزء الثامن، والباب الثاني من الجزء التاسع، وهٰذه الأبواب هي:

١ ـ باب ما روي أن الله تعالى خلق خلقه كما شاء، لما شاء، فمن شاء خلقه للجنة، ومن شاء خلقه للنار، سبق بذٰلك علمه، ونفذ فيه حكمه، وجرى فيه قلمه، ومن جحده؛ فهو من الفرق الهالكة.

٢ ـ باب الإيمان بأن الله أخذ ذرية آدم من ظهره؛ فجعلهم فريقين: فريقاً للجنة، وفريقاً للسعير.

٣ ـ باب الإيمان بأن السعيد والشقي من سعد أو شقي في بطن أمه، ومن رد ذٰلك؛ فهو من الفرق الهالكة.

وحاصل ما تقرره النصوص في هٰذه الأبواب الثلاثة أنه تعالى علم أهل الجنة والنار وأهل السعادة والشقاء أزلاً وحددهم، وميز بعضهم عن بعض وذٰلك عندما أخذ الله ذرية آدم من ظهره؛ فأخذ كل طيبة بيده اليمنى بيضاء نقية وأخبر أنها من أصحاب الجنة، وأخذ كل خبيثة بيده الأخرى سوداء على هيئة الفحم

وبين أنهم من أصحاب النار، ثم أعادها في صلب آدم بعد أن أشهدهم على أنفسهم أنه ربهم وخالقهم، وأخذ الميثاق منهم على عدم مخالفتهم العهد عندما يرسل إليهم الرسل في الدنيا.

أما أهل السعادة؛ فإنهم يوفون العهد بعد وجودهم في الدنيا، فيكونون من أهل الجنة، وأما الأشقياء؛ فإنهم ينقضون الميثاق فيكونون من أصحاب السعير، وقد ثبت أيضاً بالأحاديث الصحيحة أنه إذا استقر الجنين في الرحم؛ أتاه ملك الأرحام فيكتب أنه شقي أو سعيد، فخلق أحدنا يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة أربعين يوماً، ثم يكون مضغة مثل ذٰلك، ثم يبعث الله عز وجل إليه الملك بأربع كلمات: رزقه، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد، ولهٰذا يقسم ﷺ قائلاً: «فوالذي نفسي بيده؛ إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، ثم يدركه ما سبق له في الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار؛ فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، ثم يدركه ما سبق له في الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة؛ فيدخلها».

كل ذٰلك؛ سبق به علم الله، ومضى به قدره، وجرى به قلمه في الأزل قبل وجود آدم وذريته وقبل استقرار الأجنة في بطون أمهاتها بخمسين ألف سنة؛ فلا بد أن يكون مآل كل امرىء إلى ما قدر له من السعادة أو الشقاء، والجنة أو النار، فالسعيد إلى الجنة مهما عمل من عمل أهل النار؛ لأنه تعالى سيوفقه بعمل يدخل به الجنة قبل موته ولو بلحظه؛ فيكون بذٰلك من أهل الجنة، والشقي إلى النار مهما عمل من عمل أهل الجنة؛ فكم من رجل يعمل فيما يبدو للناس بعمل أهل السعادة حتى لا يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيعمل في آخر حياته بعمل يوجب له النار؛ فيكون من أصحاب النار، وقد يكون العبد مكتوباً عند الله سعيداً من أهل الجنة وهو يعمل فيما يبدو للناس بعمل أهل النار، حتى إذا كان في آخر حياته؛ وفقه الله بعمل يدخل به الجنة، فيكون

بذلك من أهل الجنة، فبذلك نعلم أن الله خلق الإنسان لواحدة من المنزلتين؛ إما للجنة، وإما للنار، ومع هذا كله؛ فقد بين الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أن الإيمان بالقدر لا يمنع العمل بطاعة الله ورسوله؛ فلا يجوز لأحد أن يتقاعس عن العمل بتكاليف الشريعة التي جاءت بها الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام احتجاجاً بالقدر، وبياناً لهذا المعنى يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة أو النار، وإلا كتبت شقية أو سعيدة»؛ فقال رجل: أفلا نتكل على كتابها يا رسول الله وندع العمل؟ قال: «لا، ولكن اعملوا؛ فكلٌ ميسر لما خلق له، أما أهل الشقاء؛ فييسرون لعمل أهل الشقاء، وأما أهل السعادة؛ فييسرون لعمل أهل السعادة»، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقى . وَصَدَّقَ بالحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[1].

قلت: وما ذكره ابن بطة في هذه الأبواب الثلاثة من إثبات العلم الإلهي الأزلي بأهل الجنة والنار السعيد والشقي منهم، وتمييز بعضهم عن بعض؛ لم يختلف في ذلك أحد سوى القدرية الأوائل، الذين ينكرون علمه السابق وتقديره الأزلي عز وجل؛ إذ ثبت بأدلة من الكتاب والسنة أن الله خلق الناس فريقين: فريقاً للجنة وفريقاً للسعير، علمهم قبل وجودهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم؛ كما بينه ابن بطة وغيره من علماء السنة، ولكن الجدير بالذكر هنا أن تحديده تعالى بأصحاب الجنة والنار وتعيينهم والحكم عليهم بذلك أزلاً لا يعني أن الله جعلهم من أهل الجنة والنار بدون أسباب تقتضي ذلك؛ فالمؤمن يدخل الجنة بسبب إيمانه وجده في الطاعة والعمل الصالح، والكافر يدخل النار بسبب كفره، وكذلك العاصي والفاسق يستحقان النار إن لم يغفر الله لهما بسبب تقصيرهما في العمل الصالح وارتكابهما الكبائر؛ إذ وعد الله الذين آمنوا وعملوا

(١) أخرجه مسلم في (كتاب القدر، ج٤، ص ٢٠٣٩ - ٢٠٤٠)، والترمذي في (تفسير سورة: ﴿واللَّيْلِ إذَا يَغْشَى﴾، ج ٥، ص ١١١ - ١١٢)، وأبو داود في (كتاب القدر، ج ٤، ص ٢٢٢ - ٢٢٣).

الصالحات أن يدخلهم الجنة بأعمالهم إن شاء؛ جزاء بما كانوا يعملون، كما وعد الذين عملوا السيئات أن يدخلهم النار؛ جزاء بما اقترفوا من السيئات، فالرب يعلم أن فلاناً سيعمل عمل أهل الجنة فيجعله بذلك من أهل الجنة، وفلاناً سيعمل عمل أهل النار فيكون بذلك من أهل النار، ومما يوضح ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عمر بن الخطاب وغيره: «أن الله تعالى قال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، وخلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون»[1]، وفي الأثر عن أبي قلابة؛ قال: «إن الله كتب أهل النار وما هم عاملون، وأهل الجنة وما هم عاملون؛ فطوى الكتاب ورفع القلم»[2].

ومن الآيات القرآنية الدالة على أن الله تعالى يدخل السعداء الجنة والأشقياء النار يوم القيامة على مقتضى أعمالهم التي قدموها في الدنيا؛ قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[5].

وقوله عز وجل: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[6].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا

---

(١) أورده ابن القيم في «شفاء العليل» (ص ١٠)، ثم قال أبو عمرو هذا الحديث، وإن كان عليل الإسناد؛ فإن معناه عن النبي ﷺ قد روي من وجوه كثيرة.

(٢) «شفاء العليل» (ص ١٢)، وانظر: «الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨ / ٦٨ - ٦٩).

(٣) الزخرف: ٧٢.

(٤) المؤمنون: ١١١.

(٥) الإنسان: ١٢.

(٦) الحاقة: ٢٤.

أَلَتْنَاهُم مِنْ عَمَلِهِم مِنْ شَيْءٍ﴾[1].

وقوله: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ مَا كَانوا يَفْعَلُونَ﴾[2].

وقالوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَر . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ . ولَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ . وكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ . وكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ . حَتَّى أَتَانا اليَقِينُ . فَمَا تَنْفَعُهُم شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[3].

وأمثال هٰذا في القرآن كثير جدّاً؛ فبيَّن سبحانه فيما يذكره من سعادة الآخرة وشقاوتها أن ذٰلك سيكون جزاءً بالأعمال المأمور بها والمنهي عنها؛ كما يذكر نحو ذٰلك فيما يقتضيه من العقوبات والمثوبات في الدنيا أيضاً[4].

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾؛ قال: «على علم بما يكون قبل أن يخلقه...»، وقال سعيد ابن جبير ومقاتل: «على علمه فيه»، وقال أبو إسحاق: «أي: على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه»، وقال الثعلبي: «على علم منه بعاقبة»[5].

قال ابن قتيبة في كتاب «تأويل مختلف الحديث» تعليقاً على حديث «الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه» ما نصه: «هٰذا من باب العلم؛ أي: علم الله أن فلاناً سيعطى الحرية والاختيار؛ فيختار ما يفضي للسعادة، وفلاناً سيعطاهما؛ فيختار سبيل الشقاء».

وعلى هٰذا الضوء يفهم القارىء جميع الآيات والأحاديث التي يكاد يفهم

---

(١) الطور: ٢١.

(٢) المطففين: ٣٦.

(٣) المدثر: ٤٢ ـ ٤٨.

(٤) انظر: «الفتاوى» لابن تيمية (ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٥) «شفاء العليل» (ص ٣٠).

منها الجبر؛ مثل: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾. . . «يكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد»، «هٰؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهٰؤلاء إلى النار ولا أبالي». . .

لقد كتب الله على نفسه الرحمة، ومن رحمته بالمكلفين أن منحهم سعادة الحرية والاختيار والإرادة، فإن استفادوا من هٰذه الموهبة وعملوا صالحاً؛ سعدوا، وإن أهملوها؛ شقوا، إذن فسعادة الدنيا والآخرة ثمار إيمان واستقامة، وشقاؤها ثمار انحراف، والمكلف قادر على تمثيل الدورين، وهٰذا ناموس عام ثابت، نعم علم الله ماذا سيفعل مطلق مكلف وعلم ما سيكون لأعمال المكلف من أثر في مستقبله، ولٰكن علمه لا يقتضي جبر المكلف؛ إذ الجبر والتكليف لا يجتمعان، بل يعني الإحاطة والشمول؛ إذ هما لله وحده. . . لقد عبد الله طريق السعادة وأمرنا بسلوكه، وكفل لنا سلامة الوصول إن صممنا على الوصول، أما الشقاء؛ فظلمة لا تخيم إلا حيث ينعدم النور، وهو طاقة كامنة فينا لا تنعدم إلا إذا أردنا إعدامها[1].

وقال ابن القيم بعد أو أورد أحاديث وآثار تدل على أن عمل العبد هو السبب في سعادته أو شقاوته؛ قال: «فهٰذه وغيرها تدل على أن الله سبحانه قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم وشقاوتهم عقب خلق أبيهم، وأراهم لأبيهم آدم صورهم وأشكالهم. . .»[2] فالله سبحانه قد علم قبل أن يوجد عباده أحوالهم وما هم عاملون وما هم إليه سائرون، ثم أخرجهم إلى هٰذه الدار ليظهر معلومه الذي علمه فيهم، كما علمه وابتلاهم من الأمر والنهي والخير والشر بما أظهر معلومه؛ فاستحقوا المدح والذم والثواب والعقاب بما قام بهم من الأفعال

---

(١) انظر: كتاب «هل نحن مسيرون أم مخيرون» للدكتور محمد علي الزعبي (ص ٢٣ - ٢٤).

(٢) «شفاء العليل» (ص ١٢).

والصفات المطابقة للعلم السابق، ولم يكونوا يستحقون ذٰلك، وهي في علمه قبل أن يعملوها، فأرسل رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه؛ إعذاراً إليهم، وإقامة للحجة عليهم لأن لا يقولوا: كيف تعاقبنا على علمك فينا، وهٰذا لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا، فلما ظهر علمه فيهم بأفعالهم؛ حصل العقاب على معلومه الذي أظهره الابتلاء والاختبار. . .»[1].

ذكر الشيخ رشيد رضا في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الإِنْسِ والجِنِّ﴾: «إن الله ذرأهم لجهنم لأجل إعراضهم عن أوامر الله، يدل لذٰلك السياق في نفس الآية ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ولَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ وأُولٰئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾»[2].

وقال في تفسير الآية: «معناه؛ نقسم أننا خلقنا وبثثنا في العالم كثيراً من الجن والإنس لأجل سكنى جهنم والمقام فيها؛ أي: كما ذرأنا للجنة مثل ذٰلك وهو متقضى استعداد الفريقين، ﴿فَمِنْهُم شَقِيٌّ وسَعِيدٌ﴾، فريق في الجنة وفريق في السعير، وبماذا كان هٰؤلاء معدين لجهنم دون الجنة وما صفاتهم المؤهلة لذٰلك؟

الجواب: ذٰلك بأن لهم قلوباً لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها. . .» إلخ.

ورجح ابن تيمية أن تكون اللام في الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ . . .﴾ الآية للغاية وليست للعاقبة، وضعف قول الذين يقولون: إنها للعاقبة؛ لأن معنى العاقبة غير مناسب هنا، وذٰلك لأن لام العاقبة التي لم يقصد فيها الفعل لأجل العاقبة إنما تكون من جاهل أو عاجز؛ فالأول

(١) «شفاء العليل» (ص ٣٥).

(٢) انظر: «تفسير المنار» (٩ / ٣٨٩).

كقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾ لم يعلم فرعون بهٰذه العاقبة، و(الثاني الذي هو العاجز) كقولهم: لدو للموت وابنوا للخراب)، فإنهم يعملون هٰذه العاقبة عاجزون عن دفعها؛ فالله تعالى عليم قدير، فلا يقال أن فعله كفعل الجاهل العاجز[1].

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية هٰذه المسألة من خلال نقاش طويل أجاب فيه على سؤال وجه إليه حول هٰذه المسألة، حاصله[2]؛ السعيد لا يشقى والشقي لا يسعد؛ فما فائدة العمل؟

فأجاب قائلاً: «هٰذه المسألة قد أجاب فيها رسول الله ﷺ في غير حديث؛ ففي «الصحيحين» عن عمران بن حصين؛ قال: قيل: يا رسول الله! أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «نعم»، قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: «اعملوا؛ كل ميسر لما خلق له...»، وفي رواية أخرى عن أبي الأسود الدؤلي؛ قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه؛ أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر سابق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم؛ قال: أفلا يكون ذٰلك ظلماً؟ قال: ففزعت من ذٰلك فزعاً شديداً وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده؛ فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال: يرحمك الله؛ إني لم أرد بما سألتك إلا لأجود عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ؛ فقالا: يا رسول الله! أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه؛ أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر سابق أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: «لا، بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذٰلك

---

(١) «الفتاوى» (ج ٨ / ٤٤ - ٤٥).

(٢) انظر: «الفتاوى» (٨ / ٢٧٢ - ٤٧٨).

في كتاب الله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاها . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاها. . . ﴾»[1].

ثم قال: «النصوص والآثار في تقدم علم الله وكتابته وقضائه وتقديره الأشياء قبل خلقها وأنواعها كثيرة جدّاً، وقد بين النبي ﷺ أن ذٰلك لا ينافي وجود الأعمال التي بها تكون السعادة والشقاوة، وأن من كان من أهل السعادة؛ فإنه ييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة؛ فإنه ييسر لعمل أهل الشقاوة، وقد نهى أن يتكل الإنسان على القدر السابق ويدع العمل، ولهذا؛ كان من اتكل على القدر السابق وترك ما أمر به من الأعمال هو من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وكان تركهم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقدور الذي يسروا به لعمل أهل الشقاوة، فإن أهل السعادة هم الذين يفعلون المأمور ويتركون المحظور، فمن ترك العمل الواجب الذي أمر به وفعل المحظور متكلاً على القدر؛ كان من جملة أهل الشقاوة الميسرين لعمل أهل الشقاوة، وهٰذا الجواب الذي أجاب به النبي ﷺ في غاية السداد والاستقامة، وهو نظير ما أجاب به في الحديث الذي رواه الترمذي أنه قيل: يا رسول الله! أرأيت أدوية نتداوى بها ورقي نسترقي بها وتقاة نتقيها؛ هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال: «هي من قدر الله»، وذٰلك لأن الله سبحانه وتعالى هو يعلم الأشياء على ما هي عليه وكذٰلك يكتبها، فإذا كان قد علم أنها تكون بأسباب من عمل وغيره وقضى أنها تكون كذٰلك وقدر ذٰلك؛ لم يجز أن يظن أن تلك الأمور تكون بدون الأسباب التي جعلها الله أسباباً، وهٰذا عام في جميع الحوادث، مثال ذٰلك إذا علم الله وكتب أنه سيولد لهٰذين ولد، وجعل الله سبحانه ذٰلك معلقاً باجتماع الأبوين على النكاح وإنزال الماء المهين الذي ينعقد منه الولد؛ فلا يجوز أن يكون وجود الولد بدون السبب الذي علق به وجود الولد

---

(١) «الفتاوى» (٨ / ٢٧٢ - ٢٧٣، ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠، ٢٨١ - ٢٨٢، ٢٨٤).

والأسباب، وإن كانت نوعين معتادة وغيرية؛ فالمعتادة كولادة الآدمي من أبوين والغريبة كولادة الإنسان من أم فقط كما ولد عيسى، أو من أب فقط كما ولدت حواء، أو من غير أبوين كما خلق آدم أبو البشر من طين؛ فجميع الأسباب قد تقدم علم الله بها وكتابته لها وتقديره إياها وقضاؤه بها، كما تقدم ربط ذٰلك بالمسببات، كذٰلك أيضاً الأسباب التي بها يخلق النبات من إنزال المطر وغيره من هٰذا الباب كما قال تعالى: ﴿ومَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾(١)، ﴿فَأَنْزَلْنا بِهِ المَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ﴾(٢)، وقال: ﴿وجَعَلْنَا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾(٣)، وأمثال ذٰلك؛ فجميع ذٰلك مقدر معلوم، مقضي مكتوب قبل تكوينه، فمن ظن أن الشيء إذا علم وكتب أنه يكفي ذٰلك في وجوده ولا يحتاج إلى ما به يكون من الفاعل الذي يفعله وسائر الأسباب؛ فهو جاهل ضال ضلالاً مبيناً.. وهو سبحانه قد علم أن المكونات تكون بما يخلقه من الأسباب؛ لأن ذٰلك هو الواقع، فمن قال أنه يعلم شيئاً بدون الأسباب؛ فقد قال على الله الباطل، وهو بمنزلة من قال: إن الله يعلم أن هٰذا الولد ولد بلا أبوين، وأن هٰذا النبات نبت بلا ماء؛ فإن تعلق العلم بالماضي والمستقبل سواء، فكما أن من أخبر عن الماضي بعلم الله بوقوعه بدون الأسباب؛ يكون مبطلاً.

فكذٰلك من أخبر عن المستقبل كقول القائل: أن الله علم أنه خلق آدم من غير طين، وعلم أنه يتناسل الناس من غير تناكح، وأنه أنبت الزروع من غير ماء ولا تراب؛ فهو باطل ظاهر لكل أحد، وكذٰلك إخباره عن المستقبل، وكذٰلك الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب، فلو قال قائل: إن الله أخرج آدم من الجنة بلا ذنب، وأنه قدر ذٰلك أو قال: إنه غفر لآدم بلا توبة وأنه علم ذٰلك؛

(١) البقرة: ١٦٤.

(٢) الأعراف: ٥٧.

(٣) الأنبياء: ٣٠.

كان هٰذا كذباً وبهتاناً . . . وكذٰلك كل ما أخبر به من قصص الأنبياء؛ فإنه علم أنه أهلك قوم نوح وعاد وثمود وفرعون ولوط ومدين وغيرهم بذنوبهم . . . وأنه نجى الأنبياء ومن اتبعهم بأيمانهم وتقواهم؛ كما قال: ﴿فَلَمَّا نَسُوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنا الَّذينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وأَخَذْنَا الَّذينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ .

وقال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِه فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلنا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ومِنْهُم مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَنْ أَغْرَقْنا . . .﴾ الآية .

وقال: ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِم﴾ .

وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِم وَمَا كَانَ لَهُم مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ﴾ .

وقال: ﴿فَأَهْلَكْناهُم بِذُنوبِهم وأَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهم قَرْناً آخَرِينَ﴾ .

وقال: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ في ذٰلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ . . .﴾ إلى غير ذٰلك من الآيات .

وكذٰلك خبره عما يكون من السعادة والشقاوة بالأعمال كقوله: ﴿كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُم فِي الإِيَّامِ الخَالِيَةِ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتي أُورِثْتُموها بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾ .

وقوله: ﴿وكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّين . حَتَّى أَتَانا اليَقِينُ . فَمَا تَنْفَعُهُم شَفَاعَةُ الشَّافِعينَ﴾ ، وأمثال هٰذا في القرآن كثيراً جدّاً .

والعلم بأن الشيء سيكون والخبر عنه بذٰلك وكتابة ذٰلك؛ لا يوجب استغناء ذٰلك عما به يكون من الأسباب التي لا يتم إلا بها كالفاعل وقدرته ومشيئته ، فإن اعتقاد هٰذا غاية في الجهل؛ إذ هٰذا العلم ليس موجباً بنفسه لوجود المعلوم باتفاق العلماء ، بل هو مطابق له على ما هو عليه؛ لا يكسبه صفة ، ولا

يكتسب منه صفة بمنزلة علمنا بالأمور التي (قبلنا) كالموجودات التي كانت قبل وجودها مثل علمنا بالله وأسمائه وصفاته، فإن هٰذا العلم ليس مؤثراً في وجود المعلوم باتفاق العلماء؛ فتبين أن العلم والخبر والكتاب لا يوجب الاكتفاء بذٰلك عن الفاعل القادر المريد، مما يدل على ذٰلك أن الله سبحانه وتعالى يعلم ويخبر بما سيكون من مفعولات الرب، كما يعلم أنه سيقيم القيامة ويخبر بذٰلك، ومع ذٰلك؛ فمعلوم أن هٰذا العلم والخبر لا يوجب وقوع المعلوم المخبر به بدون الأسباب التي جعلها الله أسباباً له إذا تبين ذٰلك، فقول السائل: السعيد لا يشقى، والشقي لا يسعد؛ كلام صحيح؛ أي: من قدر الله أن يكون سعيداً يكون سعيداً، لٰكن بالأعمال التي جعله سعد بها، والشقي لا يكون شقيّاً إلا بالأعمال التي جعله يشقى بها التي من جملتها الاتكال على القدر وترك الأعمال الواجبة، والله سبحانه وتعالى علم وقدر أن هٰذا يعمل كذا؛ فيسعد به، وهٰذا يعمل كذا فيشقى به وهو يعلم أن هٰذا العمل الصالح يجلب السعادة، كما يعلم سائر الأسباب والمسببات، كما يعلم أن هٰذا يأكل السم فيموت وأن هٰذا يأكل الطعام فيشبع ويشرب الشراب فيروى، وظهر فساد قول السائل: فلا وجه لإتعاب النفس في عمل، ولا لكفها عن ملذوذات؛ فإن المكتوب في القدم واقع لا محالة، وذٰلك أن المكتوب في القدم هو سعادة السعيد لما يسر له من العمل الصالح، وشقاوة الشقي لما يسر له من العمل السيء ليس المكتوب أحدهما دون الآخر، فما أمر به العبد من عمل فيه تعب أو امتناع عن شهوة هو من الأسباب التي تنال بها السعادة والمقدر المكتوب هو السعادة والعمل الذي به ينال السعادة، وإذا ترك العبد ما أمر به متكلاً على الكتاب؛ كان ذٰلك من المكتوب المقدور الذي يصير به شقيّاً، وكان قوله ذٰلك بمنزلة من يقول: أنا لا آكل ولا أشرب، فإن كان الله قضى بالشبع والري؛ حصل، وإلا؛ لم يحصل، أو يقول: لا أجامع امرأتي، فإن كان الله قضى لي بولد؛ فإنه يكون»[1].

(١) «فتاوى شيخ الإسلام» ابن تيمية (٨ / ٢٧٢ - ٢٧٠ - ٢٨٤).

الفصل الخامس

تقدير الهداية والإضلال

قرر ابن بطة هٰذا المعنى بما أورده من أدلة الكتاب والسنة والآثار عن السلف في أربعة أبواب من هٰذا الكتاب، وهي: الباب الثاني من الجزء الثامن وعنوانه: (باب ذكر ما أعلمنا الله تعالى في كتابه أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه لا يهدي بالمرسلين والكتب والآيات والبراهين؛ إلا من سبق في علم الله أنه يهديه).

والباب الثالث من الجزء الثامن وموضوعه: (باب ذكر ما أخبرنا الله تعالى أنه أرسل المرسلين إلى الناس يدعونهم إلى عبادة رب العالمين، ثم أرسل الشياطين تحرضهم على تكذيب المرسلين، فمن أنكر ذٰلك؛ فهو من الفرق الهالكة).

والباب الأول من الجزء التاسع وعنوانه: (باب الإيمان بأن الله عز وجل كتب على آدم المعصية قبل أن يخلقه، فمن رد ذٰلك؛ فهو من الفرق الهالكة).

والباب الخامس من الجزء التاسع وموضوعه: (باب الإيمان بأن الشيطان مخلوق مسلط على بني آدم، يجري منهم مجرى الدم؛ إلا من عصمه الله، ومن أنكر ذٰلك؛ فهو من الفرق الهالكة).

وحاصل ما قررته الآيات والآثار المروية من ابن بطة في هٰذه الأبواب أن

الله تعالى قدر الهداية والضلال والمخالفة لأمره سبحانه أزلاً على من أراد من عباده، وكل من الهدى والضلال لم يكن إلا بإذن الله تعالى وقضاء وقدر منه عز وجل.

وقد أورد ابن بطة في هٰذه الأبواب كثيراً من الآيات القرآنية تربو عن ثلاثين آية تثبت لله عز وجل دون غيره الهداية والإضلال؛ فلا هادي ولا مضل إلا الله سبحانه، ولو شاء لهداهم أجمعين، ولٰكن لحكمة يعلمها عز وجل جعلهم فريقين؛ فريقاً على الهدى، وفريقاً على الضلال، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ولهٰذا؛ لم يهتد كثير من الناس بدعوة المرسلين في الأمم السابقة، وفي هٰذه الأمة أيضاً رغم ما أوتي النبيون من البيان والبلاغة والفصاحة والبراهين القاطعة والحجج الواضحة التي بعثوا بها من عند الله تعالى، مؤيدين بالمعجزات الواضحات مثل الشمس في رابعة النهار، يدعون أمتهم إلى المحجة البيضاء؛ فهٰذا أبو طالب عم رسول الله ﷺ مع حرصه عليه الصلاة والسلام على هدايته لم يكتب الله له الهداية، ولم يسبق في علم الله أنه يهديه، وفي حقه نزلت هٰذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، في حين أننا نجد أبا بكر وعمر بن الخطاب وغيرهما من السعداء من هٰذه الأمة قد سبقت لهم من الله الهداية أزلاً؛ فدخلوا في دين الله أفواجاً، وكذٰلك الحال في الأمم الماضية؛ كما في قصة نبي الله نوح عليه السلام مع قومه وابنه الذي كان يتمنى له الهداية والتوفيق، ولٰكن الله لم يرد له الهداية حتى مات كافراً، وفي حقه يقول رب العزة: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾.

وقد دعا نوح عليه السلام قومه مدة ألف سنة إلا خمسين عاماً؛ فلم يؤمن به إلا أناس معدودون من قومه أراد الله لهم الهداية، وكثير منهم أعرضوا عن الإيمان وعتوا عتوّاً كبيراً؛ كما حكى الله ذٰلك عنهم بقوله عز وجل على لسان

نوح عليه السلام: ﴿وإنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُم لِتَغْفِرَ لَهُم جَعَلُوا أَصَابِعَهُم فِي آذانِهِم واسْتَغْشَـوْا ثِيَابَهُم وأَصَـرُّوا واسْتَكْبَـرُوا اسْتِكْبَاراً﴾، وذلك لأن الله لم يرد لهم الهداية، كما قال نوح عليه السلام مخاطباً لهم: ﴿وَلاَ يَنْفَعُكُم نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُم إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيكُم هُوَ رَبُّكُم وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

أمـا الهداية المنسوبة في القرآن الكريم إلى رسول الله ﷺ وإلى كتابه العزيز في قوله تعالى: ﴿وإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ هٰذا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾؛ فالمراد بها هنا هداية إرشاد ودلالة لا هداية توفيق، لأن الهداية بمعنى التوفيق خاصة به عز وجل لا يملكها أحد غير الله تعالى، فلذا؛ جاء نفيها عن غير الله في غير آية من القرآن الكريم، من ذٰلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، فبذٰلك نعلم أن الهداية في القرآن لها معنيان؛ الهداية بمعنى الإرشاد والبيان والدلالة، فهٰذه للقرآن والمرسلين ومن يقوم مقامهم في الدعوة إلى الله، والثاني الهداية بمعنى التوفيق، فهٰذه خاصة بالله تعالى، لا يقدر عليها أحد إلا الله تعالى، ومن هنـا نعلم أن مهمة الرسل مقصورة على الإنذار وتبليغ الرسالة مع الجهاد في سبيل الله؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ ولِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، وجاهدوا في الله حق جهاده.

وقد نبه ابن بطة إلى أن الله إذا أراد للعباد السعادة وقدر لهم الهداية في الأزل؛ ألان قلوبهم، وفتح أذهـانهم لتقبل الهداية التي جاءت بها الرسل، فينتفعون بدعوة المرسلين، فيجعل لهم من أنفسهم وازعاً وداعياً إلى الهدى، وكمـا أرسل الله الرسل بالهداية؛ أرسل الشياطين لإضلال من أراد إضلاله في الأزل، خلافاً لما تدعيه القدرية من أن الهداية والإضلال والسعادة والشقاء بيد العباد لا بيد الله تعالى؛ فالشياطين هم الذين يغوون من شاؤوا دون إرادة من الله تعالى ومشيئته في الأزل، ولٰكن؛ دلت على بطلان هٰذه الدعوة نصوص

كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله والآثار المنقولة عن السلف والمفسرين الدالة على أن الله تعالى أرسل الشياطين على الكافرين بدعوتهم إلى الشرك والمقام على الكفر والمعاصي، كل ذلك ليتم ما علم، ولا يكون إلا ما قدر وعلم؛ فسبحان من جعل هذا هكذا، وحجب قلوب الخلق ومنعهم على مراده في ذلك، وجعله سره المخزون وعلمه المكنون، ويصدق لذلك قوله تعالى: ﴿أَلَم تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُم أَزّاً﴾[1]؛ أي: تهيجهم وتحرضهم على المعاصي والكفر.

وقال في آية أخرى: ﴿وقَيَّضْنَا لَهُم قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم ومَا خَلْفَهُم وَحَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ إِنَّهُم كَانُوا خَاسِرِينَ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿ومَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ. وإِنَّهُم لَيَصُدُّونَهُم عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُونَ﴾[3].

فقد أخبرنا عز وجل أنه يرسل الشياطين فتنة للكافرين الذين حق عليهم القول ومن سبقت عليهم الشقوة حتى يؤزرهم أزاً، ويحرضوهم على الكفر تحريضاً، ويزينوا لهم سوء أعمالهم؛ فهذا كلام الله عز وجل وإخباره عن فعله في خلقه يعلمهم أن المفتون من فتنه الله، والمهتدي من هداه الله، والضال من أضله الله، وحال بينه وبين الهدى؛ فعن ابن عباس والحسن البصري رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ما أَنْتُم عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾؛ قالوا: «لا تفتنون إلا من قدر له أن يصلى الجحيم»، وعن عمر ابن عبد العزيز: «أن الله عز وجل لو أراد أن لا يعصى؛ ما خلق إبليس، وذلك لكونه

---

(١) مريم: ٨٣.

(٢) فصلت: ٢٥.

(٣) الزخرف: ٣٦ - ٣٧.

مصـدر كل شر، وقد وكل لكل إنسان قرينه من الجن يجري منهم مجرى الدم»، حتى رسول الله ﷺ كما أخبر بذلك فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد إلا وكل به قرينه من الجن». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا؛ إلا أن الله أعانني عليه؛ فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير»[1].

وقدر الله على آدم أن يأكل من الشجرة بوسوسة من الشيطان وأمره أن لا يقرب منها عندما أدخله الجنة، فوسوس إليه الشيطان؛ فخالف آدم أمر ربه، فأكل من الشجرة، قال تعالى: ﴿فَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾؛ فأخرجه الله بسبب ذلك من الجنة، وكان ذلك قدراً مقدوراً؛ فعاتبه على ذلك نبي الله موسى عليه السـلام قائلاً: «أنت الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة»؛ فأجاب آدم على العتاب قائلاً: «أتلومني على أمر قد كتب علي قبل أن أخلق بخمسين ألف سنة؟». فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: «فحج آدم موسى» ثلاث مرات؛ أي: أقـام عليه الحجـة في الإجابة على معاتبته له، وكما قدر الله على آدم المخالفة لأمره في الأزل في أكل الشجرة؛ قدر له التوبة من الخطيئة وقبل منه التوبة بعد ذلك، قال الله تعالى: ﴿وعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدى﴾[2]، وكل من الخطيئة الأولى، وإلهام التوبة والهداية بعد الخطيئة الأولى، وإهباطه على وجه الأرض بعد قبول توبته؛ كان بقدر من الله تعالى أزلاً ليسكن هو وذريتـه فيهـا إلى قيام الساعة، كل ذلك كان من الله قدراً مقدوراً ومكتوباً عنده تعالى في أم الكتاب قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (ج ٤، ص ٢١٦٧)، وأحمد في «مسنده» (ج ١، ص ٣٩٧)، والدارمي في «سننه» (ص ٢١٥، باب ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن).

(٢) طه: ١٢١ - ١٢٢.

قلت: ولما كان موضوع هذا الفصل مرتبطاً بموضوع الفصل التالي؛ فقد رأيت أن أجعل التعليق عليها واحداً، وأن أجعله في نهاية الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

●●●●●

الفصل السادس

ختم الله وطبعه[1] على قلوب الضالين من عباده

عقد ابن بطة في هٰذا الكتاب باباً خاصّاً لبيان هٰذا المعنى وهو الباب الأول من الجزء الثاني، وعنوانه: (باب ذكر ماأخبرنا الله تعالى في كتابه أنه ختم على قلوب من أراد من عباده؛ فهم لا يهتدون إلى الحق، ولا يسمعون، ولا يبصرونه، وأنه طبع على قلوبهم).

ولما كانت القدرية تنكر الختم والطبع ضمن ما تنكره من الأقدار؛ عقد ابن بطة هٰذا الباب، فأورد فيه أدلة من الكتاب والسنة والإجماع تثبت الغشاوة على الأبصار والختم والطبع على القلوب، كما بين رحمه الله أن مآل السعداء الذين شرح[2] الله صدورهم للإيمان إلى الجنة، ومصير الأشقياء الذين ختم الله

---

(١) الختم أصله التغطية، يقال: ختم البذر في الأرض إذا غطاه.

قال أبو إسحاق: معنى «ختم» وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق منه؛ فلا يدخله شيء.

قال ابن القيم: «الختم والطبع يشتركان فيما ذكر، ويفترقان في معنى آخر وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة؛ فهو تأثير لازم لا يفارق.

«التفسير القيم» للإمام ابن القيم (ص ١١٣)، و«شفاء العليل» (٩٢).

(٢) أي: وسعها لقبول الحق.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلى هٰذه الآية (يعني: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ =

على قلوبهم وجعل الغشاوة[1] على أبصارهم سيكون إلى النار؛ فلله المنة والشكر فيما هدى وأعطى، وهو الحكم العدل فيما منع وأضل وأشقى، وله الحمد والمنة على من تفضل عليه وهداه، وله الحجة البالغة على من أضله وأشقاه؛ فجعل على سمعهم وأبصارهم غشاوة، وفي آذانهم وقراً وحجاباً؛ فلا يبصرون طريق الهداية والرشاد، ولا يسمعون نداء الحق والفلاح، على قلوبهم أكنة تحول بينهم وبين الهداية والرشاد. . .، ولله الحكمة البالغة في ذلك؛ فلا يجوز لأحد أن يقول: لم فعل الله بهم ذلك.

وقد فرض الله على المؤمن أن يعلم أن ذلك عدل وحكمة؛ لأن الخلق كله لله عز وجل، والملك ملكه، والعبد عبده، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء. . ويحمد على السعادة، ويشقي من يشاء، ويذم على الشقاء وهو عدل في ذلك، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

ومن النصوص الواردة في إثبات الختم والطبع على من شاء من عباده؛ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

= اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾)؛ فقلنا: يا رسول الله! كيف انشراح صدره؟ قال: «إذا دخل النور القلب؛ انشرح وانفسح». قلنا: يا رسول الله! فما علامة ذلك؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل نزول الموت».

«الدر المنثور» للسيوطي (ج ٧، ص ٢١٩).

(١) (الغشاوة): الغطاء، ومنه يقال: غشه بثوب؛ أي: غطه، ومنه قيل: غاشية السرج لأنها غطاء له، ومثله قوله تعالى لهم من جهنم مهاد: ﴿ومِنْ فَوْقِهِم غُواشٍ﴾.

«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ص ٤٠) بتحقيق سيد أحمد صقر.

(٢) الجاثية: ٢٣.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿أُولٰئِكَ الَّذِين طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾(٢).

هٰذا الصنف من الناس لا يهتدون ولا يؤمنون مهما أنذروا بالآيات القرآنية وشاهدوا من الآيات الكونية، ومهما سمعوا وعاينوا من المعجزات النبوية الواضحة؛ كما قص الله تعالى عن هٰؤلاء في غير آية من كتابه، من ذٰلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ . إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِم أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُقْمَحُونَ . وجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم سَدّاً ومِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُم فَهُم لاَ يُبْصِرُونَ . وسَوَاءٌ عَلَيْهِم أَأَنْذَرْتَهُم أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُم لاَ يُؤْمِنونَ﴾(٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿وإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبداً﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ . فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ . كذٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ . لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ﴾(٥).

فهٰذا ونحوه في القرآن مما يستدل به العقلاء من عباد الله المؤمنين على أن الله عز وجل خلق خلقاً من عباده أراد بهم الشقاء، فكتب ذٰلك عليهم في أم الكتاب عنده، فختم على قلوبهم؛ فحال بينهم وبين الحق أن يقبلوه، وغشى أبصارهم عنه فلم يبصروه، وجعل في آذانهم الوقر فلم يسمعوه، وجعل قلوبهم ضيقة حرجة وجعلها في أكنة ومنعها الطهارة وصارت رجسه، لأنه خلقهم للنار؛

(١) المنافقون: ٣١.

(٢) محمد: ١٩.

(٣) يس: ٧ ـ ١٠.

(٤) الكهف: ٥٧.

(٥) الشعراء: ١٩٧ ـ ٢٠١.

فحال بين قبول ما ينجيهم منها، فقد قال الله عز وجل: ﴿ولَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ لَهُم قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بهَا وَلَهُم أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ولَهُم آذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئك كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[1].

قلت: تقدير الهداية والإضلال، وتسليط الشيطان على من يشاء من عباده، وكتابة المعصية على آدم قبل خلقه، وجعل الختم والطبع على القلوب والغشاوة على الأبصار، والحيلولة بين المرء والإيمان؛ كل هٰذا وغيره مما ذكره ابن بطة لا يتنازع فيه علماء السنة، وذٰلك لثبوته بأدلة من الكتاب والسنة، كما وضحه ابن بطة في هٰذه الأبواب المذكورة وغيرها من أبواب هٰذا الكتاب.

ولٰكن الطائفتان؛ القدرية، والجبرية؛ ضلت عن الثواب في المسألة لعدم دراستها لنصوص الكتاب والسنة في مسائل القدر دراسة شاملة لجميع جوانبها، حيث أن كل واحدة من الطائفتين تأخذ جانباً من الأدلة الشرعية تظن أنه يؤيد مذهبها في الجبر أو في نفي القدر، وتترك الجانب الآخر الذي يكون حجة عليها؛ فزعمت القدرية أنه ليس هناك تقدير للهداية والإضلال أزلاً رغم ورود مئات من نصوص الكتاب والسنة تدل على ثبوت ذٰلك كله كما وضحها ابن بطة وغيره من علماء السنة، وادعت أن العبد هو الذي يخلق الهداية والضلال لنفسه دون مشيئة الله تعالى وتقديره الأزلي؛ فالله تعالى في نظرهم ليس هادياً ولا مضلاً للعباد، ولا سلطان للشيطان على أحد من خلقه، ولم يقدر المعصية على آدم وغيره من العباد، ولم يجعل الختم والطبع والغشاوة والران والقفل على قلوبهم، ولٰكن الذي يفعل ذٰلك كله هو العبد أو الشيطان دون إرادة من الله تعالى؛ إذ لا يمكن أن يكون ذٰلك من الله لأن ذٰلك ـ كما يقولون ـ يتنافى مع عدالة الرب عز وجل.

وقالت الجبرية أن العبد مجبور لا يستطيع الحركة نحو الخير والشر

(١) الأعراف: ١٧٩.

باختياره وإرادته، ويستدلون على ذٰلك بكثير من نصوص الكتاب والسنة التي يزعمون أنها تدل على مذهبهم في الجبر، منها قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

وقوله: ﴿ذٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَا كَانوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وقوله: ﴿واللهُ يَدْعُو إِلَى دارِ السَّلَامِ ويَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3و4].

وقوله: ﴿ومَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[5].

ويقول عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً واحِدَةً وَلٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾[6].

ويقول عز وجل: ﴿فَمَنْ يَهْدِي اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾[7].

وقوله: ﴿مَنْ يَهْدِي اللهُ فَهُو المُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الخاسِرونَ . وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ لَهُم قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ولَهُم آذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِكَ هُمُ

---

(١) الأنعام: ٣٩.

(٢) الأنعام: ٨٨.

(٣) يونس: ٣٥.

(٤) انظر: «شفاء العليل» (ص ٨١ ـ ٨٢).

(٥) إبراهيم: ٤.

(٦) النحل: ٩٣.

(٧) الكهف: ١٧.

الغافِلُونَ﴾(١).

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنا الشَّياطينَ عَلَى الكافِرينَ تؤزُّهُم أزّاً﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿واسْتَفْزِزْ مَن اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهم بخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُم فِي الأَمْوالِ والأَوْلادِ وعِدْهُم وَمَا يَعِدهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً﴾.

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي تزعم الجبرية أنها تدل على الجبر وليس للعبد اختيار ولا مشيئة في كل ما يفعل.

ومن هذا الباب إخباره سبحانه بأنه طبع على قلوب الكافرين وختم عليها، وأنه أصمها عن الحق وأعمى أبصارها عنه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِم أَأَنْذَرْتَهُم أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُم لاَ يُؤمِنُونَ. خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِم وَعَلَى أَبْصَارِهِم غِشَاوةٌ﴾.

وكقوله عز وجل: ﴿أفرأَيْتَ مَنِ اتَّخذَ إِلٰهَهُ هَواهُ وأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وقَلْبِهِ وجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾.

وقوله: ﴿وقَالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِم﴾.

وقال عز وجل: ﴿كذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِينَ﴾، ﴿كذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ المُعْتَدِينَ﴾، ﴿ونَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِم فَهُم لَا يَسْمَعُونَ﴾.

وأخبر سبحانه أن على بعض القلوب أقفالاً تمنعها من أن تنفتح لدخول الهدى إليها، وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وشِفَاءٌ والَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِم وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِم عَمىً﴾؛ فهٰذا الوقر والعمى حال بينهم وبين أن يكون لهم

(١) الأعراف: ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) مريم: ٨٣.

هدى وشقاء. . . والقدرية ترد هٰذا كله إلى المتشابه وتجعله من متشابه القرآن، وتتأوله على غير تأويله بما يقطع ببطلانه وعدم إرادة المتكلم له مما لا مجال لذكره هنا لطوله(1).

والجبرية تستدل بها على أن العبد لا مشيئة ولا إرادة له دون التفات إلى مئات من الآيات القرآنية التي تدل على أن للعبد مشيئة وإرادة واختياراً، وهي كثيرة منها قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّها تَذْكِرَةٌ . فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾(2).

وقوله: ﴿إِنَّ هٰذه تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾(3).

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِم أَعْمَالَهُم فِيها وَهُمْ فِيها لَا يُبْخَسُونَ﴾(4).

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيها مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً . وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُوْلٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَشْكُوراً﴾(5).

فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه؛ فحملوا الآيات المتقدمة الدالة على الإضلال والختم والطبع على محمل صحيح، وبينوا أنها لا تدل على الجبر بالمعنى الذي يريدونه، بل أن العبد له مشيئة وإرادة، وفيما يلي بيان ذٰلك مفصلاً.

وضح ابن القيم المعنى المقصود من هٰذه الآيات التي تستدل بها الجبرية

---

(1) «شفاء العليل» (ص ٨٢ - ٨٣).

(2) المدثر: ٥٤.

(3) الإنسان: ٢٩.

(4) هود: ١٥.

(5) الإسراء: ١٩.

على أن العبد مجبور مسلوب الإرادة والاختيار، وضح ذٰلك بقوله: «والقرآن من أوله إلى آخره إنما يدل على أن الطبع والختم والغشاوة لم يفعلها الرب سبحانه بعبده من أول وهلة حين أمره بالإيمان أو بين له، وإنما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه والتأكيد في البيان والإرشاد وتكرار الأعراض منهم والمبالغة في الكفر والعناد، فحينئذ؛ يطبع على قلوبهم ويختم عليها فلا تقبل الهدى بعد ذٰلك، والإعراض والكفر الأول لم يكن مع ختم وطبع، بل كان اختياراً، فلما تكرر منهم؛ صار طبيعة وسجية»[1].

ثم ساق ابن القيم أدلة من كتاب الله توضح هٰذا المعنى منها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزاغَ اللهُ قُلُوبَهُم واللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ﴾.

وقال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُم وأَبْصَارَهُم كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُم فِي طُغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُم﴾.

وقال: ﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِم﴾.

وقال سبحانه: ﴿فَأَعْقَبَهُم نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِم إِلَى يَوْم يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

إلى غير ذٰلك من الآيات التي تؤدي هٰذا المعنى، وهي كثيرة في القرآن الكريم[2].

---

(١) «شفاء العليل» (ص ٩١)، و«القضاء والقدر في الإسلام» للدكتور دسوقي (ص ٢٢٩).

(٢) انظر: «شفاء العليل» (ص ٨٥ - ٨٦ - ٩١ - ٩٢)، وكتاب «القضاء والقدر في الإسلام» للدكتور فاروق دسوقي (ج ١ / ٢٢٧ - ٢٣١).

ومن هنا؛ نعلم أن الرب لا يضل أحداً إلا من اختار لنفسه الضلال، ولا يحول بينه وبين الإيمان إلا من أعرض عن الهدى والإيمان، ولا يسلط الشيطان إلا على الذين يتولونه؛ فيزين لهم أعمالهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّما سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾.

وقد أخبرنا سبحانه أنه لا يسلط الشيطان على عباده المخلصين الذين يتسلحون بسلاح التقوى والإيمان؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾؛ فالآية صريحة في أن الله يسلط الشيطان على عباده ولكنه خاص بالذين يتولونه، ولا سلطان له على الذين يتولون الله ورسوله.

وقد كتب غير واحد من علماء السنة في بيان أن الله تعالى هو الذي يضل ويرسل الشياطين على الكافرين؛ منهم: الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتابه «الشريعة»؛ فإنه عقد عنواناً خاصّاً لبيان هذه المسألة؛ فقال: (باب ذكر ما أخبرنا به عز وجل) أنه أرسل الشياطين على الكافرين فيضلونهم ولا يضلون إلا من سبق في علمه أنه لا يؤمن، ولا يضرون أحداً إلا بإذن الله عز وجل)، ثم ساق أدلة كثيرة من كتاب الله تعالى كما فعل ابن بطة، إلى أن قال: «وقد أخبرنا أنه هو الذي فتن قوم موسى حتى عبدوا العجل بما قيض لهم السامري؛ فأضلهم بما عمل لهم من العجل، ألم تسمعوا إلى قوله عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾.

وقال عز وجل في سورة الأنبياء: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ والخَيْرِ فِتْنَةً وإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

وقال عز وجل في سورة (حم) المؤمن[1]: ﴿وكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصدَّ عَنِ السبِيلِ . . .﴾ الآية[2].

(١) يعني سورة غافر: ٣٧.

(٢) الآجري في «الشريعة» (ص ١٥٨ ـ ١٥٩).

كما كتب ابن القيم أيضاً في هٰذه المسألة؛ فساق أدلة قرآنية كثيرة تدل على أن الله تعالى أرسل الشياطين على من أضله الله من عباده، ومما استدل به من الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرسَلْنَا الشَّياطينَ عَلَى الكَافِرينَ تَؤزُّهُم أَزّاً﴾.

ثم قال في بيان معنى إرسال الشياطين على الكافرين في الآية الكريمة: «فالإرسال ها هنا إرسال كوني قدري كإرسال الرياح، وليس بإرسال ديني شرعي؛ فهو إرسال تسليط بخلاف قوله في (المؤمنون): ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾؛ فهٰذا السلطان المنفي عنه على المؤمن هو الذي أرسل به جنده على الكافرين. قال أبو إسحاق: ومعنى الإرسال ها هنا التسليط، تقول: قد أرسلت فلاناً على فلان إذا سلطته عليه؛ كما قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ﴾؛ فاعلم أن من اتبعه هو مسلط عليه».

ثم قال ابن القيم: «ويشهد له قوله تعالى: ﴿إِنَّما سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذينَ يَتَوَلَّوْنَهُ والَّذينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾».

ثم قال في بيان معنى قوله تعالى: ﴿تَؤزُّهُم أَزّاً﴾: «فالأز في اللغة التحريك والتهييج، ومنه يقال لغليان القدر: (الأزيز) لتحرك الماء عند الغليان، وفي الحديث كان لصدر رسول الله ﷺ أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وعبارة السلف تدور على هٰذا المعنى.

قال ابن عباس: «تغريهم إغراء»، وفي رواية أخرى عنه: «تسلهم سلاً»، وفي رواية أخرى: «تحرضهم تحريضاً»، وفي أخرى: «تزعجهم للمعاصي إزعاجاً»، وفي رواية أخرى: «توقدهم إيقاداً»؛ أي: كما يتحرك الماء بالوقد تحته...»[1].

---

(١) «شفاء العليل» (ص ٦٢).

فخلاصة الكلام في المسألة أن الإضلال، والإغواء، والختم، والصرف عن الهدى، والطبع، والران، والحيلولة بين المرء والإيمان، وتقليب الأفئدة؛ كل ذٰلك لا يأتي من الله ابتداء وإنما يأتي على سبيل العقوبة والجزاء بعد أن صدرت الذنوب من العبد مقدماً، فلذا؛ لم يكن ذٰلك ظلماً من الله تعالى لعباده، بل هو عدل منه تعالى، وذٰلك لأن الظلم عند أهل السنة هو وضع الشيء في غير موضعه، أو أن يعاقب الإنسان على عمل غيره[1]، وأما عقابه على فعله الاختياري؛ فهو ليس ظلماً، بل هو عين العدل[2]، فلا يقال حينئذ: كيف تتم عدالة الرب مع الختم والطبع والإضلال؛ إذ جاء ذٰلك جزاءً لا ابتداءً، فبذٰلك يظهر أن الاستدلال بهٰذه الآيات السالفة الذكر وأمثالها في القرآن الكريم على مذهب الجبر والختم والإضلال ابتداء دون أسباب ولا عقاب يوجب لهم ذٰلك؛ فهو استدلال باطل يدل على بطلانه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

وبعد هٰذا البيان لا يستشكل علينا ما حكاه لنا القرآن الكريم من أن الله تعالى هدى قوماً وأضل قوماً آخرين من الأمم الماضية؛ مثل قوم نوح وعاد وثمود وصالح وشعيب وقوم عيسى وموسى، وذٰلك لأنهم كغيرهم من الكفرة عوقبوا بالإضلال والإغواء والختم والطبع بعد تماديهم في الضلال وعنادهم لأوامر الله ورسله؛ فأضلهم الله عقوبة لهم، وجزاء على ضلالهم السابق، وعنادهم المستمر؛ كما حكى ذٰلك كل نبي عن قومه، قال نوح عليه السلام: ﴿وإنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُم لِتَغْفِرَ لَهُم جَعَلُوا أَصابِعَهُم فِي آذانِهِم واسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُم وأَصَرُّوا واسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً﴾.

---

(١) «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (ج ١ / ٣٦٨)، و«شفاء العليل» (ص ٩١ - ٩٢).

(٢) قال ابن تيمية في «جامع الرسائل» (المجموعة الأولى، ص ١٢٣): «إن الظلم؛ وضع الشيء في غير موضعه، والعدل؛ وضع كل شيء في موضعه، وهو سبحانه حكم عدل يضع الأشياء في موضعها».

وقال عز وجل حكاية عن قوم نوح أيضاً عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . قالَ إِنَّما يَأْتِيكُم بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ . وَلَا يَنْفَعُكُم نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُم إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُم هُوَ رَبُّكُم وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]، وهٰكذا حكاية جميع الأمم مع رسلهم.

ومن الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يعاقب العبد بالإضلال إلا بسبب ذنبه ومخالفته لأوامره تعالى؛ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ لَهُم قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُم آذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾[2].

وقد تقدم أن الشيخ رشيد رضا قال في تفسير هٰذه الآية: «نقسم أننا قد خلقنا وبثثنا في العالم كثيراً من الجن والإنس لأجل سكنى جهنم والمقام فيها؛ أي: كما ذرأنا للجنة مثل ذٰلك، وهو مقتضي استعداد الفريقين؛ فمنهم «شقي وسعيد»، «فريق في الجنة وفريق في السعير»، وبماذا كان هٰؤلاء معدين لجهنم دون الجنة، وما صفاتهم المؤهلة لذٰلك؟

الجواب: ذٰلك بأن لهم قلوباً لا يفقهون بها، ولهم أعيناً لا يبصرون بها...» إلخ[3].

وقوله: ﴿فَلِلهِ الحُجَّةُ البالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ قال ابن القيم: «أخبر سبحانه أن الحجة له عليهم برسله وكتبه، وبيان ما ينفعهم ويضرهم، وتمكينهم من الإيمان بمعرفة أوامره ونواهيه وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول؛ فثبتت حجته البالغة عليهم بذٰلك، واضمحلت حجتهم الباطلة عليه

(١) هود: ٣١ - ٣٤.
(٢) الأعراف: ١٧٩.
(٣) «تفسير المنار» (ج ٩ / ٣٨٩).

بمشيئته وقضائه، ثم قرر تمام الحجة بقوله: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُم أَجْمَعِينَ﴾؛ فإن هٰذا يتضمن أنه المنفرد بالربوبية والملك والتصرف في خلقه وأنه لا رب غيره ولا إلٰه سواه؛ فكيف يعبدون معه إلٰهاً غيره؟ فإثبات القدر والمشيئة من تمام حجته البالغة عليهم وأن الأمر كله لله، وأن كل شيء ما خلا الله باطل؛ فالقضاء والقدر والمشيئة النافذة من أعظم أدلة التوحيد، فجعلها الظالمون الجاحدون حجة لهم على الشرك؛ فكانت حجة الله هي البالغة وحجتهم هي الداحضة، وبالله التوفيق»(١).

●●●●●

(١) «شفاء العليل» (ص ١٧)، و«تفسير المنار» (ج ٨ / ١٧٧).

الفصل السابع

تبعية المشيئة الانسانية للمشيئة الآلهية

أثبت ابن بطة هٰذه المسألة بما أورده من الآيات والأحاديث والآثار في الباب الرابع من الجزء الثامن، وعنوانه: (باب ذكر ما أعلمنا الله تعالى أن مشيئة الخلق تبع لمشيئته، وأن الخلق لا يشاؤون إلا ما شاء الله).

وحاصل ما قررته النصوص التي أوردها ابن بطة في هٰذا الباب أن الله تعالى له المشيئة العامة الشاملة لأفعال العباد وغيرها، وأن العباد ليست لهم مشيئة مستقلة، بل إن مشيئتهم متوقفة على مشيئته سبحانه، فما شاء الله؛ كان، وما لم يشأ؛ لم يكن.

فمن الآيات الدالة على هٰذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هٰذه تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾(١).

ثم رد مشيئتهم إلى نفسه؛ فقال: ﴿ومَا تَشَاؤونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً. يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ والظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُم عَذَاباً أَلِيماً﴾(٢).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وهُوَ

(١) الإنسان: ٢٩.

(٢) الإنسان: ٣٠ ـ ٣١.

أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ . إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[2].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُم أُمَّةً واحِدةً ولٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ والظَّالِمِينَ مَا لَهُم مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[3].

وقال أيضاً: ﴿فَلِلهِ الحُجَّةُ البالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاهُم أَجْمَعِينَ﴾[4].

والآيات في هٰذا المعنى كثيرة جدّاً، نكتفي بهٰذا القدر خوف الإطالة؛ فالرب سبحانه وتعالى خلق خلقه لما شاء وكيف شاء خلقهم وما يعملون، فالمشيئة له وحده؛ فهو يحول بين المرء وقلبه، قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمٰن يقلبها كيف يشاء، فلهٰذا؛ كان ﷺ يكثر في دعائه من القول: «يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك ﴿رَبَّنا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾[5]»؛ فسأل ﷺ الثبات من ربه، فلو كان الأمر بيد العبد؛ لا يحتاج إلى مشيئة الرب وإرادته كما تدعيه القدرية التي تزعم أن للعبد مشيئة مستقلة عن مشيئته سبحانه لما سأل ﷺ الثبات والاستقامة من ربه؛ ففي الأثر عن الحسن البصري في تفسير هٰذه الآية: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[6]؛ قال: «حيل بينهم وبين الإيمان؛ فالآية نصت على أن الله

(١) القصص: ٥٦.

(٢) فاطر: ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) فاطر: ٨.

(٤) الأنعام: ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٥) آل عمران: ٨.

والحديث؛ أخرجه الترمذي (ج ٥ / ٩٩، وج ٣، ص ٤٠٤)، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٦) سبأ: ٥٤.

يحول بين المرء وقبله، وليس للعبد قدرة يمتنع بها عن ذلك، فلو كان الأمر إليه؛ لما حيل بينه وبين الإيمان».

وقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾(1)؛ قال: «فالشرك مسلكه في قلوبهم».

وعن ابن عباس في تفسير قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيه يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ﴾(2) يقول: «كما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء؛ فكذلك لا يقدر أن يدخل التوحيد والإيمان في قلبه حتى يدخله الله عز وجل في قلبه، ولقد كان النبيون والأمم الماضية وقريش في جاهليتهم يثبتون المشيئة لله تعالى، وأنهم لا يشاؤون إلا ما شاء الله، فلم يقع النقاش والنزاع بين الأنبياء وأممهم حول مشيئة الرب وإرادته، بل كانوا يحتجون بمشيئة الله تعالى في عدم الإيمان بهم، فقالت قريش احتجاجاً على رسول الله ﷺ في عدم إيمانها بربها: ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنا ولاَ حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسنا. . .﴾ الآية(3).

وقال قوم نوح: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنا فأْتِنَا بِمَا تَعِدُناَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(4)؛ فقال نوح عليه السلام مجيباً لهم: ﴿إِنَّما يَأْتِيكُم بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجزِينَ(5). وَلَا يَنْفَعُكُم نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيكُم هُوَ رَبُّكُم وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(6).

(1) الشعراء: ٢٠٠.

(2) الأنعام: ١٢٥.

(3) الأنعام: ١٤٨.

(4) هود: ٣٢.

(5) هود: ٣٣.

(6) هود: ٣٤.

فلو كان الأمر كما تزعم القدرية؛ كانت الحجة قد ظهرت على نوح من قومه ولقالوا له: إن كان الله هو الذي يريد أن يغوينا؛ فلم أرسلك إلينا ولم تدعونا إلى خلاف مراد الله لنا؟

وقال شعيب مخاطباً قومه: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنا وسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلماً﴾[1].

ثم قال شعيب في موضع آخر: ﴿وما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2].

وقال إبراهيم عليه السلام في محاجته لقومه: ﴿وحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ ولا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

هٰكذا يثبت القرآن الكريم أن الأنبياء جميعاً والأمم الماضية كانوا يثبتون لله المشيئة ويقرون أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى؛ فليس للخلق مشيئة دون مشيئة الله، بل كان إبليس اللعين يثبت لله تعالى المشيئة ويعترف أنه تعالى هو الذي أغواه وأضله؛ حيث قال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾؛ فلم يثبت الغواية لنفسه ولا لغيره من المخلوقات، هٰذا كله ما يؤمن به أهل السنة والجماعة اتفاقاً كما وضحه ابن بطة رحمه الله في هٰذا الباب.

قلت: أثبت الله لنفسه المشيئة المطلقة العامة لجميع الأكوان في غير آية من كتاب الله تعالى، وأثبت له رسوله في سنته في أحاديث كثيرة، من ذٰلك قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشَأْ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

---

(١) الأعراف: ٨٩.

(٢) هود: ٨٨.

وقوله: ﴿ومَا تَشَاؤونَ إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾.

وقوله: ﴿واللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، ﴿ولَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا ولٰكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُم عَلَى الهُدى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِم حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدةً ولَا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾.

وفي «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ؛ قال: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمٰن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء...».

وفي حديث النواس بن سمعان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمٰن؛ إن شاء أقامه، وإن شا أزاغه»، وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم يا مقلب القلوب! ثبت قلوبنا على دينك».

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر؛ فإني أنا الدهر، أرسل الليل والنهار، فإذا شئت قبضتهما...»[1] إلى غير ذٰلك من الآحاديث الكثيرة الدالة على إثبات المشيئة له.

وأثبت الله تعالى لعباده أيضاً المشيئة والإرادة والاختيار في كثير من الآيات؛ كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُم فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

(١) انظر: «شفاء العليل» (ص ٤٥ ـ ٤٦).

وكما في قوله سبحانه: ﴿إنْ هُوَ إلَّا ذِكرٌ للعالَمِينَ . لِمَنْ شَاءَ مِنْكُم أَنْ يَسْتَقِيمَ . ومَا تَشَاؤونَ إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿مِنْكُم مَنْ يُرِيدُ الدُّنيا ومِنْكُم مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُم لِيَبْتَلِيَكُم﴾(١) .

وقوله: ﴿ومَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾(٢) .

ويقول أيضاً: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنيا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إلَيْهِم أَعْمَالَهُم فِيها وَهُمْ فِيها لاَ يُبْخَسُونَ. . . ﴾(٣) .

ويقول: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيها مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ .

ويقول: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحوراً . ومَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَشْكُوراً﴾(٤) .

كما يقول سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنيا نُؤْتِهِ مِنْهَا وما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾(٥) .

ظنت القدرية والجبرية التعارض بين المشيئتين (مشيئة العبد، ومشيئة الرب)؛ فنفت القدرية مشيئة الرب لأفعال العباد، كما نفت الجبرية المشيئة عن عباده؛ فضل كل من الطائفتين عن الصواب، فهدى الله أهل السنة إلى ما فيه الصواب، فأثبتوا كلًّا من المشيئتين كما أثبت الله ورسوله؛ إذ لا تعارض بين

---

(١) آل عمران: ١٥٢ .

(٢) آل عمران: ١٤٥ .

(٣) هود: ١٥ .

(٤) الإسراء: ١٨ ـ ١٩ .

(٥) الشورى: ٢٠ .

المشيئتين أصلاً لأن مشيئة الله عامة شاملة لجميع الأكوان دون حدود ولا استثناء، ومشيئة العباد محدودة مقيدة بمشيئة الله تعالى؛ فلا منافاة بين المقيد والمطلق، وبين العام والخاص، ولأن نفس مشيئة العبد هي من الله تعالى؛ فهو الذي جعل العباد يختارون ويريدون، فالمشيئة العامة الشاملة لله رب العالمين وحده، والمشيئة المحدودة المقيدة بالمشيئة العامة هي مشيئة الأنساب... إن الإنسان هو صنعة الله، ومشيئته من مشيئته؛ فهو في مشيئته وإرادته وأفكاره ونوازعه مخلوق لله بمشيئة الله... ومع هذا؛ فإن الإنسان مطالب من داخل ذاته وخارجها أن يستعمل عقله كما يستعمل جوارحه من سمع وبصر وذوق وشم... فالعقل هو العين التي يبصر بها الإنسان وجوه الغايات التي تحرك نحوها إرادته ويعمل لها كل قواه، كما يستعمل عينيه في النظر إلى الأشياء ويحرك يده لتناولها أو رجله للسعي نحوها[1].

فهذه الآيات السابقة تضع الإرادة الحادثة أمام ضدين من الأفعال؛ **أحدهما**: يؤدي فعله إلى الحصول على الدنيا، **والآخر** نتيجة الفوز بالآخرة، فإذا نحن وضعنا هذه الآيات التي تثبت تخيير الله سبحانه للإرادة البشرية بين الضدين بجانب آيات المشيئة الإلهية المطلقة؛ فهمنا كيف تعمل هذه المشيئة في حياة البشر وكيف تختار بعض الناس للهدى والبعض الآخر للضلال.

إن الله يهدي من يشاء وقد شاء سبحانه وتعالى بنص آيات الإرادة أن يهدي من يختار الآخرة وهو يضل من يشاء، كما تنص على ذلك آيات المشيئة المطلقة، وقد شاء سبحانه أن الذي يختاره الله من الناس للضلال كما هو واضح صريح بنص آيات الإرادة الإنسانية المخيرة.

هم الذين يريدون الدنيا وزينتها وحرثها وثوابها، كما قال أيضاً سبحانه وتعالى مبيناً الذين يختارهم للهدى ويمدهم به: ﴿وَمَنْ يُؤمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ واللهُ

---

(١) «القضاء والقدر» لعبد الكريم الخطيب (ص ٢٦٦).

بِكُـلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]؛ أي أن الهـدى الإلٰهي لا يمـده الله به إلا من يختـار الإيمـان، كما لا يمنع الله الهدى إلا عن الكافرين من الناس، وذٰلك حيث يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِم أَأَنْذَرْتَهُم أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُم لاَ يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَعَلى سَمْعِهِم وَعَلَى أَبْصَارِهِم غِشَاوَةٌ وَلَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]؛ فبين هنا أن الختم على القلوب لا يجعله الله إلا للذين اختاروا الكفر على الإيمان.

كمـا قال أيضاً: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِي الَّذينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا وإِنْ يَرَوْا سَبيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذٰلِكَ بِأَنَّهُم كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[3]؛ فأثبت في هٰذه الآية أن الصرف عن آيات الله أو الختم على القلب أو الإمداد بالضلال إنما يتنزل على العبد بناء على اختياره؛ حيث بين أن الصرف عن آياته وعن الحق إنما يتنزل على العبد نتيجة لاختياراته في مواقف الابتلاء، حيث تكبر في الأرض بغير الحق، وحيث اختار سبيل الغي وترك سبيل الرشد، كما قال تعالى أيضاً في بني إسرائيل: ﴿فَبِما نَقْضِهِم مِيثاقَهُم وَكُفْرِهِم بِآياتِ اللهِ وقَتْلِهِمُ الأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِم فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً . وبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِم عَلَى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً﴾[4].

وذٰلك يثبت ما سبق أن ذكرناه من أن الإضلال أو الهدى والختم والطبع إنما يطبعه على قلوب العباد بكفرهم، وقد يظن البعض في هٰذه الآيات السابقة شبهة الجبر وذٰلك ناتج من عدم فهم سنة الله في معاملة العباد والتي تحدثنا عنها

---

(١) التغابن: ١١.

(٢) البقرة: ٦ ـ ٧.

(٣) الأعراف: ١٤٦.

(٤) النساء: ١٥٥ ـ ١٥٦.

في الفصل السابق؛ حيث تبين لنا أن الأقدار الجبرية تنزل بنا على اختيارهم وشبهة الجبرية الناجمة في أذهان البعض عن هٰذه الآيات السابقة نتيجة ظنهم أن الكفر والضلال إنما نتج عن الطبع والختم والصرف الإلٰهي عن الحق، ولٰكن الآيات تثبت صراحة أن الختم والطبع والصرف لا تصيب إلا الذين بدؤوا باختيار الكفر والضلال والتكبر في الأرض بغير الحق، وذٰلك يعني أن أفعال الله النفسية فيهم والتي عبر عنها بالطبع والختم والصرف عن الحق ليست سوى الإمداد الإلٰهي بما يختار الإنسان لنفسه، وحيث أن هٰؤلاء قد اختاروا سبيل الغي وتركوا سبيل الرشد أو اختاروا الكفر وتركوا الإيمان؛ فإن الله حسب سنته قد أمدهم بما يطلبون من ثواب الدنيا وحرمهم من ثواب الآخرة، وذٰلك بالطبع والختم على قلوبهم وصرفهم عن آياته، ومن ثم تكون هٰذه الآيات دليلاً قوياً على الاختيار، ومن ثم فليس بين المجموعتين؛ مجموعة آيات المشيئة الإلٰهية ومجموعة آيات الإرادة الإنسانية؛ أدنى تعارض أو تنافي، ولذٰلك فقد جمع الله في آية واحدة عمل إرادة الإنسان المتمشية والمتناسقة والداخلة في المجال اللامحدودة لإرادته سبحانه، وذٰلك حيث يقول جل وعلا: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ . فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ . وما يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾(١).

ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً . وَمَا تَشَاؤونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً . يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ والظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾(٢).

كما يقول: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ للعالَمِينَ . لِمَنْ شَاءَ مِنْكُم أَنْ يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَاؤونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العالمينَ﴾(٣).

---

(١) المدثر: ٥٤ ـ ٥٦.

(٢) الإنسان: ٢٩ ـ ٣١.

(٣) التكوير: ٢٧ ـ ٢٩.

فهٰذه المجموعة من الآيات تثبت للإنسان إرادته ومشيئته الحرة المختارة، ولٰكنها تؤكد بانطوائها ككل شيء في الوجود تحت مشيئته سبحانه، ومن ثم نجد أننا يجب علينا أن نرجع إلى هٰذه الآيات جميعاً وليس إلى بعضها لكي نعرف الحقيقة الكاملة(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية توضيحاً لعدم التعارض بين المشيئتين: «وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾؛ لا يدل على أن العبد ليس بفاعل لفعله الاختياري، ولا أنه ليس بقادر عليه، ولا أنه ليس بمريد، بل يدل على أنه لا يشاؤه إلا أن يشاء الله، وهٰذه الآية رد على الطائفتين؛ المجبرة الجهمية، والمعتزلة القدرية، فإنه تعالى قال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُم أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾؛ فأثبت للعبد مشيئة وفعلاً، ثم قال: ﴿وما تَشَاؤونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العالمينَ﴾؛ فبين أن مشيئة العبد معلقة بمشيئة الله، والأولى رد على الجبرية وهٰذه رد على القدرية الذين يقولون: قد يشاء العبد ما لا يشاؤه الله، كما يقولون: إن الله يشاء ما لا يشاؤون».

وقال أيضاً: «ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء؛ أن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم أن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ . فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ . وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ...﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً . وَمَا تَشَاؤونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلعَالَمِينَ . لِمَنْ شَاءَ مِنْكُم أَنْ يَسْتَقِيمَ . وَمَا

(١) «القضاء والقدر في الإسلام» (ج ١ / ٢٢٧ ـ ٢٣٠).

تَشَاؤونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾.

والقرآن قد أخبر بأن العباد يؤمنون، ويكفرون، ويفعلون، ويعملون، ويكسبون، ويطيعون، ويعصون، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويحجون، ويعتمرون، ويقتلون، ويزنون، ويسرقون، ويصدقون، ويكذبون، ويأكلون، ويشربون، ويقاتلون، ويحاربون؛ فلم يكن من السلف والأئمة من يقول أن العبد ليس بفاعل ولا مختار ولا مريد ولا قادر، ولا قال أحد منهم أنه فاعل مجازاً، بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون على أن العبد فاعل حقيقة والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله[1]؛ فكل ما يقع من العباد بإرادتهم ومشيئتهم؛ فهو الذي جعلهم فاعلين له بمشيئتهم، وهو سبحانه لا يكرههم على ما لا يريدوه كما يكره المخلوق المخلوق[2]، ومن قال: لا مشيئة في الخير ولا في الشر؛ فقد كذب، ومن قال أنه يشاء شيئاً من الخير والشر بدون مشيئة الله؛ فقد كذب، بل له مشيئة لكل ما يفعله باختياره من خير وشر، وكل ذٰلك إنما يكون بمشيئة الله وقدرته؛ فلا بد من الإيمان بهٰذا، وهٰذا ليحصل الإيمان بالأمر والنهي والوعد والوعيد والإيمان بالقدر خيره وشره، وإن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»[3].

وقال ابن القيم: «إن مرتبة المشيئة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتضى إلا مشيئة الله وحده، فما شاء؛ كان، وما لم يشأ؛ لم يكن، هٰذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما

---

(١) «الفتاوى» (٨ / ٤٥٩ - ٤٦٠).

(٢) «الفتاوى» (٨ / ٤٦٤).

(٣) «الفتاوى» (٨ / ٢٤٠).

لم يشأ لم يكن، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع وإن كان منهم في موضع آخر؛ فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله وأن يشاء ما لا يكون، وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفي مشيئة الله بالكلية ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختياراً أوجد بها الخلق كما يقوله طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة وأتباعهم»[1].

●●●●●

(١) «شفاء العليل» (ص ٤٣).

الفصل الثامن

إيمان الصحابة ومن بعدهم من السلف بالقدر

الآثار المروية عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء السنة في إثبات القدر والرد على القدرية كثيرة جداً، أتى بها ابن بطة في هٰذا الكتاب على منهجين:

المنهج الأول: ذكره لها عقب إيراد الأدلة من الكتاب والسنة حيث يستدل أولاً على ما تضمنته أبواب الكتاب من موضوعات القدر بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ثم يقفى عليها بالآثار المروية عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة، وقد يسوق هٰذه الآثار خلال ما يذكره من الآيات والأحاديث النبوية.

المنهج الثاني: أنه خص الأبواب الثلاثة الأخيرة من الجزء التاسع من هٰذا الكتاب وجميع الجزء العاشر، وفيه ثلاثة أبواب يذكر أقوال هٰؤلاء الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمة المشهورين من علماء الحديث والفقه والتفسير؛ فبدأ أولاً ببيان مذهب الشيخين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم أتبع ذٰلك بكلام بقية أجلاء الصحابة؛ مثل علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن سلام، وعبد الرحمٰن بن عوف، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخدري، وسلمان الفارسي، وأبي الدرداء، وسعيد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وعمران بن

الحصين، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبي ذر، وبلال بن رباح، وحذيفة ابن اليمان، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

ثم أعقب ذلك ببيان مذهب التابعين في القدر؛ منهم الحسن البصري، ومطرف بن شخير، ومحمد بن سيرين، ومجاهد بن جبر، ومحمد بن كعب القرظي، ووهب بن منبه، وطاووس اليماني، ومكحول، وعكرمة، وعطاء الخراساني، وأبو مسلم الخولاني، ثم يلي ذلك بيان مذهب من بعد التابعين من المحدثين والمفسرين والفقهاء؛ مثل الأوزاعي، والليث بن سعد، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والإمام الشافعي وغيرهم من فقهاء الأمة ومحدثيهم ممن يطول ذكر أسمائهم تفصيلاً وفيما يلي موجز لمذهب هؤلاء السلف في القدر كما بينه ابن بطة من خلال أقوالهم التي رواها عنهم؛ فهم يؤمنون جميعاً بأن الله تعالى قدر مقادير الخلائق كلها قبل خلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة، وأنه تعالى خالق كل شيء؛ فلا يوجد في ملكه إلا ما يريد، وقدر الخير والشر وأفعال العباد جميعاً؛ فالعبد لا يملك لنفسه الهداية والضلال، والضر والنفع، والسعادة والغواية؛ فالله تعالى هو الذي يقدر ذلك وحده؛ فالعبد دائماً أمره تحت مشيئة الله تعالى، وهو الذي يخلق الإنسان شقيّاً أو سعيداً، ويخلق فريقاً من الناس للجنة وفريقاً للسعير، وقد أخذ ذرية آدم من ظهره؛ فبين أهل الجنة من أهل النار، ويسر عمل السعادة للسعداء؛ فجعلهم بذلك من أهل الجنة، ويسر عمل الشقاء للأشقياء؛ فجعلهم بذلك من أهل النار يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ويختم على قلوب من أراده من عباده ويجعل الغشاوة عليهم؛ فلا يسمعون نداء الحق، ولا يبصرون نور الهداية، ويؤمنون بضرورة نفاذ القدر الإلهي، فلو أطبق العالم على خلاف مراده عز وجل؛ لا ينفذ إلا ما يريده، وهم يؤمنون كذلك بأن إزالة الجبل من مكانه أهون من إزالة ما قدره الله أزلاً، وأنه سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن من رزق وقحط وإحياء وإماتة، يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء،

ويعز من يشاء ويذل من يشاء، وأنه تعالى خلق آدم للأرض يوم أن خلق؛ فلا بد من أن يأكل من الشجرة التي كانت سبباً لخروجه من الجنة.

وقـدر الأقـوات والأرزاق قبـل الأجساد وكان القدر قبل البلاء، وأنزلهم الغرف قبل أن يطيعوه والنار قبل أن يعصوه، وكل مقتول لا يقتل إلا في أجله المكتوب وموعده المحدد له دون تقديم ولا تأخير عن أجله المسمى؛ فالخلق أدق شأناً من أن يعصوا الله عز وجل طرفة عين بما لا يريد، والإيمان بالقدر عند هٰؤلاء السلف الصالح هو العروة الوثقى لا انفصام لها، ومن لم يؤمن بالقدر؛ كان ذٰلـك عنـدهم نقضـاً للتـوحيد لأن الإيمان بالقدر هو نظام التوحيد، وقد أوضحـوا ذٰلك للأمة خير توضيح في خطبهم ورسائلهم، وفي محاوراتهم مع المنكرين للقدر مما رواه ابن بطة عنهم، وهم يؤمنون بأن كل امرىء يعمل فيما فرغ منـه علماً وتقديراً وكتابة، ومع ذٰلك؛ فهم يعتقدون بأنه كذٰلك لا بد من العمل بتكاليف الشريعة؛ فلا يتم إيمان امرىء إلا بالجمع بين الإيمان بالقدر والعمل بتكاليف الشريعة أمراً ونهياً، ويؤمنون بأن السعداء يدخلون الجنة مهما عملوا من عمل أهل النار؛ إذ يختم لهم بعمل أهل السعادة، وبأن الأشقياء يكون مآلهم إلى النار مهما عملوا من عمل أهل الجنة؛ إذ يختم لهم بعمل أهل النار، وكل مولود يولد على الفطرة وأن أبواه يهودانه أو ينصرانه إذا أراد الله له ذٰلك أزلاً، وإلا؛ فلا، وأنه تعالى لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه؛ عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو أدخلهم الجنة؛ كانت رحمته بهم أوسع من أعمالهم وخيراً لهم من تلك الأعمال، ولو كان لامرىء مثل أحد ذهباً ينفقه في سبيل الله؛ لا يقبل الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، ومما اعتمد عليه ابن بطة في إيضاح مذهب السلف في القدر ما نقل إلينا كثيراً في هٰذا الباب من تفسير السلف لآيات القدر في القرآن الكريم بما يوافق مذهب السلف من إثبات القدر والرد على القدرية، نقل ذٰلك إلينا عن مشاهير أئمة المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة بأسانيد متصلة إليهم؛ منهم حبر الأمة عبد الله بن عباس، ومجاهد بن

جبر، والحسن البصري، ومحمد بن كعب القرظي، وعكرمة، وقتادة، وزيد بن أسلم، وأبو العالية، وضحاك بن مزاحم، وكثير غيرهم موضحاً بذلك مذهب السلف بالقدر خير توضيح، وقد جاء التحذير في كلام كثير من السلف عن الجدال في القدر والاستماع إلى كلام القدرية ومجالستهم وعيادة مرضاهم وتشييع موتاهم والصلاة خلفهم وعليهم إذا ماتوا، وعللوا ذلك بأنهم نصارى هذه الأمة ومجوسها، ومنهم من شبههم باليهود تارة وبالمنانية أخرى، وقرروا رد شهادتهم إذا شهدوا على شيء، وقد نقل ابن بطة عن السلف الصالح أنهم كانوا لا يكلمون من كان متهماً بالقدر.

ومن السلف من يرى أنه يجب أن تسل ألسنتهم من أقفيتهم، وفي رواية عنهم أنهم يستتابون، فإن تابوا، وإلا؛ نفوا عن ديار المسلمين، وهناك رأي آخر لهم أنهم يستتابون، وإلا؛ ضربت أعناقهم، ويقولون: إن النصارى أشركت المسيح، واليهود أشركت عزيراً، والقدرية أشركت نفسها والشيطان، وقد أفتى جماعة من السلف؛ منهم حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ويزيد بن زريع، وبشر بن المفضل، والمعتمر بن سليمان أن من زعم أنه يستطيع أن يشاء خلاف مشيئة الله في ملكه؛ فقد أصبح مشركاً، حلال الدم؛ إلا معتمر بن سليمان، فإنه قال: «الأحسن من السلطان استتابته»، وقد أفتى مالك عدم جواز تزويج القدرية مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ولَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُم أُولٰئكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ واللهُ يَدْعُو إِلَى الجَنَّةِ والمَغْفِرَةِ بِإِذْنِه ويُبَيِّنُ آياتِهِ للنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرونَ﴾[1].

كما أفتى بعدم جواز الصلاة خلفهم وأمر البعض من السلف ـ وهو جعفر ابن محمد ـ رجلاً صلى خلف القدري خمسين سنة أن يعيد صلاة خمسين سنة التي صلاها خلفه، وحذر واثلة بن الأسقع وهو صاحب رسول الله ﷺ عن

---

(١) البقرة: ٢٢١.

الصلاة خلف القدري، كما حذر وكيع أيضاً أن لا يصلي خلف قدري، وقال الإمام الشافعي عندما رأى قوماً يتجادلون في القدر بين يديه: «لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من هٰذا الأهواء»، كان هٰذا قليلاً من كثير مما شرح به ابن بطة مذهب السلف في مسألة القضاء والقدر، وهو في حقيقته يرجع إلى مدلول الكتاب والسنة الذي تقدم بيانه من خلال دراستنا لنصوص الكتاب والسنة التي أوردها ابن بطة في أبواب هٰذا الكتاب.

وكان مقصود ابن بطة رحمه الله من إيراد مذهب السلف وشرح موقفهم من مسألة القدر بعد عرضه لأدلة الكتاب والسنة؛ كان مقصوده بذٰلك التنبيه على أن مذهب السلف لا يختلف عن مدلول نصوص الكتاب والسنة في مسألة القدر كما هو الحال في سائر مسائل العقيدة.

●●●●●

الفصل التاسع

الرد على القدرية وبيان حكمهم في الدنيا وجزاؤهم في الآخرة

وقد تكلم المؤلف عن القدرية فيما ذكره من الآيات والأحاديث والآثار المروية عن الأئمة في بابين من هٰذا الكتاب وهي الباب السابع من الجزء التاسع وعنوانه: (باب ما روي في المكذبين بالقدر).

والباب الأول من الجزء الحادي عشر وموضوعه: (باب جامع في القدر وما روي في أهله).

وقد تضمن هٰذان البابان الكلام في الوضوعات الآتية:

١ - الرد على المكذبين بالقدر بإثباته عن طريق الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين، وما تضمنته بعض المناظرات بين أهل السنة والقدرية من الأدلة العقلية.

٢ - بيان حكم القدرية في الدنيا.

٣ - بيان جزائهم في الآخرة.

ولقد قوبلت القدرية بجميع طوائفها بردود فعل عنيفة من قبل علماء السنة؛ ابتداء من عهد الصحابة الذين أدركوا نشأتهم مثل عبد الله بن عمر وابن عباس ومن بعدهم من الأئمة، وقد جمع ابن بطة في هٰذه الأبواب أدلة متنوعة ·

في الرد على القدرية من الآيات والأحاديث والآثار المنقولة عن الصحابة ومن بعدهم من فقهاء المسلمين وأئمتهم، ومن المحاورات والمناظرات ومن كلام العرب وأشعارهم في الجاهلية والإسلام في إثبات القضاء والقدر، ومن الرسائل المكتوبة من علماء السنة إلى المنكرين للقدر إجابة عن سؤالهم عن القدر مثل رسالة عمر بن عبد العزيز لعامله بعد أن طلب ذٰلك منه حث فيها على لزوم السنة ومجانبة البدعة، ورسالة أخرى مطولة لعبد العزيز بن الماجشون توسع فيها في الرد على القدرية على ضوء مفاهيم الأدلة الشرعية؛ كل ذٰلك أورده ابن بطة استدلالاً به على وجوب إثبات القدر، ولزوم الإيمان والتصديق به، وإيذاناً بأنه لا مجال للشك في ثبوت القدر ووجوب الإيمان به بعد هٰذه الأدلة اليقينية القاطعة الصريحة في الموضوع؛ فمن الأدلة الصريحة الواضحة في إثبات القدر قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾، وقد نزلت الآية الكريمة عندما قال أبو جهل: الأمر إلينا؛ إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم.

وقال أبو عمرو بن العلاء لما سئل عن القدر: «يكفي حجة ثلاث آيات من كتاب الله، وهي قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُم أَنْ يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَاؤونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العالَمينَ﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً . وما تَشَاؤونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَليماً حَكِيماً﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّها تَذْكِرَةٌ . فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾(٣).

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ؛ فقال: يا رسول الله! متى كنت نبيًّا؟

---

(١) التكوير: ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) الإنسان: ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) عبس: ١١ ـ ١٢.

فقال الناس: مه، فقال رسول الله ﷺ: «دعوة كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»(1)، وهٰذا (يعني: أنه سبق في علم الله تعالى) قبل أن يخلق نبيه، وكتب عنده في أم الكتاب أنه نبي هٰذه الأمة، ثم خلقه الله عز وجل نبيّاً مرسلاً كما علم أزلاً؛ فالحديث دليل صريح في إثبات القدر.

وفي الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: «لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها (يعني أنه تعالى قدر خروج آدم من الجنة قبل أن يسكنه إياها لكي يسكنه في الأرض مع ذريته إلى أجل مسمى)»، ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنه هٰذه الآية: ﴿وإِذْ قَالَ رَبُّكَ للمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً . . .﴾ الآية(2).

ومما أبطل به العلماء حجج المكذبين بالقدر وما يظنونه من ظلم الله لعبده إذا جازاه على ما قدره عليه من الضلال مما أبطل به العلماء ذلك ما يراه سفيان الثوري وأبو عصام العسقلاني وغيرهما من أهل العلم من أن الظلم والجور إنما يكونان من صفات الله لو قلنا بوجوب هداية الله وعصمته للعبد، أما وإن ذٰلك في حقيقته تفضل منه سبحانه وتعالى؛ فأمر الفضل إليه يؤتيه من يشاء من عباده ويمنعه من يشاء، ولا لوم يلحقه في ذٰلك.

ومن الأشعار التي جاء فيها إثبات القدر قول لبيد:

إنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ ... وبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِي وَعَجَلْ
مَنْ هَدَاهُ سُبُلُ الخَيْرِ اهْتَدَى ... نَاعِمَ البَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلْ

وقول نابغة أيضاً:

وَلَيْسَ امْرُؤٌ نَائِلاً مَنْ هَوَا ... هُ شَيْئاً إِذَا هُوَ لَمْ يُكْتَبِ

(1) صحيح. انظر: (حديث رقم ٦١٩ - ٦٢٠).

(2) البقرة: ٣٠.

أما حكم القدرية في الدنيا؛ فإنهم يعاملون معاملة الكفار؛ فلا تعاد مرضاهم، ولا تشيع موتاهم، ولا يصلى خلفهم، ولا يجالسون، ولا يكلمون، ولا ينكحون، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن مرضوا؛ فلا تعودوهم، وإن ماتوا؛ فلا تشهدوهم، ولا تصلوا عليهم، وهم شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال»[1].

وأفتى مالك رحمه الله أن لا يصلى خلف القدري ولا ينكح له[2]، وسئل الأوزاعي عن القدري؛ فقال: «لا تجالسوهم»، ومنع غير واحد من السلف عن مجالسة القدرية، وقد بين ابن بطة أن الابتعاد عن القدرية وترك مجالستهم؛ يعصم المرء عن فتنتهم، اللهم إلا إذا كان ذلك من رجل عالم يريد إقامة الحجة على القدرية وإجراء المناظرة معهم لكي يبين لهم فساد مذهبهم وخطر رأيهم الذي قد يخفى على كثير من الناس؛ فلا مانع حينئذ من إجراء المناظرة والمناقشة مع القدرية، أما جزاء المكذبين بالقدر في الآخرة؛ فإنه كفار من أصحاب النار، استشهد ابن بطة على ذلك بكثير من أدلة الكتاب والسنة والآثار المنقولة عن السلف، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ . يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[3].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: جاء مشركوا قريش إلى رسول الله ﷺ يخاصمونه بالقدر؛ فنزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[4] الآية.

---

(١) حسن لغيره.

انظر: (حديث رقم ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢).

(٢) انظر التحقيق (أثر رقم ٧٣٢).

(٣) القمر: ٤٧ ـ ٤٩.

(٤) رواه مسلم في «صحيحه» (ج ٤، ص ٢٠٤٦ في كتاب القدر)، وابن أبي عاصم في =

وقرأ محمد بن كعب القرظي هٰذه الآية، ثم قال: «ما نزلت إلا تعبيراً لأهل القدر»[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «فوالله؛ ما نزلت هٰذه الآية إلا فيهم (يعني في القدرية)»[2].

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بالقدر»[3].

كما وردت عدة روايات أخرى عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم تنص على أن القدرية مجوس هٰذه الأمة، من ذٰلك ما رواه ابن عمر وحذيفة وأبو هريرة بطرق متعددة أن النبي ﷺ قال: «إن لكل أمة مجوساً ومجوس هٰذه الأمة القدرية، فإن مرضوا؛ فلا تعودوهم، وإن ماتوا؛ فلا تشيعوهم ولا تصلوا عليهم».

وقال ابن مسعود: «ما كان كفر بعد نبوة إلا كان مفتاحه التكذيب بالقدر»[4].

وقال نافع مولى ابن عمر: «أولٰئك قوم كفروا بعد إيمانهم (يعني

= كتاب «السنة» (ج ١ / ١٥٥)، والترمذي (ج ٣ / ٣١١)، وأحمد في «مسنده» (ج ٢ / ٤٤٤).

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (ج ١٧ / ١١١)، وذكر السيوطي في «الدر المنثور» (ج ٧، ص ٦٨٥).

(٢) أورده السيوطي في «تفسير الدر المنثور» (ج ٧، ٦٨٣٩).

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (ج ١١، ص ٤٧٨): «واشتهر على ألسنة السلف والخلف أن الآية نزلت في القدرية (يعني آية: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ)... ﴾ الآية».

(٣) حديث حسن.

رواه: ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» (ج١ / ص ١٤٠ ـ ١٤١)، وأحمد في «مسنده» (ج٦ / ص ٢٤٤١).

(٤) انظر أثر رقم (٢٧١ و ٢٧٢).

القدرية)»[1].

وجاء رجل إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ فقال: ناس يتكلمون بالقدر؛ فقال: «أولئك القدريون، وأولئك يصيرون إلى أن يكونوا مجوس هذه الأمة».

●●●●●

(١) انظر أثر رقم (٢٧٤).

الفصل العاشر

النهي عن البحث في القدر

بين ابن بطة وجوب الإمساك عن الخوض في القدر في أول الخطبة لهٰذا الكتاب بما استشهد به من الأحاديث والآثار عن السلف، وبين أن ذٰلك مذهب أهل السنة، ثم عقد باباً خاصّاً لهٰذا الغرض وهو الباب الثالث من الجزء الحادي عشر وعنوانه: (باب ما أمر الناس من ترك البحث والتنقير عن القدر والخوض فيه).

وقد جاء النهي عن الخوض والجدال في القدر في أحاديث وآثار مرفوعة ذكرها ابن بطة في هٰذا الباب يستفاد منها وجوب الإمساك عن الكلام في القدر، وعن السؤال عنه بكيف ولماذا قدر كذا وكذا، وذٰلك لأن القدر سر من أسرار الله اختص به الرب؛ فلم يطلع عليه أحداً من خلقه، فلا ينبغي للمخلوق التطلع إلى ما لا سبيل إلى معرفته؛ فلا يسأل عن الحكمة في القدر وسر الله فيه، فالواجب الإيمان والتسليم ورد ما استشكل من حكمه إلى الله تعالى دون أن يجهد نفسه للسؤال عن الحكمة والسر فيه، فقد خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه وهم يتنازعون في القدر؛ فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان، فقال: «أبهٰذا أمرتم؟ أبهٰذا وكلتم؟ أنظروا ما أمرتهم؛ فاتبعوه، وما نهيتهم عنه؛ فاجتنبوه، إنما هلكت الأمم قبلكم في هٰذا، إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا»... إلى غير ذٰلك من الأحاديث

المروية في هٰذا الباب في النهي عن الخوض في القدر.

وقال ابن عباس رضي الله عنه لما سئل عن القدر: «شيء أراد الله أن لا يطلعكم عليه؛ فلا تريدوا من الله ما أبى عليكم»، ووقف ذات يوم على أناس يتحدثون في القدر؛ فقال: «إنكم قد أفضتم في أمر لن تدركوا غوره».

وبلغ عمر بن الخطاب أن ناساً تكلموا في القدر؛ فقام خطيباً وحذرهم عن ذٰلك قائلاً: «والذي نفسي بيده؛ لا أسمع رجلين تكلما فيه إلا ضربت أعناقهما»؛ فامسك الناس عن الكلام في القدر حتى نبغت نابغة أو نبغة بالشام.

وقد أوضح ابن بطة موقف عامة السلف ومنهجهم في مسألة القدر؛ فقال: «وقد كان سلفنا وأئمتنا رحمة الله عليهم يكرهون الكلام في القدر، وينهون عن خصومة أهله وموادعتهم القول أشد النهي، ويتبعون في ذٰلك السنة وآثار المصطفى ﷺ.

وبعد أن ذكر ابن بطة أدلة وجوب الإمساك عن الكلام في القدر؛ قال ما نصه:

«فجميع ما قدر وبيناه في هٰذا الباب يلزم العقلاء الإيمان بالقدر، والرضا والتسليم لقضاء الله وقدره، وترك البحث والتنقير، وإسقاط لم وكيف وليت ولولا؛ فإن هٰذا كله اعتراضات من العبد على ربه، ومن الجاهل على العالم معارضة من المخلوق الضعيف الذليل على الخالق القوي العزيز، والرضا والتسليم طريق الهدى وسبل أهل التقوى ومذهب من شرح الله صدره للإسلام؛ فهو على نور من ربه، فهو يؤمن بالقدر كله خيره وشره، وأنه واقع بمقدور الله جرى، ومن يعلم أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء؛ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون»[1].

---

(١) انظر: التحقيق (ص ٤١١).

ومن الجدير بالذكر أن ابن بطة قد أجاب عما قد يستشكل في هٰذا المقام، حيث يوجد هناك أدلة أخرى على خلاف ما تقدم، يستفاد منها جواز الكلام والمناقشة في مسألة القدر، وإجابة عن هٰذا الإشكال؛ قال ما نصه:

«فإن قال قائل هٰذا: فقد روي عن رسول الله ﷺ وأصحابه وعن جماعة من التابعين وفقهاء المسلمين أنهم تكلموا فيه وفسروا آيات من القرآن يدل ظاهرها وتفسيرها على العلم بالقدر، وقد رأينا جماعة من العلماء ألفوا فيه كتباً، وصنفوه أبواباً، ورووا أيضاً أن النبي ﷺ قال: «تعلموا من القدر ما لا تضلون»، وهٰذا مخالف لقوله: «إذا ذكر القدر؛ فأمسكوا». فإنني أرجع إليه بجواب ما سأل عنه من ذٰلك بأن أقول له: اعلم رحمك الله أن كلا الوجهين صحيحان، وكلا الأمرين واجب القبول لهما والعمل بها، وذٰلك أن القدر على وجهين: أحدهما: فرض علينا علمه ومعرفته والإيمان به والتصديق بجميعه، والآخر: فحرام علينا التفكر فيه والمسألة عنه والمناظرة عليه والكلام لأهله والخصومة به؛ فالواجب علينا علمه والتصديق به والإقرار بجميعه؛ أن نعلم أن الخير والشر من الله، وأن الطاعة والمعصية بقضاء الله وقدره، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً، وعَلِمهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، ووفقهم لأعمال الصالحة رضيها؛ أمرهم بها، فوفقهم لها، وأعانهم عليها، وشكرهم بها، وأثابهم الجنة عليها تفضلاً منه ورحمة، وخلق النار، وخلق لها أهلاً؛ أحصاهم عدداً، وعلم ما يكون منهم، وقدر عليهم ما كرهه لهم، خذلهم بها، وعذبهم لأجلها، غير ظالم لهم، ولا هم معذورون فيما حكم عليهم به؛ فكل هٰذا وأشباهه من علم القدر الذي لزم الخلق علمه والإيمان به والتسليم لأمر الله وحكمه وقضائه وقدره، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وسيأتي من علم القدر وما يجب على المسلمين علمه والمعرفة به وما لا يسعهم جهله مشروحاً مفصلاً في أبوابه على ما جاء نص التنزيل ومضت به سنة

الرسول ﷺ، وبالله نستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأما الوجه الآخر من علم القدر الذي لا يحل النظر فيه ولا الفكر به وحرام على الخلق القول في كيف ولم، وما السبب مما هو سر الله المخزون وعلمه المكنون الذي لم يطلع عليه مكلفاً مقـرباً ولا نبيّاً مرسلاً، وحجب العقول عن تخيل كنه علمه، والناظر فيه كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد فيه نظراً؛ ازداد فيه تحيراً ومن العلم بكيفيتها بعداً، فهو التفكر في الرب عز وجل، كيف فعل كذا وكذا، ثم يقيس فعل الله عز وجل بفعل عباده؛ فما رآه من فعل العباد جوراً يظن أنما ما كان من فعل مثله جور؛ فينفي ذٰلك الفعل عن الله، فيصير بين أمرين؛ إما أن يعترف لله عز وجل بقضائه وقدره ويرى أنه جور من فعله، وإما أن يرى ممن ينزه الله عن الجور؛ فينفي عنه قضاءه وقدره، فيجعل مع الله آلهة كثيرة يحولون بين الله وبين مشيئته؛ فبالفكر في هٰذا أو شبهه والتفكر فيه والبحث والتنقير منه هلكت القدرية حتى صاروا زنادقة وملحدة ومجوساً، حيث قاسوا فعل الرب بأفعال العباد، وشبهوا الله بخلقه ولم يعوا عنه، وما خاطبهم به حيث يقول: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلونَ﴾».

قسم التحقيق

الجزء الثامن

من كتاب

الابانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة

وهو الأول من كتاب القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثامن من كتاب «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة»، وهو الأول من كتاب القدر، تأليف أبي عبد الله عبيد الله بن محمد ابن محمد بن حمدان بن بطة رضي الله عنه، رواية الشيخ أبي القاسم علي بن أحمد بن محمد بن علي البسري بالإجازة عنه رضي الله عنه، رواية الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن عبيد الله بن نصر بن عبيد الله بن الزاغوني[1]، نفعنا الله وإياه بالعلم؛ آمين.

فيه ثمانية أبواب:

١ ـ باب ذكر ما أخبرنا الله تعالى في كتابه أنه ختم على قلوب من أراد من عباده؛ فهم لا يهتدون إلى الحق، ولا يسمعونه، ولا يبصرونه، وأنه طبع على قلوبهم.

٢ ـ باب ذكر ما أعلمنا الله تعالى في كتابه أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه لا يهدي بالمرسلين والكتب والآيات والبراهين إلا من سبق في علم الله أنه يهديه.

---

(١) نسبة إلى «زاغون» قرية من قرى بغداد؛ كما في «معجم البلدان» لياقوت (ج ٣، ص ١٢٦).

٣ ـ باب ذكر ما أخبرنا الله تعالى أنه أرسل المرسلين إلى الناس يدعونهم إلى عبادة رب العالمين، ثم أرسل الشياطين على الكافرين تحرضهم على تكذيب المرسلين، ومن أنكر ذلك؛ فهو من الفرق الهالكة.

٤ ـ باب ذكر ما أعلمنا الله تعالى أن مشيئة الخلق تبع لمشيئته، وأن الخلق لا يشاؤون إلا ما شاء الله.

٥ ـ باب ما روى أن الله تعالى خلق خلقه كما شاء لما شاء، فمن شاء خلقه للجنة، ومن شاء خلقه للنار، سبق بذلك علمه ونفذ فيه حكمه وجرى به قلمه، ومن جحده؛ فهو من الفرق الهالكة.

٦ ـ باب الإيمان بأن الله أخذ ذرية آدم من ظهره فجعلهم فريقين؛ فريقاً للجنة، وفريقاً للسعير.

٧ ـ باب الإيمان بأن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرضين، ومن خالف ذلك؛ فهو من الفرق الهالكة.

٨ ـ باب الإيمان بأن الله تعالى خلق القلم؛ فقال له: اكتب، فكتب ما هو كائن، فمن خالفه؛ فهو من الفرق الهالكة.

●●●●●

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآل محمد وسلم رب يسر.

أخبرنا الشيخ، الإمام، ناصر السنة، أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني؛ أحسن الله توفيقه؛ قال: أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن البسري؛ قال: أخبرنا أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة إجازة؛ قال: «الحمد لله، أهل الحمد ووليه، المنان، الجواد، الذي ثوابه جزل، وعطاؤه فضل، وأياديه متتابعة، ونعماؤه سابغة، وإحسانه متواتر، وحكمه عدل، وقوله فصل، حصر الأشياء في قدرته[1]، وأحاط بها علمه ونفذت فيها مشيئته، وصلى الله على خير خلقه محمد النبي وآله وسلم.

أما بعد يا إخواني؛ وفقنا الله وإياكم لأقصد الطريق وأهداها، وأرشد السبل وأسواها؛ فهي طريق الحق التي اختارها وارتضاها، واعلموا أن طريق الحق أقصد الطرق[2]، ومناهجه أوضح المناهج، وهي ما أنزله الله في كتابه وجاءت به رسله، ولم يكن رأياً متبعاً ولا هوى مبتدعاً ولا إفكاً مخترعاً، وهو الإقرار لله بالملك والقدرة والسلطان، وأنه هو المستولي على الأمور، سابق العلم بكل كائن، ونافذ المشيئة فيما يريد، كان الخلق كله وكل ما هو فيه بقضاء

(١) كلمة «في قدرته» ساقطة من (م).

(٢) في (م): «أقصر الطريق».

وتدبير، ليس معه شريك ولا دونه مدبر ولا له مضاد، بيده تصاريف الأمور، وهو الآخذ بعقد[1] النواصي والعالم بخفيات القلوب ومستورات الغيوب، فمن هداه بطول منه؛ اهتدى، ومن خذله؛ ضل بلا حجة له ولا عذر، خلق الجنة والنار وخلق لكل واحدة منهما أهلاً هم ساكنوها؛ أحصاهم عدداً، وعلم أعمالهم وأفعالهم، وجعلهم شقيّاً وسعيداً، وغوياً ورشيداً، وخلق آدم عليه السلام وأخذ من ظهره كل ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة، وقدر أعمالهم، وقسم أرزاقهم، وأحصى أجالهم، وعلم أعمالهم؛ فكل أحد يسعى في رزق مقسوم وعمل محتوم إلى أجل معلوم، قد علم ما تكسب كل نفس قبل أن يخلقها؛ فلا محيص لها عما علمه منها، وقدر حركات العباد وهممهم وهواجس[2] قلوبهم وخطرات نفوسهم؛ فليس أحد يتحرك حركة ولا يهم همة إلا بإذنه، وخلق الخير والشر، وخلق لكل واحد منهما عاملاً يعمل به؛ فلا يقدر أحد أن يعمل إلا لما خلق له، وأراد قوماً للهدى؛ فشرح صدورهم للإيمان وحببه إليهم وزينه في قلوبهم وأراد آخرين للضلال؛ فجعل صدورهم ضيقة حرجة[3]، وجعل الرجاسة[4] عليهم، وأمر عباده بأوامر وفرض عليهم فرائض؛ فلن يؤدوها إليه إلا بتوفيقه ومعونته، وحرم محارم وحد حدوداً؛ فلن يكفوا عنها إلا بعصمته؛ فالحول[5] والقوة له، وواقعة

(١) و(العقد): كصرد (بضم العين، وفتح القاف): جمع عقدة، موضع العقد وهو ما عقد عليه؛ كما في «القاموس»، و«المختار».

(٢) أي: خواطر قلوبهم، يقال: «هجس الشيء في صدره يهجس»: خطر بباله، وبابه ضرب. انظر: «القاموس» و«المختار» في اللغة.

(٣) وفي «المختار»: «مكان حرج بكسر الراء وفتحها؛ أي: ضيق، كثير الشجر. وقرىء بهما قوله تعالى: ﴿ضيقاً حرجاً﴾ وحرج صدره من باب طرب؛ أي: ضاق» اهـ.

(٤) في «القاموس»: «(رجس)؛ كفرح وكرم: رجاسة، عمل عملاً قبيحاً، وفي «المصباح»: «(الرجس): القذر».

قال الفارابي: «وكل شيء يتقذر؛ فهو رجس» اهـ.

(٥) في (م): «والحول».

عليهم حجتـه، غير معذورين فيما بينهم وبينه، يضل[1] من يشاء ويهدي من يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون؛ فلم يزل الصدر الأول على هٰذا جميعاً على ألفـة القلوب واتفـاق المـذاهب، كتـاب الله عصمتهم وسنة المصطفى إمامهم، لا يستعملون الآراء ولا يفزعون إلى الأهواء؛ فلم يزل الناس على ذٰلك والقلوب بعصمـة مولاهـا محروسة، والنفوس عن أهوائها بعنايته[2] محبوسة[3] حتى حان حين من سبقت له الشقوة[4] وحلت عليه السخطة، وظهر الذين كانوا في علمـه مخـذولين، وفي كتـابـه السـابق أنهم إلى أعـدائهم من الشياطين مسلمون، ومن الشياطين عليهم مسلطون، فحينئذ؛ دب الشيطان بوسوسته، فوجد مساغاً لبغيته، ومركباً وطياً[5] إلى ظفره بحاجته؛ فسكن إليه المنقاد إلى الشبهات والسالك في بليات[6] الطرقات، فاتخذها دليلاً وقائداً، وعن الواضحة حائـداً، طالب رياسـة وباغي فتنة، معجب برأيه وعابد لهواه، عليه يرد وعنه يصدر، قد[7] نبذ الكتاب وراء ظهره، فلم يستشهده ولم يستشره؛ ففي آذانهم وقر وهو عليهم عمى، كأنهم إلى كتاب الله لم يندبوا، وعن طاعة الشيطان لم يزجـروا، فهم عن سبيل من أرشده الله متباعدون ولأهوائهم في كل ما يأتون ويذرون متبعون، واستحوذ[8] الشيطان على من لم يشرح الله صدره للإسلام، وأورده بحار العمي؛ فهم في حيرة يترددون، فجاروا عن سواء السبيل؛ فقالوا

(١) في (م): «يهدي من يشاء ويضل من يشاء بالتقيم والتأخير».

(٢) هٰكذا في (م)، وفي (١): «بعنايتها»، وهو خطأ.

(٣) في (م) محموسة، وهو غير مناسب لسياق الكلام.

(٤) الشقوة (بالكسر وفتحه) لغة، والشقاء والشقاوة (بالفتح): ضد السعادة؛ كما في «المختار».

(٥) في «المختار»: «وطؤ الموضع: صار وطيئاً»، وبابه: ظرف.

(٦) في (م): «بينات»، وهو خطأ.

(٧) في (م): «وقد نبذ».

(٨) في «المختار»: «استحوذ عليه الشيطان»؛ أي: غلب.

بيد الشيطان من أمر الخلق ما لا يجوز أن يكون بيد الله ومشيئته فيهم حائلة تدون مشيئة الله لهم؛ فضعفوا أمر الله ووهنوه، وردوا كتاب الله وكذبوه، وقووا من أمر الشيطان ما ضعفه الله حين قال: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾، وقد كان سلفنا وأئمتنا رحمة الله عليهم يكرهون الكلام في القدر، وينهون عن خصومة أهله ومواضعتهم[1] القول أشد النهي، ويتبعون في ذلك السنة وآثار المصطفى ﷺ.

١٢٧٤ - حدثنا أبو ذر أحمد بن محمد الباغندي؛ قال: حدثنا علي بن حرب؛ قال: حدثنا أبو عبد الرحمٰن المقري؛ قال: حدثنا سعيد بن أبي أيوب عن عطاء بن دينار عن حكيم بن شريك الهذلي عن يحيى بن ميمون الحضرمي عن ربيعة الجرشي عن أبي هريرة الدوسي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم»[2].

---

(١) في «القاموس»: «هلم أو أضعك الرأي، أطلعك على رأيي وتطلعني على رأيك»، وفي «المختار»: «وواضعه في الأمر؛ أي: وافقه فيه على شيء».

(٢) إسناده ضعيف، فيه حكيم بن شريك الهذلي.

قال أبو حاتم: «مجهول»، وقواه ابن حبان «الميزان» (ج ١، ص ٥٨٦)، وقال الحافظ بن حجر: «مجهول من السابعة» «تقريب التهذيب» (ج ١، ص ١٩٤)، وقال الألباني: «فيه حكيم بن شريك الهذلي، لا يكاد يعرف» «تخريج المشكاة» (ج ١، ص ٣٨)، و«ظلال الجنة في تخريج السنة» (ج ١، ص ١٤٥)، و«تخريج الطحاوية» (ص ٣٠٤)، «تخريج «المختارة» (٢٨٤ و١٨٦).

والحديث؛ رواه أبو داود في «سننه» (كتاب السنة، باب القدر، ج ٤، ص ٢٢٨، ٢٣٠)، والإمام أحمد في «مسنده» (ج ١، ص ٣٠)، والحاكم في «المستدرك» في (كتاب الإيمان، ج ١، ص ٨٥) وسكت عنه لأنه رواه شاهداً للحديث الذي قبله، وابن أبي عاصم الضحاك في «كتاب السنة» (باب نهي النبي عليه السلام عن مجالسة أهل القدر، ج ١، ص ١٤٥)، والآجري في «الشريعة» (ص ٢٣٩، باب ترك البحث والتنقير عن النظر في أمر المقدر بكيف ولم، بل الإيمان به والتسليم)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (ج ٢، ص ٦٠٩).

١٢٧٥ ـ حدثنا أبو عبيد المحاملي ؛ قال : حدثنا أبو غسان مالك بن خالد ابن أسد الواسطي ؛ قال : حدثنا عثمان بن سعيد الخياط الواسطي ؛ قال : حدثنا الحكيم بن سنان عن داود بن أبي هند عن الحسن عن أبي ذر؛ قال : «خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يتذاكرون شيئاً من القدر، فخرج مغضباً ، كأنما فقيء في وجهه حب الرمان ، فقال : «أبهٰذا أمِرْتم؟! أوَما نُهيتم عن هٰذا؟! إنما هلكت الأمم قبلكم في هٰذا، إذا ذكر القدر؛ فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي ؛ فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم ؛ فأمسكوا»»[1].

١٢٧٦ ـ حدثنا أبو علي محمد بن يوسف البيع بالبصرة؛ قال: حدثنا أبو محمـد عبد الرحمٰن بن خلف الضبي ؛ قال : حدثنا حجاج بن منهال؛ قال : حدثنا حماد عن حميد[2] ومطر[3] وداود وعامر الأحول عن عمرو بن شعيب عن

---

(١) صحيح بشواهده .

قال الحافظ العراقي وابن حجر العسقلاني : «أخرجه الطبراني بسند حسن من حديث ابن مسعود؛ كما في «فتح الباري» (١١ / ٤٧٧)، و«الأحاديث الصحيحة» المجلد الأول (ج ١ ، ص ٤٣)، وأخرجه الطبراني عن ابن مسعود وعن ثوبان بإسنادين في أحدهما يزيد بن ربيعة وهو ضعيف ، وفي الثاني مسهر بن عبد الله ؛ وثقه ابن حبان وغيره ، «مجمع الزوائد» للهيثمي (٧ / ٢٠٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤ / ١٠٨) عن ابن مسعود ، وابن عدي في «الكامل» عن ابن مسعود وثوبان وابن عمر ، وابن عساكر (٤ / ٥٥ / ٢) عن النضر عن أبي قلابة عن ابن مسعود مرفوعاً .

قال الألباني : «روى من حديث ابن مسعود وثوبان وابن عمر وطاووس مرسلاً ، كلها ضعيفة الأسانيد ، ولٰكن بعضها يشد بعضاً . . .» ، وقال : «قال ابن رجب : روى من وجوه في أسانيد كلها مقال» .

«الأحاديث الصحيحة» (المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٤٢ ـ ٤٦)، و«صحيح الجامع الصغير» للألباني (المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٢٠٩) باختصار .

(٢) هو حميد بن أبي حميد ، أبو عبيدة البصري عن أنس والحسن وعكرمة ، وعنه شعبة ومالك وسفيانان والحمادان وخلق ، مات سنة (١٤٢هـ) ، «الخلاصة» (٩٤) .

(٣) وهو مطر بفتحتين : ابن طهمان الوراق ، أبو رجاء السلمي ، مولاهم الخراساني ، ثم =

أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان؛ فقال: «أبهٰذا أمرتم؟ أبهٰذا وكلتم؟ انظروا ما أمرتم به؛ فاتبعوه، وما نهيتم عنه؛ فاجتنبوه»[1].

١٢٧٧ ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب المتوثي[2]

البصري؛ صدوق، كثير الخطأ، وحديثه عن عطاء ضعيف من السادسة.

قال ابن حبان في «الثقات»: «مات سنة (١٢٥هـ)»، وقال أبو زرعة: «صالح»، وقال النسائي: «ليس بالقوي».

انظر: «التقريب» (ص ٢٥٢)، و«الخلاصة» (٣٧٨)، و«التهذيب».

(١) حسن.

رواه أحمد في «مسنده» عن حماد. . . به (ج ٢، ص ١٩٦، ١٧٨)، وابن ماجه في القدر عن أبي معاوية عن داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب (ج ١، ص ٣٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» عن حماد. . . به في سياق ما روى عن النبي ﷺ في النهي عن الكلام في القدر والجدال فيه والأمر بالإمساك عنه (ج ٢، ص ٦٠٦)، والبغوي في «شرح السنة» (حديث رقم ١٢١) عن أنس بن عياض عن أبي حازم عن عمرو بن شعيب.

والحديث؛ حسن الألباني إسناده في «تخريج المشكاة» (ص ٣٦)، وصححه أحمد شاكر في شرحه على «المسند»، وله عدة شواهد في «مسند أحمد» عن طريق أبي معاوية (حديث رقم ٦٦٦٨)، وعن طريق أنس بن عياض عن أبي حازم (حديث رقم ٦٧٠٢)، وقال أحمد شاكر في كل منهما «إسناده صحيح»، وطريق أنس بن عياض صححها كذٰلك الألباني في حاشية «شرح الطحاوية»؛ فقال: «صحيح»، وأخرجه البغوي أيضاً في «شرح السنة» (رقم ١٢١)، طبع المكتب الإسلامي، ورجاله ثقات على خلاف معروف في عمر بن شعيب. «تخريج الطحاوية» (ص ٢١٨).

(٢) (متوث)؛ بالفتح ثم التشديد، والضم، وسكون الواو، وآخره ثاء مثلثة: قلعة حصينة بين الأهواز وواسط، قد نسب إليها جماعة من أهل العلم والحديث.

قال أبو الفرج الأصبهاني: «متوث مدينة بين سوق الأهواز وبين قرقوب، اجتزت بها سنة (٣٢٧هـ)»، ونسب المحدثون إليها جماعة؛ منهم محمد بن عبد الله بن زياد بن عباد القطان المتوثي والد أبي سهل. «معجم البلدان» لياقوت (٥ / ٥٣).

بالبصـرة؛ قال: حدثنـا أبـو داود السجستـاني؛ قال: حدثنـا أحمد بن سعيد الهمداني[1]؛ قال: أنبأ ابن وهب؛ قال: أخبرني عبد الرحمٰن بن سلمان عن عقيل عن عكـرمـة عن ابن عبـاس؛ قال: «خرج النبي ﷺ يوماً؛ فسمع ناساً يتذاكرون القدر، فقال: «إنكم قد أخذتم في شعبتين[2] بعيدتي الغور، فيهما هلك أهل الكتاب». . . وذكر الحديث»[3].

١٢٧٨ ـ حدثنا أبو علي محمد بن يوسف؛ قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن خلف؛ قال: حدثنا حجاج؛ قال: حدثنا حماد عن حبيب وحميد أن مسلم بن يسار سئل عن القدر؛ فقال: «واديان عميقان لا يدرك غورهما، قف عند أدناه

---

(١) قال الخـزرجي في «الخـلاصـة»: «أحمـد بن سعيد بن بشـر الهمداني، أبو جعفر المصري، عن: ابن وهب، والشافعي، وبشر بن بكر، وإسحاق بن الفرات، وجماعة. وعنه: أبو داود، وآخرون».

قال في «التقريب»: «صدوق من الحادية عشر، مات سنة ثلاث وخمسين» (١ / ٥١).

والهمـداني نسبـة إلى همـدان بسكون الميم، وفتح الدال المعجمة: اسم للقبيلة، وأما الهمذاني بفتح الميم والذال المعجمة: نسبة إلى همذان اسم للبلد؛ كما بينه السيوطي في «ألفيته» في (باب المؤتلف والمختلف، ص.٢٦٩) بتحقيق أحمد شاكر.

(٢) (الشعب)؛ بكسر الشين: الطريق بين الجبلين، وميل الماء في بطن الأرض، أو ما انفرج بين الجبلين؛ كما في «القاموس» (٢ / ٧١٦ ـ ٧١٧).

(٣) رواه اللالكائي عن موهب بن يزيد عن ابن وهب. . . به (٢ / ٥٨٧)، ورواه الطبراني مطولاً بمعناه عن أبي الدرداء، وواثلة بن الأسقع، وأبي أمامة، وأنس بن مالك؛ كما في «مجمع الزوائد» (٧ / ٢٠١)، وأخرجه ابن جرير من طريق ابن عباس مطولاً؛ كما في «منتخب كنز العمال» (١ / ٨١) بهامش «مسند الإمام أحمد».

وسيعيد المؤلف رواية هٰذا الحديث في الباب الخامس بهٰذا الإسناد وبإسناد آخر مطولاً، صححه الترمذي، وصحح إسناده الألباني.

انظر حديث (رقم ٥٤، ورقم ٥٥).

واعمل عمل رجل يعلم أنه يجزى بعمله، وتوكل توكل رجل يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب(١) الله له».

١٢٧٩ - حدثنا أبو محمد الحسن بن علي بن زيد؛ قال: حدثنا أبو حفص عمرو بن علي؛ قال: حدثنا يحيى بن عثمان القرشي؛ قال: حدثنا يحيى ابن عبد الله بن أبي مليكة عن أبيه عن عائشة؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من تكلم في القدر؛ سئل عنه، ومن لم يتكلم فيه؛ لم يسئل عنه»(٢).

١٢٨٠ - حدثنا النيسابوري؛ قال: حدثنا حماد بن الحسن بن عنبسة

---

(١) في (م): «إلا ما كتبه الله».

لم أقف على من خرجه، ولكن؛ مرَّ ما يؤيد معناه في الحديث المتقدم (برقم ١٢٧٧).

(٢) ضعيف، فيه يحيى بن عثمان القرشي أبو سهل التيمي، تكلم فيه ابن حبان، فقال: «منكر الحديث جداً، يروي أشياء مقلوبة مناكير لا يتابع عليها، روى عن يحيى بن أبي مليكة عن أبيه عن عائشة مرفوعاً؛ قال: من تكلم في القدر؛ يسأل عنه يوم القيامة، ومن لم يتكلم؛ لم يسأل عنه يوم القيامة».

قال أبو حاتم: «شيخ»، وقال البخاري وابن معين: «منكر الحديث»، وقال النسائي: «ليس بثقة». «ميزان الاعتدال» (ج ٤، ص ٣٩٥).

والحديث؛ رواه ابن ماجه بإسنادين، أحدهما عن مالك بن إسماعيل، والثاني عن عبد الملك بن سنان، كلاهما عن يحيى بن عثمان الفرش... به في (القدر، ج ١، ص ٣٣)، واللالكائي بسند آخر عن أبي هريرة بلفظ أطول في (باب ما روي عن النبي ﷺ في النهي عن الكلام في القدر والجدال فيه، والأمر بالإمساك عنه، ج ٢، ص ٦٠٧).

والحديث؛ ضعفه الألباني في «تخريج المشكاة» (ج ١، ص ٤٠)، و«ضعيف الجامع الصغير» (ج ٥، ص ١٨٦)؛ كما ضعف في التعليق على ابن ماجه؛ فقال في «الزوائد»: «إسناده ضعيف» (ج ١، ص ٣٣)، ورواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة (ج ١، ص ١٤٨)، والآجري في «الشريعة» عن يحيى بن عبد الله بن أبي مليكة... به (ص ٢٣٥).

الوراق؛ قال: حدثنا حماد بن مسعدة؛ قال: حدثني زياد[1] أبو عمرو؛ قال: حدثني محمد بن إبراهيم القرشي عن أبيه؛ قال: «كنت جالساً عند ابن عمر فسئل عن القدر؛ فقال: «شيء أراد الله ألا يطلعكم عليه؛ فلا تريدوا من الله ما أبى عليكم»»[2].

١٢٨١ ـ حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عبد الله بن شهاب؛ قال: أنبأ عبد الله بن أحمد بن حنبل؛ قال: حدثني أبي؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا جعفر (يعني: ابن برقان)[3] عن ميمون بن مهران؛ قال: «ثلاث أرفضوهن: ما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، والنجوم، والنظر في القدر»[4].

١٢٨٢ ـ حدثنا ابن أبي حازم الكوفي؛ قال: «سمعت أبا محمد الإسكاف يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: من أحب أن يفرح بالله ويتمتع بعبادة الله؛ فلا يسألن[5] عن سر الله (يعني: القدر)».

قال الشيخ رضي الله عنه: فإن قال قائل: قد رويت هٰذه الأحاديث في الإمساك عن الكلام في القدر والنظر فيه، ومع هٰذا؛ فقد روى عن رسول[6] الله

---

(١) هٰكذا في (١)، وفي «الشريعة» للآجري (ص ٢٣٥): «حدثني ابن زياد أبو عمرو».

(٢) رواه الآجري في «الشريعة» عن حماد بن مسعدة... به (ص ٢٣٥).

(٣) برقان؛ بضم الباء وكسرها: محدث كلابي؛ كما في «القاموس» (ج ١، ص ٤٥٥).
وفي «التقريب» جعفر بن برقان بضم الموحدة، وسكون الراء، بعدها قاف: الكلابي أبو عبد الله الرقي؛ صدوق، يهم في حديث الزهري (ص ١٢٩، ج ١).

(٤) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» بسند آخر عن ابن عباس بلفظ قريب (٢ / ٦١٢).

(٥) في (م): «فلا يسأل بدون نون التوكيد».

(٦) في (م): «عن النبي ﷺ».

ﷺ وأصحابه وعن جماعة من التابعين وفقهاء المسلمين أنهم تكلموا فيه، وفسروا آيات من القرآن يدل ظاهرها وتفسيرها على العلم بالقدر، وقد رأينا جماعة من العلماء ألفوا فيه كتباً وصنفوه أبواباً.

ورووا أيضاً بأن النبي ﷺ قال: «تعلموا من القدر ما لا تضلون»[1]، وهٰذا مخالف لقوله: «إذا ذكر القدر؛ فأمسكوا»؛ فإني أرجع إليه بجواب ما سأل عنه من ذٰلك بأن أقول له: اعلم رحمك الله أن كلا[2] الوجهين صحيحان، وكلا الأمرين واجب القبول لهما والعمل بهما، وذٰلك أن القدر على وجهين، وأمر النجوم على وجهين، وأمر الصحابة على وجهين:

فأما أمر النجوم:

فأحدهما واجب علمه والعمل به، فأما ما يجب علمه والعمل به؛ فهو أن يتعلم من النجوم ما يهتدي به في ظلمات البر والبحر، ويعرف به القبلة والصلاة والطرقات، فبهٰذا العلم من النجوم؛ نطق الكتاب ومضت السنة.

وأما ما لا يجوز النظر فيه والتصديق به، ويجب علينا الإمساك عنه من علم النجوم؛ فهو أن لا يحكم للنجوم بفعل، ولا يقضي لها بحدوث أمره كما يدعي الجاهلون من علم الغيوب بعلم النجوم، ولا قوة إلا بالله.

وكذٰلك أمر الصحابة رحمة الله عليهم[3]؛ فأمرهم على وجهين:

---

(١) من باب الحذف والإيصال؛ أي: ما لا تضلون به.

(٢) في (١) وفي (م): «إن كلى الوجهين صحيحان وكلى الأمرين وهو خطأ، والصواب أن كلا الوجهين صحيحان وكلا الأمرين، وذٰلك لأن «كلا» إذا أضيفت إلى اسم ظاهر؛ كان في الرفع والنصب والجر على حالة واحدة، فتقول: جاءني كلا الرجلين، ورأيت كلا الرجلين، ومررت بكلا الرجلين؛ كما في «المختار» وغيره من مراجع اللغة العربية.

(٣) والأنسب أن يقول: رضوان الله عليهم؛ كما هو المعروف في حق الصحابة رضي الله عنهم.

أحدهما: فرضي علينا علمه والعمل به.

والآخر: واجب علينا الإمساك عنه وترك المسألة والبحث والتنقير عنه[1]:

فأما الواجب علينا عمله والعمل به؛ فهو ما أنزله الله في كتابه من وصفهم، وما ذكره من عظيم أقدارهم، وعلو شرفهم، ومحل رتبهم، وما أمرنا به[2] من الاتباع لهم بإحسان، مع الاستغفار لهم، وعلم ما جاءت به السنة من فضائلهم ومناقبهم، وعلم ما يجب علينا حبهم لأجله من فضلهم وعلمهم، ونشر ذٰلك عنهم؛ لتنحاش القلوب إلى طاعتهم، وتتألف على محبتهم؛ فهٰذا كله واجب علينا علمه والعمل به، ومن كمال ديننا طلبه.

وأما ما يجب علينا تركه، وفرض علينا الإمساك عنه، وحرام علينا الفحص والتنقير عنه؛ هو النظر فيما شجر بينهم، والخلق الذي كان جرى منهم لأنه أمر مشتبه، ونرجيء الشبهة إلى الله، ولا تميل مع بعضهم علي بعض، ولا نظلم أحداً منهم، ولا نخرج أحداً منهم من الإيمان، ولا نجعل بعضهم على بعض حجة في سب بعضهم لبعض، ولا نسب أحداً منهم لسبه صاحبه، ولا نقتدي بأحد منهم في شيء جرى منه على صاحبه، ونشهد أنهم كلهم على هدى وتقى وخالص إيمان؛ لأنا على يقين ـ من نص التنزيل وقول الرسول ـ أنهم أفضل الخلق وخيره بعد نبينا محمد ﷺ، ولأن أحداً ممن أتى بعدهم، ولو جاء بأعمال الثقلين الإنس والجن من أعمال البر، ولو لقي الله تعالى ولا ذنب له ولا خطيئة عليه؛ لما بلغ ذٰلك أصغر صغيرة من حسنات أدناهم، وما فيهم دني، ولا شيء

---

(١) في «المنجد»: «نقر الطائر في الموضع سهله ليبيض فيه والطائر الحب بمعنى نقره، وشدد للمبالغة والشيء وعن الشيء بحث عنه» (ص ٨٣٠).

في «المصباح المنير»: «نقرت الخشبة نقراً؛ حفرتها، ومنه قيل: نقرت عن الأمر إذا بحثت عنه» (٢ / ٢٩٢).

(٢) في (م): كلمة «به» ساقطة.

من حسناتهم صغير، والحمد لله.

وأما القدر؛ فعلى وجهين:

أحدهما: فرض علينا علمه، ومعرفته، والإيمان به، والتصديق بجميعه.

والآخر: فحرام علينا التفكر[1] فيه، والمسألة عنه، والمناظرة عليه، والكلام لأهله، والخصومة به.

فأما الواجب علينا علمه والتصديق به والإقرار بجميعه؛ أن نعلم أن الخير والشر من الله، وأن الطاعة والمعصية بقضاء الله وقدره، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً، علمهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، ووفقهم لأعمال[2] صالحة رضيها[3] أمرهم بها؛ فوفقهم لها، وأعانهم عليها، وشكرهم بها، وأثابهم الجنة عليها؛ تفضلاً منه ورحمة، وخلق النار وخلق لها أهلاً؛ أحصاهم عدداً، وعلم ما يكون منهم، وقدر عليهم ما كرهه لهم، خذلهم بها وعذبهم لأجلها غير ظالم لهم ولا هم معذورون فيما حكم عليهم به، فكل هٰذا وأشباهه من علم القدر الذي لزم الخلق علمه والإيمان به والتسليم لأمر الله وحكمه وقضائه وقدره؛ فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وسيأتي من علم القدر وما يجب على المسلمين علمه والمعرفة به، وما لا يسعهم جهله مشروحاً مفصلاً في أبوابه على ما جاء به نص التنزيل ومضت به سنة الرسول ﷺ، وبالله نستعين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) في (م): «التفكير».

(٢) في (م): «بأعمال».

(٣) ساقطة من (م).

وأما الوجه الآخر من[1] علم القدر الذي لا يحل النظر فيه ولا الفكر به، وحرام على الخلق القول فيه كيف ولم وما السبب مما[2]؛ هو سر الله المخزون وعلمه المكتوم الذي لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلاً، وحجب العقول عن تخيل كنه علمه، والناظر فيه كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد فيه نظراً؛ ازداد فيه تحيراً ومن العلم بكيفيتها بعداً، فهو التفكر في الرب عز وجل كيف فعل كذا وكذا، ثم يقيس فعل الله عز وجل بفعل عباده، فما رآه من فعل العباد جوراً؛ يظن أن ما كان من فعل مثله جور، فينفي ذٰلك الفعل عن الله؛ فيصير بين أمرين؛ إما أن يعترف لله عز وجل بقضائه وقدره ويرى أنه جور من فعله، وأما أن يرى أنه ممن ينزه الله عن الجور؛ فينفي عنه قضاؤه وقدره، فيجعل مع الله آلهة كثيرة يحولون بين الله وبين مشيئته، فبالفكر في هٰذا وشبهه والتفكر فيه والبحث والتنقير عنه؛ هلكت القدرية حتى صاروا زنادقة وملحدة[3] ومجوساً، حيث قاسوا فعل الرب بأفعال العباد، وشبهوا الله بخلقه ولم يعوا عنه ما خاطبهم به، حيث يقول: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُم يُسْأَلُونَ﴾[4].

فمما لا يحل لأحد أن يتفكر فيه ولا يسأل عنه، ولا يقول فيه لم لا ينبغي لأحد أن يتفكر، لم خلق الله إبليس وهو قد علم قبل أن يخلقه أنه سيعصيه، وأن سيكون عدوّاً له ولأوليائه؟ ولو كان هٰذا من فعل المخلوقين إذا علم أحدهم أنه إذا اشترى عبداً يكون عدوّاً له ولأوليائه، ومضاداً له في محابه، وعاصياً له في أمره، ولو فعل ذٰلك؛ لقال أولياؤه وأحباؤه: إن هٰذا خطأ وضعف رأي وفساد نظام الحكمة، فمن تفكر في نفسه وظن أن الله لم يصب في فعله حيث خلق إبليس؛ فقد كفر، ومن قال أن الله لم يعلم قبل أن يخلق إبليس أنه يخلق إبليس عدوّاً

(١) ساقطة من (م).

(٢) في (م): «ما هو سر الله».

(٣) في (م): «زنادقة ملحدة».

(٤) الأنبياء: ٢٣.

له ولأوليائه؛ فقد كفر، ومن قال أن الله لم يخلق إبليس أصلاً؛ فقد كفر.

وهٰذا قول الزنادقة الملحدة؛ فالذي يلزم المسلمين من هٰذا أن يعلموا أن الله خلق إبليس وقد علم منه جميع أفعاله ولذٰلك خلقه، ويعملوا أن فعل الله ذٰلك عدل صواب، وفي جميع أفعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ومما يجب على العباد علمه وحرام عليهم أن يتفكروا فيه ويعارضوه بآرائهم ويقيسوه بعقولهم وأفعالهم؛ لا ينبغي لأحد أن يتفكر لِمَ جعل الله لإبليس سلطاناً على عباده وهو عدوه وعدوهم مخالف له في دينه، ثم جعل له الخلد والبقاء في الدنيا إلى النفخة الأولى، وهو قادر على أن لا يجعل له ذٰلك، لو شاء أن يهلكه من ساعته؛ لفعل[1]، ولو كان هٰذا من فعل العباد؛ لكان خطأً، وكان يجب في أحكام العدل من العباد أن إذا كان لأحدهم عبد وهو عدو له ولأحبائه ومخالف لدينه ومضاد له في محبته أن يهلكه من ساعته، وإذا علم أنه يضل عبيده ويفسدهم؛ ففي حكم العقل والعدل من العبادات أن لا يسلطه على شيء من الأشياء، ولا يجعل له سلطاناً ولا مقدرة، ولو سلطه عليهم؛ كان ذٰلك من فعله عند الباقين من عباده ظلماً وجوراً حيث سلط عليهم من يفسدهم عليه ويضاده فيهم وهو عالم بذٰلك من فعله، وقادر على منعه وهلكته؛ فممن تفكر في نفسه فظن أن الله لم يعدل حين جعل لإبليس الخلد والبقاء وسلطه على بني آدم؛ فقد كفر، ومن زعم أن الله عز وجل لم يقدر أن يهلك إبليس من ساعته حين أغوى عباده؛ فقد كفر، وهٰذا من الباب الذي يرد علمه إلى الله ولا يقال فيه لم ولا كيف، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

ومن ذٰلك نوع آخر أن الله عز وجل جعل لإبليس وذريته أن يأتوا بني آدم في جميع أطراف الأرض، يأتونهم من حيث لا يرونهم لقوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُم﴾، وجعلهم يجرون من بني آدم مجرى

---

(١) في (م): «فعل بدون حرف اللام».

الدم، ولم يجعل للرسل من بني آدم من السلطان مثل ما جعل لهم، ولو كان هٰذا في أحكام العباد؛ لكان من العدل بينهم أن يكون مع إبليس وذريته علامة كعلامة السلطان، أو يكون عليهم أجراس[1] يعرفونهم بها، ويسمعون حسهم فيأخذون حذرهم منهم، حتى إذا جاؤوا من بعيد؛ علم العباد أنهم هم الذين يضلون الناس؛ فيأخذون حذرهم، أو يجعل[2] للرسل أن يُزَيِّنُوا ويوصلوا إلى صدور الناس من طاعة الله كما يوسوس الشيطان ذريته ويزينوا لهم المعصية، فلو فعل ذٰلك؛ كان عند عبيده الباقين ظلماً وجوراً لأن العباد لا يعلمون الغيب فيأخذوا حذرهم من إبليس، والرسل لا يستطيعون أن يزينوا في قلوب العباد طاعة الله ومعرفته كما يزين الشيطان في قلوب العباد معصيته بالوسوسة، فمن قال أن الله لم يجعل لإبليس وذريته سلطاناً أن يأتوا على[3] جميع بني آدم من حيث لا يرونهم ويوسوس في صدورهم المعاصي؛ فقد كفر، ومن قال أن الله لم يعدل حيث جعل لإبليس وذريته هٰذا السلطان على بني آدم؛ فقد كفر، وهٰذا أيضاً من الباب الذي يرد علمه مع الإيمان به والتسليم فيه إليه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

ومن ذٰلك أيضاً لا ينبغي لأحد أن يتفكر لم سلط الله الكفار على الرسل في الدنيا، وسلط الكافرين على المؤمنين حتى قتلوهم وعذبوهم وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس، وإنما سلط الله أعداءه على أوليائه ليكرم أولياءه في الآخرة بهوان أعدائه، وهو قادر على أن يمنع الكافرين من المؤمنين ويهلك الكفار من ساعته، ولو كان هٰذا من أفعال بعض ملوك العباد؛ كان جوراً عند أهل مملكته حيث سلط أعداءه على أنصاره وأوليائه وهو قادر على هلكتهم من

---

(١) والأجراس: جمع جرس؛ مثل سبب وأسباب، وهو الذي يعلق عنق البعير؛ كما في «المصباح». و«المختار» في اللغة.

(٢) في (م): «ويجعل للرسل أن يزينوا».

(٣) ساقطة من (م).

وقتهم، فمن تفكر في نفسه فظن أن هٰذا جور من فعل الله حيث سلط الكفار على المؤمنين؛ فقد كفر، ومن قال أن الله لم يسلطهم وإنما الكفار قتلوا أنبياء الله وأولياءه بقوتهم واستطاعتهم، وأن الله لم يقدر أن ينصر أنبياءه وأولياءه حتى غلبوه وحالوا بينه وبين من أحب نصره وتمكينه؛ فمن ظن هٰذا؛ فقد كفر، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، لا يشبه عدله عدل المخلوقين؛ كما أن شيئاً من الخلق لا يشبهه.

وخصلة أخرى أنه(١) لا ينبغي لأحد أن يتفكر لم مكن الله لأعدائه في البلاد، وأعانهم بقوة الأبدان ورشاقة الأجسام، وأيدهم بالسلاح والدواب، ثم أمر أنبياءه وأولياءه أن يعدوا لهم السلاح والقوة، وأن يحاربوهم ويقاتلوهم، ووعدهم أن يمدهم بالملائكة، ثم قال هو لنفسه: إني معكم على قتال عدوكم، وهو قادر على أن يهلك أعداءه من وقته بأي أنواع الهلاك شاء، من غير حرب ولا قتال، وبغير أنصار ولا سلاح، فلو كان هٰذا من أفعال العباد وأحكامهم؛ لكان جوراً وفساداً أن يقوي أعداءه على أوليائه، ويمدهم بالعدة، ويؤيدهم بالخيل والسلاح والقوة، ثم يندب أولياءه لمحاربتهم، فمن قال أن العدة والقوة والسلاح الذي في أعداء الله ليس هو من فعل الله بهم وعطية الله لهم؛ فقد كفر، ومن قال أن ذٰلك من فعل الله بهم وعطيته لهم وهو جور من فعله؛ فقد كفر، ومن قال أن الله أعطاهم وقواهم ولم يقدر أن يسلبهم إياه ويهلكهم من ساعته؛ فقد كفر، وهٰذا مما يجب الإيمان به والتسليم له وأن الله خلق أعداءه وقواهم وسلطهم، ولو شاء أن يهلكهم؛ لفعل، والله أعدل(٢) في ذٰلك كله، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

ومما لا ينبغي لأحد أن يتفكر فيه؛ لا ينبغي لأحد أن يضمر في نفسه

---

(١) كلمة «أنه» ساقطة من (م).

(٢) في (م): «والله عدل».

فيقول: لم خلق الله الحيات والعقارب والهوام والسباع التي تضر بني آدم ولا تنفعهم[1] وسلطها على بني آدم، ولو شاء أن يخلقها ما خلقها، ولو كان هٰذا من فعل ملوك العباد؛ لقال أهل مملكته: هٰذا غش لنا ومضرة علينا بغير حق حيث جعل معنا ما يضر بنا ولا ننتفع نحن ولا هو به، فمن تفكر في نفسه فظن أن الله لم يعدل حيث خلق الحيات والعقارب والسباع وكلما يؤذي بني آدم ولا ينفعهم؛ فقد كفر، ومن قال أن لهٰذه الأشياء خالقاً غير الله؛ فقد كفر، وهٰذا قول الزنادقة والمجوس وطائفة من القدرية، فهٰذا مما يجب على المسلمين الإيمان به، وأن يعلم أن الله خلق هٰذه الأشياء كلها وعلم أنها تضر بعباده وتؤذيهم وهو عدل من[2] فعله وهو أعلم بما خلق، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

وخصلة أخرى لا ينبغي لأحد أن يتفكر ويضمر في نفسه؛ لم ترك الله العباد حتى يجحدوه ويشركوا به ويعصوه، ثم يعذبهم على ذٰلك وهو قادر على هدايتهم، وهو قادر أن يمنع قلوبهم أن تدخلها شهوة شيء من معصيته أو محبة شيء من مخالفته، وهو القادر على أن يبغض إلى الخلق أجمعين معصيته ومخالفته، وقادر على أن يهلك من هم بمعصيته مع همته، وهو قادر على أن يجعلهم كلهم على أفضل عمل عبد من أوليائه؛ فلم لم يفعل[3] ذٰلك؟ فمن تفكر في نفسه فظن أن الله لم يعدل حيث لم يمنع المشركين من أن يشركوا به[4]، ولم يمنع القلوب أن يدخلهم حب شيء من معصيته، ولم يهد العباد كلهم؛ فقد كفر، ومن قال أن الله أراد هداية الخلق وطاعتهم له وأراد أن لا يعصيه أحد ولا يكفر أحد فلم يقدر؛ فقد كفر، ومن قال أن الله قدر على هداية

---

(١) في (١): «ولا ينفعهم»، والصواب: ولا تنفعهم بالتاء؛ كما هو مقتضى السياق.

(٢) هكذا في كل من (م) و(١) وهو عدل من فعله، والأولى أن يقول: وهو عدل في فعله، اللهم إلا إذا قلنا أن من هنا بمعنى في لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض.

(٣) في (م): «فلم لا يفعل ذٰلك».

(٤) ساقطة من (م).

الخلق وعصمتهم من معصيته ومخالفته، فلم يفعل ذلك وهو جور من[1] فعله؛ فقد كفر، وهذا مما يجب الإيمان به والتسليم له، وترك الخوض فيه والمسألة عنه، وهو أن يعلم العبد أن الله عز وجل خلق الكفار وأمرهم بالإيمان وحال بينهم وبين الإيمان، وخلق العصاة وأمرهم بالطاعة وجعل حب المعاصي في قلوبهم؛ فعصوه بنعمته، وخالفوه بما أعطاهم من قوته، وحال بينهم وبين ما أمرهم به، وهو يعذبهم على ذلك، وهم مع ذلك ملومون غير معذورين، والله عز وجل عدل في فعله ذلك بهم، وغير ظالم لهم، ولله الحجة على الناس جميعاً، له الخلق والأمر تبارك وتعالى، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فهذا من علم القدر الذي لا يحل البحث عنه ولا الكلام فيه ولا التفكر فيه، وبكل ذلك مما قد ذكرته وما أنا ذاكره؛ نزل القرآن، وجاءت السنة، وأجمع المسلمون من أهل التوحيد عليه، لا يرد ذلك ولا ينكره إلا قدري خبيث مشوم[2] قد زاغ قلبه وألحد في دين الله وكفر بالله، وسأذكر الآيات في ذلك من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

●●●●●

---

(١) في (م): «وهو جور من حكمه وفعله».

(٢) في المنجد: «المشوم والمشؤوم الجمع مشائيم، ما يجر الشؤم، والعامة تقول: يشوم».

الباب الأول

في ذكر ما أخبرنا الله تعالى في كتابه أنه ختم على قلوب من أراد من عباده فهم لا يهتدون إلى الحق ولا يسمعونه ولا يبصرونه وأنه طبع على قلوبهم

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِم أَأَنْذَرْتَهُم أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُم لَا يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَعَلَى سَمْعِهِم وعَلَى أَبْصَارِهِم غِشَاوَةٌ وَلَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِم فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾(٢).

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُم لَهُمْ فِي الدُّنيا خِزْيٌ وَلَهُم فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٣).

وقال عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً(٤) أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً(٥) وإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾(٦).

---

(١) البقرة: ٦ ـ ٧.

(٢) النساء: ١٥٥.

(٣) المائدة: ٤١.

(٤) و(الأكنة): الأغطية، والواحد كنان؛ كما في «مختار الصحاح».

(٥) و(الوقر): بالفتح: الثقل في الأذن. «مختار الصحاح».

(٦) الأنعام: ٢٥.

وقال عز وجل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَه يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ... ﴾ الآية[1].

وقال عز وجل: ﴿رَضُوا أَنْ يَكُونوا مَعَ الخَوالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُم لاَ يَعْلَمُونَ﴾[2].

وقال أيضاً: ﴿وطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِم فَهُم لاَ يَفْقَهُونَ﴾[3].

وقال عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِم وأَبْصَارِهِم وأُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾[4].

وقال عز وجل: ﴿وإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً[5]. وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِم وَقْراً وإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِم نُفُوراً﴾[6].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِم وَقْراً وإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾[7].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ولَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ. فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ. كذلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ. لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) التوبة: ٩٣.

(٣) التوبة: ٨٧.

(٤) النحل: ١٠٨.

(٥) الإسراء: ٤٥.

(٦) الإسراء: ٤٦.

(٧) الكهف: ٥٧.

العَذَابَ الأليمَ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُقْمَحُونَ . وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُم فَهُم لَا يُبْصِرُونَ . وَسَوَاءٌ عَلَيْهِم أَأَنْذَرْتَهُم أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُم لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَن اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وقَلْبِهِ وجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[3].

وقال عز وجل: ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾[4].

وقال عز وجل: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُم آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِم فَهُم لَا يَفْقَهُونَ﴾[5].

فهٰذا ونحوه من القرآن مما يستدل به العقلاء من عباد الله المؤمنين على أن الله عز وجل خلق خلقاً من عباده أراد بهم الشقاء؛ فكتب ذٰلك عليهم في أم الكتاب عنده، فختم على قلوبهم، فحال بينهم وبين الحق أن يقبلوه، وغشا أبصارهم عنه؛ فلم يبصروه، وجعل في آذانهم الوقر؛ فلم يسمعوه، وجعل

---

(١) الشعراء: ٢٠١.

(٢) يس: ٧ ـ ١٠.

(٣) الجاثية: ٢٣.

(٤) محمد: ١٦.

(٥) المنافقون: ٣.

قلوبهم ضيقة حرجة[1] وجعل عليها أكنة ومنعها الطهارة؛ فصارت رجسة[2] لأنه خلقهم للنار، فحال بينهم وبين قبول[3] ما ينجيهم منها؛ فإنه قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ولَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُم آذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِها أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[5].

فهٰذا وما أشبهه فرض على المؤمنين الإيمان به، وأن يردوا علم ذٰلك ومراد الله فيه إلى الله عز وجل، ويحمل جهل العلم بذٰلك المؤمن على نفسه ولا ينبغي للمخلوقين أن يتفكروا فيه ولا يقولوا لم فعل الله ذٰلك ولا كيف صنع ذٰلك، وفرض على المؤمن أن يعلم أن ذٰلك عدل من فعل الله؛ لأن الخلق كله لله عز وجل، والملك ملكه، والعبيد عبيده، يفعل بهم ما يشاء، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ويغني من يشاء ويفقر من يشاء، ويسعد من يشاء ويحمده على السعادة، ويشقي من يشاء ويذمه على الشقاء، وهو عدل في ذٰلك، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، واختص برحمته من يشاء من عباده؛ فشرح صدورهم للإيمان به وحببه إليهم وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وسماهم

---

(١) في «المختار»: «مكان حرج؛ بكسر الراء وفتحها؛ أي: ضيق كثير الشجر، وقرأ بهما قوله تعالى: ﴿ضَيِّقاً حرجاً﴾، وحرج صدره من باب طرب؛ أي: ضاق».

(٢) يقال: رجس يرجس؛ كفرَح يفرح، ورجس يرجس؛ ككرم يكرم، رجاسة عمل عملاً قبيحاً؛ فهو رجس.

انظر: «القاموس»، و«المنجد» في اللغة.

(٣) كلمة قبول ساقطة من (م).

(٤) الأعراف: ١٧٩، تمام الآية: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾.

(٥) هود: ١١٩.

راشـدين، وأثنى عليهم بإحسـانه إليهم؛ لأنه خصهم بالنعمة قبل أن يعرفوه، وبدأهم بالهداية قبل أن يسألوه، ودلهم بنفسه من نفسه على نفسه رحمة منه لهم وعناية بهم من غير أن يستحقوه، وصنع[1] بهم ما وجب عليهم شكره؛ فشكرهم هو[2] على إحسانه إليهم قبل أن يشكروه، وابتاع منهم ملكه الذي هو له وهم لا يملكونه[3]، وجعل ثمن ذلك ما لا يحسنون أن يطلبوه؛ فقال: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُم وَأَمْوالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾[4]، ثم قال: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذي بَايَعْتُمْ بِهِ وذٰلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾؛ فقالوا حين قبضوا ثمن ابتياعه منهم ووصلوا إلى ربح تجارتهم: ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذي هَدانا لِهٰذا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ﴾[5].

فيسأل الجاهل، الملحد، المعترض على الله في أمره والمنازع له في ملكه، الذي يقول: كيف قضى الله عليَّ المعصية؟ ولم يعذبني عليها؟ وكيف حال بين قوم وبين الإيمان؟ وكيف يصليهم بذلك النيران؟ أن يعترض عليه في بدايته بالهداية لأنبيائه وأصفيائه وأوليائه، فيقول: لم خلق الله آدم بيده وأسجد له ملائكته؟ ولم اتخذ إبراهيم خليلاً وأتاه رشده من قبل؟ ولم كلم الله موسى؟ ولم خلق عيسى من غير أب وجعله آية للعالمين وخصه بإحياء الأموات وجعل فيه الآيات المعجزات من إبراء الأكمه والأبرص وأن يخلق من الطين طيراً؟

---

(١) هكذا في (م)، وفي (١): «ووضع بهم وهو غير واضح المعنى».

(٢) ساقطة من (م).

(٣) في (١) و(م): «وهم لا يملكوه بدون «نون الرفع»، وهو خطأ والصواب إثباتها؛ لأن نون الرفع في الأفعال الخمسة لا تحذف إلا لجازم أو ناصب، ولا يوجد شيء من ذلك هنا لأن «لا» هنا نافية وليست جازمة.

(٤) تمام الآية: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوراةِ والإِنْجِيلِ والقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا﴾ [التوبة: ١١١].

(٥) الأعراف: ٤٣، تمام الآية: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُوا الجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾.

تعالى الله عن اعتراض الملحدين علوّاً كبيراً.

لٰكن نقول أن لله المنة والشكر فيما هدى وأعطى، وهو الحكم العدل فيما منع وأضل وأشقى، فله الحمد والمنة على من تفضل عليه وهداه، وله الحجة البالغة على من أضله وأشقاه.

قال الله عز وجل: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُم أَنْ هَدَاكُم لِلإِيْمانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وقال أهل النار: ﴿رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنا وَكُنَّا قَوْماً ضالِّينَ﴾[2].

وقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[3].

فهٰذه طريقة من أحب الله هدايته[4] إن شاء الله، ومن استنقذه من حبائل الشياطين وخلصه من فخوخ[5] الأئمة المضلين.

●●●●●

---

(١) الحجرات: ١٧.

(٢) المؤمنون: ١٠٦.

(٣) الملك: ١٠.

(٤) هٰكذا في (م)، وفي (١)؛ «فهٰذه طريقة من أحب الله بخيره».

(٥) وفي «المصباح»: «(الفخ): آلة يصاد بها، والجمع فخاخ؛ مثل سهم وسهام»، وفي «المختار»: «(الفخوخ): جمع فخ وهو المصيدة، ويجمع على فخاخ بالكسر وفخوخ بالضم».

الباب الثاني

في ذكر ما أعلمنا الله تعالى في كتابه أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأنه لا يهتدي بالمرسلين والكتب والآيات والبراهين إلا من سبق في علم الله أنه يهديه

قال الله عز وجل في سورة النساء: ﴿فَمَا لَكُم فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ واللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾(١).

وفيها أيضاً: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذٰلِكَ لَا إِلَى هٰؤلَاءِ وَلَا إِلَى هٰؤلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾(٢).

وقال في سورة الأنعام: ﴿والَّذِينَ كَذَّبوا بآياتِنَا صُمٌّ بُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٣).

وفيها: ﴿قُلْ فَلِلهُ الحُجَّةُ البالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُم أَجْمَعِينَ﴾(٤).

وفيها: ﴿ونُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُم وأَبْصَارَهُم كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُم فِي طُغْيانِهِم يَعْمَهُونَ﴾(٥).

---

(١) النساء: ٨٨.

(٢) النساء: ١٤٣.

(٣) الأنعام: ٣٩.

(٤) الأنعام: ١٤٩.

(٥) الأنعام: ١١٠.

وفيها: ﴿ولَوْ أَنَّنا أَنْزَلْنا إِلَيْهِمُ المَلائِكَةَ وكَلَّمَهُمُ المَوْتى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ما كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ ولٰكِنَّ أَكْثَرَهُم يَجْهَلُونَ﴾(١).

وفيها: ﴿وإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُم فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُمْ عَلَى الهُدى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾(٢).

وقال في سورة الأعراف: ﴿ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُم فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٣).

وقال في سورة الرعد: ﴿ويَقُولُ الَّذينَ كَفَرُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾(٤).

وقال فيها: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٥)؛ قال: أنت المنذر والله الهادي(٦).

وقال فيها: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدى النَّاسَ

(١) الأنعام: ١١١.

(٢) الأنعام: ٣٥.

(٣) الأعراف: ١٨٦.

(٤) الرعد: ٢٧.

(٥) الرعد: ٧.

(٦) فسر معنى الآية جمع من الأئمة بالمعنى الذي فسر به ابن بطة من أن المراد بالمنذر الرسول ﷺ، وبالهادي هو الله تعالى.

وممن فسر الآية بهذا المعنى؛ ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك.

انظر: «تفسير الطبري» (ج ١٦، ص ٣٥٤ ـ ٥٥٤)، تحقيق محمد شاكر في تفسير سورة الرعد.

جَمِيعاً﴾[1].

وقال فيها: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُم وَصدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[2].

وقال في سورة إبراهيم: ﴿ومَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[3].

وقال في سورة النحل: ﴿وعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4].

وقال فيها: ﴿ولَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾[5].

﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُم فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ يضِلُّ وَمَا لَهُم مِنْ نَاصِرِينَ﴾[6].

وقال في بني إسرائيل: ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجدَ لَهُم أَوْلياءَ مِنْ دُونِهِ﴾[7].

---

(١) الرعد: ٣١، وتمامها: ﴿ولاَ يَزَالُ الَّذينَ كَفَرُوا تُصِيبهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحِلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِم حَتَّى يَأْتِي وَعْدُ اللهِ أَنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعادَ﴾.

(٢) الرعد: ٣٣.

(٣) إبراهيم: ٤، وتمام الآية: ﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

(٤) آية: ٩.

(٥) آية: ٣٦.

(٦) النحل: ٣٧.

(٧) الإسراء: ٩٧، وتمام الآية: ﴿وَنَحْشُرُهُم يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُم جَهَنَّم كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُم سَعِيراً﴾.

وقال في الكهف: ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾(١).

وقال في الحج: ﴿وكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آياتٍ بَيِّناتٍ وإنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾(٢).

وقال في سورة النور: ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾(٣).

ثم قال: ﴿ومَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾(٤).

وفيها أيضاً: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آياتٍ بَيِّنَاتٍ واللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٥).

وقال في القصص: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ﴾(٦).

وقال في الروم: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَا لَهُم مِنْ نَاصِرِينَ﴾(٧).

وقال في سجدة لقمان(٨): ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاها وَلٰكِنْ حَقَّ

---

(١) آية: ١٧.

(٢) آية: ١٦.

(٣) آية: ٣٥، وتمامها: ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ للنَّاسِ واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ﴾.

(٤) النور: ٤٠، صدرها: ﴿أَوْ كَظُلُماتٍ في بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاها ومَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ...﴾ الآية.

(٥) النور: ٤٦.

(٦) القصص: ٥٦.

(٧) الروم: ٢٩.

(٨) ولعل يريد المؤلف بهذا الكلام سورة السجدة التي تلي سورة لقمان، واحترز بذلك عن سورة فصلت التي من أسمائها «السجدة».

القَوْلُ مِنِّي لأمْلَأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1].

وقال في سورة الملائكة[2]: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسناً فإنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِم حَسراتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[3].

وقال في الزمر[4]: ﴿ذٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[5].

وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام في هٰذه السورة: ﴿ويُخَوِّفُونَكَ بالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾[6].

وقال حم المؤمن[7]: ﴿ويَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[8].

وقال في سورة المدثر: ﴿كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[9].

---

(١) ألم السجدة: ١٣.

(٢) والمراد بسورة الملائكة؛ سورة فاطر.

(٣) فاطر: ٨.

(٤) في (١)، و(م): «وقال فيها أيضاً»، وهو خطأ؛ لأن الآية ليست في سورة الملائكة، والصواب ما أثبتناه.

(٥) الزمر: ٢٣، وصدرها: ﴿الله نزَّل أحْسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرُّ منه جُلود الَّذين يخشون ربَّهم ثمَّ تلين جُلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك...﴾ الآية.

(٦) الزمر: ٣٦ ـ ٣٧، وصدر الآية: ﴿أليسَ الله بكافٍ عبدَه ويُخَوِّفونك...﴾ الآية.

(٧) والمراد بالمؤمن سورة غافر.

(٨) غافر: ٣٣.

(٩) المدثر: ٣١، صدر الآية: ﴿وما جعَلْنا أصْحابَ النَّارِ إلَّا ملائكةً وما جَعَلْنا عِدَّتَهم إلَّا =

قال الشيخ: ففي كل[1] هٰذه الآيات يعلم الله عز وجل عباده المؤمنين أنه هو الهادي المضل[2]، وأن الرسل لا يهتدي بها إلا من هداه[3] الله، ولا يأبى الهداية إلا من أضله الله[4]، ولو كان من اهتدى بالرسل والأنبياء مهتدياً بغير هدايته[5]؛ لكان كل من جاءهم المرسلون مهتدين لأن الرسل بعثوا رحمة للعالمين، ونصيحة لمن أطاعهم من الخليقة أجمعين، فلو كانت[6] الهداية إليهم[7]؛ لما ضل أحد جاؤوه.

أما سمعت ما أخبرنا مولانا الكريم من نصيحة نبينا ﷺ وحرصه على إيماننا حين يقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤوفٌ رَحِيمٌ﴾[8]، وبالذي[9] أخبرنا به عن خطاب نوح عليه السلام لقومه: ﴿ولاَ يَنْفَعُكُم نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيكُم هُوَ رَبُّكُم وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[10].

= فِتْنَةً لِلَّذينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذينَ أُوتوا الكِتابَ ويَزْدادَ الَّذينَ آمَنُوا إيماناً ولا يَرْتاب الَّذين أُوتوا الكِتابَ والمؤمِنُونَ وَلِيَقُول الَّذين فِي قُلُوبِهم مَرَضٌ والكَافِرُونَ مَاذا أَرادَ اللهُ بهٰذا مثلاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنودَ رَبِّكَ إِلَّا هُو وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرى لِلْبَشَرِ﴾.

(١) ساقطة من (م).

(٢) في (م): «والمضل بواو العطف».

(٣) في (م): «أهداه الله».

(٤) ساقطة من (م).

(٥) في (أ): «والأنبياء هديته»، والصواب ما أثبتناه.

(٦) في (١)، وفي (م): «فلو كان» بدون تاء التأنيث، والصواب إثباتها كما فعلنا؛ لأن الهداية مؤنثة.

(٧) في (م): «إلى المرسلين».

(٨) التوبة: ١٢٨.

(٩) في (م): «وقد أخبرنا مولانا أن نوحاً قال لقومه...» إلخ.

(١٠) هود: ٣٤.

هٰذا من أحكام الله وعدله الذي لا يجوز لأحد أن يتفكر فيه ولا يظن فيه بربه غير العدل، وأن يحمل ما جهله من ذٰلك على نفسه ولا يقول كيف بعث الله عز وجل نوحاً إلى قومه وأمره بنصيحتهم ودلالتهم على عبادته والإيمان به وبطاعته، والله يغويهم ويحول بينهم وبين قبول ما جاء به نوح إليهم عن ربه؛ حتى كذبوه وردوا ما جاء به، ولقد حرص نوح في[1] هداية الضال من ولده، ودعا الله أن ينجيه من أهله؛ فما أجيب، وعاتبه الله في ذٰلك بأغلظ العتاب، حين قال نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾[2]، فقال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[3].

وذٰلك أن ابن نوح كان ممن سبقت له من الله الشقوة، وكتب في ديوان الضلال الأشقياء، فما أغنت عنه نبوة أبيه ولا شفاعته فيه؛ فنحمد ربنا أن خصنا بعنايته، وابتدأنا بهدايته من غير شفاعة شافع ولا دعوة داع، وإياه نسأل أن يتم ما به ابتدأنا، وأن يمسكنا بعرى الدين الذي إليه هدانا، ولا ينزع منا صالحاً أعطانا.

● ● ● ● ●

---

(١) في (م): «على هداية الضال».

(٢) هود: ٤٥، وتمام الآية: ﴿وإنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وأنت أَحْكَمُ الحَاكِمينَ﴾.

(٣) هود: ٤٦.

الباب الثالث

في ذكر ما أخبرنا الله تبارك وتعالى أنه أرسل المرسلين إلى الناس يدعونهم إلى عبادة رب العالمين ثم أرسل الشياطين على الكافرين تحرضهم على تكذيب المرسلين، ومن أنكر ذلك فهو من الفرق الهالكة

قال الشيخ: وفرض على المسلمين[1] أن يؤمنوا ويصدقوا بأن علم الله عز وجل قد سبق ونفذ في خلقه قبل أن يخلقهم؛ كيف يخلقهم، وماذا هم عاملون، وإلى ماذا هم صائرون؛ فكتب ذلك في اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب، ويصدق ذلك قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّماءِ والأَرْضِ إِنَّ ذٰلِكَ فِي كِتابٍ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾[2].

يقول: أحصى ما هو كائن قبل أن يكون؛ فخلقهم على ذلك العلم السابق فيهم، ثم أرسل بعد العلم بهم والكتاب الرسل إلى بني آدم يدعونهم إلى توحيد الله وطاعته، وينهونهم عن الشرك بالله[3] ومعصيته، يدلك على تصديق ذلك قوله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[4].

فالرسل في الظاهر تدعوهم إلى الله وتأمرهم بعبادته وطاعته، ثم أرسل

---

(١) في (م): «أن يعملوا ويؤمنوا».

(٢) الحج: ٧٠.

(٣) في (م): «وعن معصيته».

(٤) الأنبياء: ٢٥.

الشياطين على الكافرين يدعونهم إلى الشرك والمقام على الكفر والمعاصي[١]، كل ذٰلك ليتم ما علم، ولا يكون إلا ما أمر[٢]؛ فسبحان من جعل هٰذا هٰكذا وحجب قلوب الخلق ومنعهم على مراده في ذٰلك وجعله سره المخزون وعلمه المكتوم[٣]! ويصدق ذٰلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُم أَزّاً﴾[٤][٥].

وقال تعالى: ﴿واتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلٰكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَما أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ ببَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المَرْءِ وزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّيْن بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُم ولاَ يَنْفَعُهُم﴾[٦].

أما ترى كيف أعلمنا أن السحر كفر، وأنه أنزله على[٧] هاروت وماروت وجعلهما فتنة ليكفر من كتبه كافراً بفتنتهما، وأن السحر الذي يعلمانه الناس كفر، وأنه لا يضر أحداً؛ إلا من قد أذن الله أن يضرَّه السحر، وذٰلك عدل منه

---

(١) في (م): «وكل ذٰلك».

(٢) هٰكذا في (١) وفي (م)، ولعل الصواب: «ولا يكون إلا ما أراد، وذٰلك لأن كل ما أراد الله لا بد من أن يكون بخلاف ما أمر الله به؛ فإنه يكون وقد لا يكون، اللهم إلا إذا كان المقصود بالأمر هنا الأمر التكويني لا التشريعي».

(٣) في (م): «علمه المكنون».

(٤) مريم: ٨٣.

(٥) جاء في «مختار الصحاح»: «الأز» التهييج والإغراء، ومنه قوله تعالى: ﴿تَؤُزُّهُم أَزّاً﴾؛ أي: تغريهم بالمعاصي (ص ١٥).

(٦) البقرة: ١٠٢، وتمام الآية: ﴿ولقدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ما لهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ولَبِئْسَ ما شَروا بِهِ أَنْفُسَهُم لو كانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

(٧) كلمة «على» ساقطة من (م).

سبحانه[1].

وقال عز وجل: ﴿ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وقَيَّضْنَا لَهُم قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم ما بينَ أَيْدِيهِم وما خَلْفَهُم وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَنَّهُم كَانُوا خَاسِرِينَ﴾[3].

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وإِنَّهُم لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُونَ﴾[4].

قال الشيخ: فقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه وعلى لسان رسوله أنه يرسل الشياطين فتنة للكافرين الذين حق عليهم القول ومن سبقت عليه[5] الشقوة حتى يؤزوهم[6] أزّاً، ويحرضوهم[7] على الكفر تحريضاً، ويزينوا لهم سوء أعمالهم،

---

(١) والقول بأن عمل السحر وتعلمه كفر، وأن الساحر يكفر بذلك؛ هو ما دلت عليه هذه الآية الكريمة وغيرها من نصوص الكتاب والسنة، وإليه ذهب جمع من الأئمة؛ منهم الأربعة أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإن كان الإمام الشافعي رحمه الله يفصل في القول بذلك حيث يقول: «إذا تعلم السحر؛ قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل «بابل»؛ فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته؛ فهو كافر».

انظر: «تفسير ابن كثير» (١ / ١٥١ ـ ١٥٢).

(٢) الصافات: ١٦٢-١٦٣.

(٣) فصلت: ٢٥.

(٤) الزخرف: ٣٦ ـ ٣٧.

(٥) في (م): «له الشقوة».

(٦) في (١) و(م): «وحتى يؤزهم أزاً» بحذف واو الجماعة، والصواب أثباتها، ويدل على ذلك سياق الكلام حيث أثبت المؤلف في قوله: ويحرضوهم... ويزينوا لهم... ومرجع الضمير في الجميع للشياطين.

(٧) هكذا في (١)، وفي (م): «ويحرضون» بإثبات نون الرفع، وهو غير صواب؛ لأن الفعل =

وكذلك أخبرنا أنه هو تعالى فتن قوم موسى حتى عبدوا العجل وضلوا عن سواء السبيل.

وقال عز وجل: ﴿قَالَ إِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿ونَبْلُوكُمْ بالشَّرِّ والخَيْرِ فِتْنَةً﴾(٢).

وقال عز وجل: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالحَسَنَاتِ والسَّيِّئاتِ لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ﴾(٣).

وقال: ﴿وكَذٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾(٤).

قال الشيخ: فهٰذا كلام الله عز وجل وإخباره عن فعله في خلقه، يعلمهم أن المفتون من فتنه، والهادي من هداه، والضال من أضله وحال بينه وبين الهدى، وأن الشياطين هو خلقها وسلطها، والسحر هو أنزله على السحرة، وأنه لا يضر أحداً إلا بإذنه؛ فتعس(٥) عبد وانتكس(٦) سمع هٰذا الكلام الفصيح الذي جاء به الرسول الصادق عليه السلام من كتاب ربه الناطق فيتصامم عنه ويتغافل، ويتمحل(٧) لآرائه وأهوائه المقاييس بالكلام المزخرف والقول المحرف؛ ابتغاء

= هنا منصوب بحتى وعلامة نصبه حذف النون كما هو القاعدة في الأفعال الخمسة.

(١) طه: ٨٥.

(٢) الأنبياء: ٣٥، صدر الآية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ﴾، وتمامها: ﴿وإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

(٣) الأعراف: ١٦٨، صدر الآية: ﴿وَقَطَّعْنَاهُم فِي الأَرْضِ أُمماً مِنْهُم الصَّالِحُونَ وَمِنْهُم دُونَ ذٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم. . .﴾ الآية.

(٤) غافر: ٣٧، وصدر الآية: ﴿أَسْبَابَ السَّماوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلٰهِ مُوسَى وإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً وكَذٰلِكَ. . .﴾ الآية، وتمامها: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾.

(٥) جاء في «القاموس»: «التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط والفعل؛ كمنع، وسمع» (١ / ٣٧٠).

وقال في «هدي الساري»: «أي: عثر فسقط على وجهه» (ص ١١١).

(٦) وانتكس؛ أي: انقلب على وجهه. «هدي الساري» (ص ٢١٨).

(٧) هٰكذا في (م): «ومعنى تمحل: تكلف لآرائه وأهوائه المقاييس. . .» إلخ. =

الفتنة وحب الأتباع والأشياع، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُم كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[1].

١٢٨٣ ـ حدثني أبو نصر ظفر بن محمد الحذاء؛ قال: حدثنا أبو سعيد محمد بن قاسم بن إسحاق البلخي؛ قال: حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني؛ قال: حدثنا إسحاق ابن الفرات المصري؛ قال: حدثنا أبو الهيثم خالد بن عبد الرحمٰن العبدي عن سماك بن حرب عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت داعياً ومبلغاً وليس إلي من الهدى شيء، وخلق إبليس مزيناً وليس إليه من الضلالة شيء»[2].

١٢٨٤ ـ حدثنا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر؛ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن إبراهيم ﴿مَا أَنتُم عَلَيْهِ

= في «المنجد»: «تمحل الشيء وله: احتال في طلبه ولفلان حقه تكلفه له» (ص ٧٤٩)، وفي (١): «ويتحمل».

(١) النحل: ٢٥.

(٢) الحديث ضعيف، في إسناده خالد بن عبد الرحمٰن العبدي أبو الهيثم العطار الكوفي؛ مجهول، من الثامنة.

«تقريب التهذيب» (١ / ٢١٥)، «خلاصة التهذيب» (١٠١).

قال الدارقطني: «لا أعلمه روى غير هٰذا الحديث الباطل (يعني: هٰذا الحديث) عن سماك ابن حرب... به».

«الميزان» (١ / ٦٣٤)، «التهذيب» (٣ / ١٠٤ ـ ١٠٥).

والحديث؛ رواه العقيلي في «الضعفاء»، وابن عدي في «الكامل» عن عمر بن الخطاب، «منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» بهامش «مسند الإمام أحمد» (١ / ٧٢ ـ ٧٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢ / ٥٨٧) عن البلخي... به، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١ / ٢٧٢ ـ ٢٧٣).

قال العقيلي: «خالد بن عبد الرحمٰن ليس بمعروف بالنقل، ولا يعرف لهٰذا الحديث أصل»؛ كما في «الموضوعات» لابن الجوزي (١ / ٢٧٢ ـ ٢٧٣).

بِفَاتِنِينَ﴾[1]؛ قال: «بمضلين إلا من قدر له أن يصلى الجحيم»[2].

١٢٨٥ - حدثنا أبو شيبة؛ قال: حدثنا محمد؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا إسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ما أَنْتُم عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾؛ قال: «لا تفتنون إلا من قدر له أن يصلى الجحيم»[3].

١٢٨٦ - حدثنا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر؛ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا سفيان عن أشعث عن الحسن ﴿ما أَنْتُم عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾؛ قال: «بمضلين ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾؛ إلا من قدر له أن يصلى الجحيم»[4].

١٢٨٧ - حدثنا أبو شيبة؛ قال: حدثنا محمد؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا سفيان؛ قال: حدثنا عمر بن ذر؛ قال: «سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: إن الله عز وجل لو أراد أن لا يعصى؛ ما خلق إبليس»[5].

● ● ● ● ●

---

(١) الصافات: ١٦٢.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري. «تفسير الطبري» (٢٣ / ١١٠).

(٣) روى ابن جرير بإسناد آخر عن ابن عباس والسدي وغيرهما نحوه.

انظر: «تفسير الطبري» (٢٣ / ١٠٩ - ١١٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢ / ٥٥٣).

(٤) رواه أبو داود في (كتاب السنة، باب لزوم السنة، ٤ / ٢٠٤)، وسكت عنه أبو داود والمنذري.

(٥) أخرجه اللالكائي (٢ / ٥٥٣)، والآجري بلفظ أطول (١٥٨)، والبغوي في «شرح السنة» (١ / ١٤٤).

الباب الرابع

في ذكر ما أعلمنا الله تعالى أن مشيئة الخلق تبع لمشيئته[1] وأن الخلق لا يشاؤون إلا ما شاء الله عز وجل

قال الله عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ. . .﴾ إلى قوله: ﴿واللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2].

(وقال): ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ ما اقْتَتَلُوا ولٰكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا صُمٌّ وبُكْمٌ فِي الظُّلُماتِ مَنْ يَشإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5].

وقال عز وجل: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَما جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِم حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم

---

(١) هٰكذا في (م)، وفي (١): «للمشيئة»، وهو غير واضح.

(٢) البقرة: ٢١٣.

(٣) البقرة: ٢٥٣.

(٤) الأنعام: ٣٥، صدر الآية: ﴿وإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُم فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ فَتَأْتِيهِم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ. . .﴾ الآية.

(٥) الأنعام: ٣٩.

بِوَكِيلٍ﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ المَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ المَوْتَى وَحَشَرْنا عَلَيْهِم كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُم يَجْهَلُونَ﴾(٢).

وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدةً وَلاَ يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّة والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(٣).

١٢٨٨ ـ حدثني أبو صالح محمد بن أحمد؛ قال: حدثنا أبو جعفر محمد ابن عثمان؛ قال: حدثنا أبي؛ قال: حدثنا إسماعيل بن علية عن منصور بن عبد الرحمٰن؛ قال: «قلت للحسن: قوله عز وجل: ﴿ولاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾؛ قال: من رحم ربك غير مختلف. قلت: ولذٰلك خلقهم؟ قال: نعم، خلق هٰؤلاء للجنة وهٰؤلاء للنار، وخلق هٰؤلاء لرحمته وخلق هٰؤلاء لعذابه»(٤).

---

(١) الأنعام: ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) الأنعام: ١١١.

(٣) هود: ١١٩.

(٤) رواه ابن جرير عن عبد العزيز بن منصور... به.

«تفسير الطبري» (١٢ / ١٤١، ١٤٣)، والآجري في «الشريعة» عن أبي بكر بن أبي شيبة عن إسماعيل بن علية... به (٢١٦).

يختلف المفسرون في تفسير معنى قوله تعالى: ﴿ولِذٰلِكَ خَلَقَهُم﴾ على عدة معاني، ولٰكن؛ رجح ابن جرير قول من قال: «خلقهم للاختلاف بالشقاء والسعادة»، ثم أجاب عن سؤال يرد على هٰذا التفسير؛ فقال: «فإن قال قائل: فإن كان تأويل ذٰلك كما ذكرت؛ فقد ينبغي أن يكون المختلفون غير ملومين على اختلافهم؛ إذ كان لذٰلك خلقهم ربهم...».

قيل: إن معنى ذٰلك بخلاف ما إليه ذهبت، وإنما معنى الكلام: ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومللهم؛ ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾، فهداه للحق ولعلمه وعلى علمه النافذ فيهم قبل =

١٢٨٩ - أخبرني أبو بكر محمد بن الحسين؛ قال: حدثنا أبو بكر جعفر ابن محمد الفريابي؛ قال: حدثنا قتيبة بن سعيد؛ قال: حدثنا حماد بن زيد عن خالد الحذاء[١]؛ قال: «قدم علينا رجل من الكوفة؛ فكان مجانباً للحسن لما كان يبلغه عنه في القدر حتى لقيه وسأله الرجل أو سئل عن هٰذه الآية[٢] ﴿ولاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ ولذلك خلقهم، قال: خلق أهل الجنة للجنة وأهل النار للنار، قال: فكان الرجل بعد ذٰلك يذب[٣] عن الحسن»[٤].

١٢٩٠ - حدثنا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر؛ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا مبارك عن الحسن ولذلك خلقهم؛ قال: للاختلاف[٥].

وقال عز وجل: ﴿وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ

= أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن والكافر والشقي والسعيد خلقهم، فمعنى اللام في قوله: «ولذٰلك خلقهم» بمعنى (على) كقولك للرجل: أكرمتك على برك بي، وأكرمتك لبرك بي. «تفسير الطبري» (١٢ / ١٤٤).

(١) هو خالد بن مهران، أبو المنازل، البصري، الحذاء، الحافظ؛ عن أبي عثمان النهدي، وعبد الله بن شقيق، ومحمد، وأنس، وحفصة بني سيرين، وعنه ابن سيرين ابن شيخة، وشعبة، والحمادان، وابن علية، وخلق.

قال ابن سعد: «ثقة، لم يكن حذاء بل كان يجلس إليهم؛ فلقب الحذاء، مات سنة (١٤٢هـ)». «الخلاصة» (ص ١٠٣).

(٢) هٰكذا في «الشريعة» للآجري (ص ٢١٦)، وفي (١): «عن هٰذه الأهواء»، وهو خطأ ولا توجد العبارة في (م).

(٣) هٰكذا في «الشريعة» للآجري، وفي (١): «فكان الرجل بعد ذٰلك يكذب عن الحسن» وهو غير واضح المعنى.

(٤) رواه الآجري في «الشريعة» (٢١٦).

(٥) رواه الطبري عن أبي كريب عن وكيع به (١٢ / ١٤٣).

اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿واللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ﴾[3].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[4].

وقال عز وجل: ﴿ولَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُم أُمَّةً واحدةً ولٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾[5].

وقال عز وجل: ﴿ومَا يَذْكُرونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾[6].

وقال عز وجل حين دعا إلى الجنة وشوق إليها، وحذر من النار وخوف منها: ﴿إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾[7].

ثم رد مشيئتهم إلى نفسه؛ فقال: ﴿ومَا تَشَاؤونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً . يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ والظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُم عَذَاباً

---

(١) إبراهيم: ٤ .

(٢) البقرة: ٢١٣ .

(٣) القصص: ٥٦ .

(٤) فاطر: ٢٢ ـ ٢٣ ، صدر الآية: ﴿ومَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ والأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يَسْمَعُ. . .﴾ الآية.

(٥) الشورى: ٨، وتمام الآية: ﴿والظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِنْ وَلِيٍّ ولا نَصِيرٍ﴾.

(٦) المدثر: ٥٦ .

(٧) الإنسان: ٢٩ .

أَلِيماً﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ . ومَا تَشاؤونَ إلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾(٢).

١٢٩١ ـ حدثنا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر؛ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا سفيان عن منصور عن أصحابنا عن ابن عباس ﴿كَمَا بَدَأَكُم تَعُودُونَ﴾(٣)؛ قال: «يبعث المؤمن مؤمناً والكافر كافراً»(٤).

١٢٩٢ ـ حدثنا أبو عبيد القاسم بن إسماعيل؛ قال: حدثنا أبو عتبة أحمد ابن الفرج؛ قال: حدثنا بقية بن الوليد عن مبشر بن عبيد عن عطاء بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿كَمَا بَدَأَكُم تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ﴾(٥)، ولذلك خلقهم حين خلقهم؛ فجعلهم مؤمناً وكافراً، وسعيداً وشقيّاً، وكذلك يعودون يوم القيامة مهتدياً وضالاً»(٦).

١٢٩٣ ـ حدثنا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر؛ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس

---

(١) الإنسان: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) التكوير: ٢٨ ـ ٢٩.

(٣) الأعراف: ٢٩، صدر الآية: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ وأَقِيموا وُجُوهَكُم عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ. . .﴾ الآية.

(٤) رواه الطبري عن وكيع. . . به. «تفسير الطبري» (٨ / ١٥٦).

(٥) الأعراف: ٢٩ ـ ٣٠، وتمام الآية: ﴿إنَّهُم اتَّخَذُوا الشَّياطينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُونَ﴾.

(٦) رواه الآجري في «الشريعة» (٢١١) عن بقية. . . به، والطبري في «تفسيره» (٨ / ١٥٦).

عن أبي العالية ﴿كَمَا بَدَأَكُم تَعُودُونَ﴾؛ قال: «عادوا إلى علمه فيهم، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿فَرِيقاً هَدى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾؟»(١).

١٢٩٤ ـ حدثنا أبو القاسم أحمد بن القاسم بن الريان السني؛ قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الديري؛ قال: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه أن رجلاً قال لابن عباس أن ناساً يقولون أن الشر ليس بقدر؛ فقال ابن عباس: «فبيننا وبين أهل القدر هذه الآية: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ...﴾ إلى قوله: ﴿فَلِلهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُم أَجْمَعِينَ﴾(٢)»(٣).

١٢٩٥ ـ حدثنا أبو علي محمد بن يوسف؛ قال: حدثنا عبد الرحمن بن خلف الضبي؛ قال: حدثنا حجاج بن منهال؛ قال: حدثنا حماد بن سلمة عن خالد الحذاء أن الحسن قال في هذه الآية ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُم﴾؛ قال: «خلق هؤلاء لهذه، وهؤلاء لهذه»(٤).

١٢٩٦ ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب المتوفي بالبصرة؛ قال: حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث؛ قال: حدثنا النفيلي؛ قال: حدثنا أنس بن عياض؛ قال: قال أبو حازم في قوله تعالى ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾(٥)؛ قال: «الفاجرة ألهمها الفجور، والتقية ألهمها التقوى».

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨ / ١٥٦)، وأورده ابن كثير أيضاً (ج ٢، ص ٢٠٩).

(٢) الأنعام: ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٣) رواه عبد الرزاق المذكور في الإسناد في «مصنفه» (١١ / ١١٤ ـ ١١٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢ / ٥٣٨).

(٤) رواه الطبري عن حجاج بن منهال... به. «تفسير الطبري» (١٢ / ١٤٣).

(٥) الشمس: ٨.

والأثر؛ أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص ٢٢٥).

١٢٩٧ - حدثنا أبو علي محمد بن يوسف؛ قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن خلف؛ قال: حدثنا حجاج بن منهال؛ قال: حدثنا حماد؛ قال: أخبرنا الكلبي عن ابن عباس؛ قال: ﴿يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[١]؛ قال: «يحول بين المؤمن والمعصية»[٢].

١٢٩٨ - حدثنا أبو علي محمد بن يوسف؛ قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن خلف؛ قال: حدثنا حجاج؛ قال: حدثنا معتمر بن سليمان؛ قال: «سمعت عبد العزيز عن الضحاك بن مزاحم في قول الله عز وجل ﴿يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[٣]؛ قال: يحول بين الكافر وبين طاعته، وبين المؤمن وبين معصيته»[٤].

١٢٩٩ - حدثنا أبو علي محمد بن يوسف؛ قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن خلف؛ قال: حدثنا حجاج؛ قال: حدثنا أبو الأشهب جعفر بن حيان عن الحسن في هٰذ الآية ﴿وحِيلَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[٥]؛ قال: «حيل بينهم وبين الإيمان»[٦].

١٣٠٠ - حدثنا أبو علي؛ قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن خلف الضبي؛ قال: حدثنا حجاج؛ قال: حدثنا حماد؛ قال: حدثنا حميد[٧]؛ قال: «قرأت

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) رواه ابن جرير الطبري. «تفسير الطبري» (٩ / ٢١٦).

(٣) الأنفال: ٢٤، الآية بأكملها: ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ ولِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُم واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَإِنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

(٤) رواه ابن جرير الطبري «تفسير الطبري» (٩ / ٢١٥ - ٢١٦) عن حجاج بن منهال به.

(٥) سبأ: ٥٤، تمام الآية: ﴿كَمَا فُعِلَ بأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا في شَكٍّ مُرِيبٍ﴾.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» عن أبي الأشهب... به (٢٢ / ١١٢)، والطائي (٢ / ٥٤٢).

(٧) هو حميد بن أبي حميد أبو عبيدة البصري عن أنس والحسن وعكرمة، وعنه شعبة، ومالك، وسفيانان، والحمادان، وخلف، مات سنة (١٤٢هـ) في «خلاصة» (ص ٩٤).

القرآن كله على الحسن في بيت أبي خليفة؛ ففسره لي أجمع على الإثبات، فسألته عن قوله تعالى: ﴿كَذٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[1]؛ قال: الشرك سلكه في قلوبهم، وسألته عن قوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾[2]؛ قال: أعمال سيعملونها، وسألته عن قوله: ﴿مَا أَنْتُم عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾؛ قال: ما أنتم عليه بمضلين إلّا من هو صالي الجحيم»[3].

١٣٠١ ـ حدثنا إسماعيل بن العباس الوراق؛ قال: حدثنا العباس بن عبد الله الترقفي الباكسائي؛ قال: حدثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان العدني عن عكرمة عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَه يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ﴾؛ قال: «يوسع قلبه للتوحيد والإيمان بالله، ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[4]؛ يقول شاكّاً كأنما يصعد في السماء، يقول: كما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء؛ فكذٰلك لا يقدر أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله عز وجل في قلبه»[5].

١٣٠٢ ـ حدثنا أبو القاسم حفص بن عمر الحافظ؛ قال: حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي؛ قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي؛ قال: قال مالك بن أنس: «ما أضل من كذب بالقدر، لو لم تكن عليهم فيه حجة إلا

---

(١) الشعراء: ٢٠٠.

(٢) المؤمنون: ٦٣.

(٣) رواه ابن جرير الطبري «تفسير الطبري» عن زيد عن حماد... به (١٩ / ١١٥).

(٤) الأنعام: ١٢٥، تمام الآية: ﴿كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللهَ الرِّجْسَ عَلَى الَّذينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

(٥) والأثر مروي عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢ / ١٧٥، تفسير سورة الأنعام).

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُم فَمِنْكُم كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[1]»[2].

١٣٠٣ - حدثنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار؛ قال: حدثنا أبو محمد خلف بن محمد كردوسي[3]؛ قال: حدثنا يعقوب بن محمد؛ قال: حدثنا الزبير[4] بن حبيب عن زيد بن أسلم؛ قال: «والله ما قالت القدرية كما قال الله عز وجل، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال النبيون، ولا كما قال أهل الجنة، ولا كما قال أهل النار، ولا كما قال أخوهم إبليس.

قال الله عز وجل: ﴿ومَا تَشَاؤونَ إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾[5].

﴿وقَالَتِ المَلائِكَةُ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إلَّا مَا عَلَّمْتَنَا. . .﴾ الآية[6].

وقال شعيب عليه السلام: ﴿ومَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيها إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنا. . .﴾ الآية[7].

وقال أهل الجنة: ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذي هَدَانا لِهٰذا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانا اللهُ﴾[8].

---

(١) هٰكذا في (١)، وفي (م): «بدون الإتيان بجواب لو»، وصح ذٰلك لدلالة المقام عليه تقديره «لكفى» حجة عليهم.

(٢) التغابن: ٢، تمام الآية: ﴿واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(٣) في اللالكائي: الواسطي المعروف بكردوس (٢ / ٥٥٥).

(٤) في اللالكائي: الربيع بن حبيب.

(٥) التكوير: ٢٩.

(٦) البقرة: ٣٢، تمام الآية: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾.

(٧) الأعراف: ٨٩، صدر الآية: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً أَنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا﴾، تمام الآية: ﴿وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وبَيْنَ قَوْمِنا بِالحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ﴾.

(٨) الأعراف: ٤٣، تمام الآية: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾.

وقال أهل النار: ﴿رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾[1].

وقال أخوهم إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[2]»[3].

قال الشيخ: فالقدرية المخذولة يسمعون هٰذا وأضعافه، ويتلونه[4] ويتلى عليهم؛ فتأبى قلوبهم قبوله، ويردونه كله ويجحدونه بغياً وعلوّاً وأنفة[5] من الحق، وتكبراً على الله عز وجل وعلى كتابه وعلى رسوله ﷺ وعلى سنته، وللشقوة المكتوبة عليهم؛ فهم لا يسمعون إلا ما وافق أهواءهم، ولا يصدقون من كتاب الله ولا من سنة نبيه؛ إلا ما استحسنته آراؤهم، فهم كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ المَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ المَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِم كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُم يَجْهَلُونَ﴾[6]، هم[7] كما قال عز وجل: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[8].

وهٰكذا القدري الخبيث الذي قد سلط الله عليه الشياطين، يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون، تزجره[9] بكتاب الله تعالى؛ فلا ينزجر، وسنة رسول الله؛ فلا يذكر.

---

(١) المؤمنون: ١٠٥.

(٢) الحجر: ٣٩، وتمام الآية: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُم فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُم أَجْمَعِينَ﴾.

(٣) والأثر؛ رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» عن جعفر بن محمد عن خلف بن محمد. . . به (٢ / ٥٥٥ - ٥٥٦).

(٤) في (م): «وينكرونه».

(٥) أي: استنكافاً، في «المختار»: «أنف من الشيء من باب طرب، وأنفة أيضاً بفتحتين؛ أي: استنكف».

(٦) الأنعام: ١١١.

(٧) في (م): «فهم».

(٨) البقرة: ١٧١.

(٩) في (م): «تزجر بكتاب الله بإسقاط هاء الضمير».

ويقـول الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين: فلا ينحسر[1]، وتضرب له الأمثـال؛ فلا يعتبـر، مصر على مذهبه الخبيث النجس الذي خالف فيه رب العـالمين والمـلائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين وجميع فقهـاء المسلمين، وضارع فيه اليهود والنصارى[2] والمجوس[3] والصابئين[4]؛ فلم يجد أنيساً في طريقته ولا مصاحباً على مذهبه غيرهم، أعاذنا الله وإياكم من مذاهب القدرية والأهواء الردئية والبدع المهلكة المردية، وجعلنا وإياكم للحق مصـدقين، وعن الباطل حائدين، وثبتنا وإياكم على الدين الذي رضيه لنفسه واختص به من أحبه من عباده، الذين علموا أن قلوبهم بيده، وهممهم وحركاتهم في قبضته؛ فلا يهمون ولا يتنفسون إلا بمشيئته، فهم فقراء إليه في سلامة ما خولهم من نعمه، ﴿يَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ كما أمرهم به من مسألته.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[5].

١٣٠٤ ـ حدثنـا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر؛ قال: حدثنا محمد بن

---

(١) أي: لا يكل ولا ينقطع، وفي «القاموس»: «حسر البصر، يحسر، حسوراً: كل وانقطع من طول مدى».

(٢) والنصارى جمع نصران، ويقال للمرأة: نصرانة، هم أتباع عيسى وأهل دينه، سموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، وقيل: سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضاً يقال لها ناصرة.

انظر: «تفسير ابن كثير» (١ / ١٠٣).

(٣) المجـوسية؛ بالفتـح: نحلة، والمجوسي منسوب إليها والجمع المجوس، وتمجس الرجل: صار منهم ومجسه غيره، وفي الحديث: فأبواه يمجسانه. «مختار الصحاح» (٦١٦).

(٤) (الصابئون): هم عبدة الكواكب أو الملائكة، وقيل: من لا دين له أو الخارجون من دين إلى دين يقال: صبأ فلان يصبأ إذا خرج من دينه.

انظر: «تفسير ابن كثير» (١ / ٣٠٤)، و«تاج العروس» (١ / ٣٠٧).

(٥) آل عمران: ٨.

إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول: «يا مقلب القلوب[1]! ثبت قلبي على دينك»، ثم قرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[2].

---

(١) في (م): «والأبصار».

(٢) والحديث صحيح بشواهده، رواه أحمد في «مسنده» (٦ / ٣٠٢، ٣١٥)، والترمذي (٥ / ١٩٩) في أبواب الدعوات، والآجري في «الشريعة» (٣١٦)، وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (باب ما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال: يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك، ١ / ١٠٤) جميعهم عن طريق شهر بن حوشب.

قال الألباني: «حديث صحيح، رجال إسناده ثقات؛ غير شهر بن حوشب، فإنه سيء الحفظ، ولا بأس به في الشواهد».

انظر: «كتاب السنة» (١ / ١٠٠، ١٠٤).

قلت: والحديث له عدة شواهد صحيحة ليس فيها شهر بن حوشب؛ منها ما رواه الترمذي بإسناده عن أبي سفيان عن أنس رضي الله عنه في (باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمٰن، ٣ / ٣٠٤)، وقال: «هٰذا حديث حسن صحيح»، وقال: «وفي الباب عن النواس بن سمعان وأم سلمة وعائشة وأبي ذر. . .» إلى أن قال: «وروى بعضهم عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ، وحديث أبي سفيان عن أنس أصح».

قال الألباني: «والحديث أخرجه الآجري (٣١٦ - ٣١٧) من طريق فضيل بن عياض عن الأعمش. . . به؛ فصح الإسناد والحمد لله». «ظلال الجنة في تخريج السنة» (١ / ١٠١).

قلت: ضعف شهر بن حوشب غير واحد من الأئمة؛ منهم ابن عون، وشعبة، وموسى ابن هارون، والنسائي، وابن حبان، وابن عدي، والبيهقي، وابن حزم، ووثقه آخرون من الأئمة؛ منهم ابن معين، والعجلي، وحسن حديثه الإمام أحمد، وقال أبو زرعة: «لا بأس به»، وقال الحافظ بن حجر: «صدوق، كثير الإرسال والأوهام»، وقال الترمذي عن البخاري: «شهر حسن الحديث وقوي أمره».

انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر (٤ / ٣٦٩ - ٣٧٢)، و«التقريب» (١ / ٣٥٥)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤ / ٣٨٢ - ٣٨٣)، و«التاريخ الكبير» للبخاري (٤ / ٢٥٨ - =

١٣٠٥ ـ حدثنا جعفر بن محمد القافلائي؛ قال: حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني؛ قال: حدثنا سليمان بن حرب؛ قال: حدثنا حماد بن زيد عن المعلى بن زياد ويونس بن عبيد عن الحسن عن أم المؤمنين[١]؛ قالت: «كانت دعوة من[٢] رسول الله ﷺ: «يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك»، قلت: يا رسول الله! هل تخاف؟ قال: «وما يؤمنني وليس من أحد إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل؟ إن شاء أن يقيمه؛ أقامه، وإن شاء أن يزيغه؛ أزاغه يقلب أصبعيه»[٣].

= ٢٥٩)، و«التاريخ الصغير» أيضاً (١ / ٢٥٥).

(١) والمراد بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ كما في رواية أحمد في «سنده» (٦ / ٩١).

(٢) هكذا في رواية المؤلف بذكر كلمة «من»، وفي رواية أحمد في «مسنده»؛ قالت: «دعوات كان رسول الله ﷺ يكثر يدعو بها: يا مقلب القلوب... الحديث»، وفي رواية ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» بلفظ: «أن رسول الله ﷺ كان يكثر أن يقول: يا مثبت القلوب...» إلخ، وفي ابن ماجه: «عن النواس بن سمعان؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا مقلب القلوب... الحديث».

(٣) صحيح بشواهده، رواه أحمد في «مسنده» عن حماد... به (٦ / ٩١)، وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (ج ١، ١٠٤، ١٠٠).

قال الألباني: «حديث صحيح بما قبله وما بعده»، وأخرجه الآجري من طريق آخر عن حماد... به، وأخرجه أحمد (٦ / ٩١) من طريق الحسن عن عائشة، ورجال إسناده ثقات رجال مسلم؛ لولا أن الحسن وهو البصري مدلس، والحديث؛ ذكره الهيثمي بنحوه، وقال: «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه العلاء بن الفضل».

قال ابن عدي: «في بعض ما يرويه نكرة، وبقية رجاله وثقوا وفيهم خلاف». «ظلال الجنة في تخريج السنة» (١ / ١٠١).

وانظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (٧ / ٢١٠ ـ ٢١١).

قلت: وأخرجه الآجري في «الشريعة» (١٦٤) عن الحسن عن عائشة رضي الله عنها وابن ماجه عن النواس بن سمعان بلفظ قريب في «المقدمة» (١ / ٧٢).

١٣٠٦ ـ حدثنا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر؛ قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا الفضل بن دلهم عن الحسن أن النبي ﷺ كان يقول: «يا مثبت القلوب! ثبت قلبي على دينك»[١].

١٣٠٧ ـ حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل الآدمي؛ قال: حدثنا العباس بن عبد الله الترقفي؛ قال: حدثنا محمد بن جهضم؛ قال: حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب؛ قال: «الخلق أدق شأناً من أن يعصوا الله عز وجل طرفة عين فيما لا يريد».

١٣٠٨ ـ حدثنا أبو عبد الله أحمد بن علي بن العلاء الجوزجاني؛ قال: حدثنا عبد الوهاب بن الحكم الوراق / ح، وحدثنا إسماعيل بن محمد الصغار؛ قال: حدثنا عبد الله بن أيوب المخرمي؛ قالا جميعاً: حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روّاد عن ابن جريج؛ قال: أخبرني عطاء؛ قال: «سمعت ابن عباس يقول: كلام القدرية وكلام الحرورية[٢] ضلالة، وكلام الشيعة هلكة؛ قال: وقال ابن عباس: ولا أعرف الحق (أو قال: ولا أعلم الحق)؛ إلا في كلام قوم ألجؤوا ما غاب عنهم من الأمور إلى الله، ولم يقطعوا بالذنوب العصمة من الله، وفوضوا أمرهم إلى الله، وعلموا أن كلًّا بقدر الله»[٣].

---

(١) صحيح بشواهده كما تقدم مرفوعاً من رواية الحسن عن عائشة، وعن شهر بن حوشب عن أم سلمة (برقم ٣١، ٣٢) بلفظ أطول، وأرسله الحسن في هٰذا الإسناد بينما رواه في الحديث المتقدم عن عائشة عن النبي ﷺ مرفوعاً.

(٢) الحرورية: اسم للخوارج نسبة إلى حروراء؛ بفتحتين، وسكون الواو، وراء أخرى، وألف ممدودة؛ موضع بالكوفة، انحازت إليه الخوارج عندما خرجت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢ / ٢٤٥).

(٣) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢ / ٦٢٣) ولٰكن بدون جملة، ولم يقطعوا بالذنوب العصمة من الله.

قال الشيخ: فاعلموا رحمكم الله أن هٰذه طريقة الأنبياء عليهم السلام وبذٰلك تعبدهم الله، وأخبر به عنهم في كتابه أن المشيئة لله عز وجل وحده، ليس أحد يشاء لنفسه شيئاً من خير وشر ونفع وضر وطاعة ومعصية؛ إلا أن يشاءها الله، وبالتبري[1] إليه من مشيئتهم ومن حولهم وقوتهم ومن استطاعتهم، بذٰلك أخبر عن نوح عليه السلام حين قال له قومه: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2]؛ فقال نوح عليه السلام مجيباً لهم: ﴿إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ . ولاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُم وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

قال الشيخ: فلو كان الأمر كما تزعم القدرية؛ كانت الحجة قد ظهرت على نوح من قومه، ولقالوا له: إن كان الله هو الذي يريد أن يغوينا؛ فلم أرسلك إلينا، ولم تدعونا إلى خلاف مراد الله لنا؟

ولو كان الأمر كما تزعم هٰذه الطائفة بقدر الله ومشيئته في خلقه، وتزعم أنه يكون ما يريده العبد الضعيف الذليل لنفسه، ولا يكون ما يريده الرب القوي الجليل لعباده؛ فلم حكى الله عز وجل ما قاله نوح لقومه مثنياً عليه وراضياً[4] بذٰلك من قوله؟

وقال شعيب عليه السلام: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ

---

(١) معطوفة على بذٰلك السابقة في الكلام؛ فيكون هٰذا هو الآخر مما تعبد الله به الأنبياء. في (م): «أو بالتبري إليه».

(٢) هود: ٣٢، صدر الآية: ﴿قَالُوا﴾.

(٣) هود: ٣٣ ـ ٣٤.

(٤) في (م): «راضياً» بدون واو العطف.

شَيْءٍ عِلْماً﴾[1].

ثم قال شعيب في موضع آخر: ﴿وما تَوْفِيقي إلاَّ باللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2].

وقال إبراهيم عليه السلام في محاجته لقومه: ﴿وحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ ولاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرونَ﴾[3].

وقال أيضاً فيما حكاه عن إبراهيم وشدة خوفه وإشفاقه على نفسه وولده أن يبلى[4] بعبادة الأصنام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هٰذا البَلَدَ آمِناً واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾[5].

وقال فيما أخبر عن يوسف عليه السلام، (ولجئه)[6] إلى ربه، وخوفه الفتنة على نفسه إن لم يكن هو المتولي لعصمته: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وإلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾[7]، قال الله عز وجل: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾[8].

---

(١) الأعراف: ٨٩، وتمام الآية: ﴿على اللهِ تَوَكَّلنا ربَّنا افْتَحْ بَيْننا وبين قومنا بالحقِّ وأنت خَيْر الفاتِحينَ﴾.

(٢) هود: ٨٨، صدر الآية: ﴿قَال يا قَوْمِ أَرَأَيْتُم إِنْ كنت على بيِّنةٍ مِنْ رَبِّي ورَزَقَني منه رِزْقاً حَسَناً وما أُريدُ أنْ أخالِفَكُم إلى ما أنْهاكُم عنه إنْ أُرِيدُ إلَّا الإِصْلاحَ ما اسْتَطَعْتُ وما تَوْفِيقِي . . .﴾ الآية.

(٣) الأنعام: ٨٠.

(٤) أي: يختبر، وفي «المختار»: «(بلاه): جربه واختبره، وبابه عدا».

(٥) إبراهيم: ٣٥، صدر الآية: ﴿وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ . . .﴾ الآية.

(٦) مصدر «لجأ»، يقال: «لجأ لجأ»؛ كما في «المختار»، وفي (١): «ولجائه»، وهو خطأ.

(٧) يوسف: ٣٣، صدر الآية: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ . . .﴾ الآية.

(٨) يوسف: ٣٤.

ثم أخبرنا تعالى أن العصمة في البداية وإلهامه إياه الدعوة[1]، كانت بالعناية من مولاه الكريم به؛ فقال: ﴿ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ والفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلِصِينَ﴾[2].

وقال عز وجل فيما أخبر عن موسى حين دعا[3] على فرعون وقومه بأن لا يؤمنوا وعن استجابته له وإعطائه ما سأل: ﴿رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وأَمْوَالاً فِي الحَيَاةِ الدُّنيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ واشْدُدْ عَلَى قُلوبِهِم فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأليمَ﴾[4]، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فَاسْتَقِيما﴾[5].

وقال فيما أعلمه لنوح بكفر قومه وتكذيبهم له: ﴿وأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[6].

وقال تعالى فيما أخبر عن أهل النار واعترافهم بأن الهداية من الله عز وجل؛ فقال: ﴿وبَرَزُوا للهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُم تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُم مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانا اللهُ لَهَدَيْنَاكُم﴾[7].

فاعترفوا[8] أهل النار بأن الله عز وجل منعهم الهداية، وأنه لو هداهم

---

(١) هكذا في (١)، وفي (م): «الدعوة التي كانت بالعناية».

(٢) يوسف: ٢٤.

(٣) في (م): «حين دعاه على فرعون» بزيادة هاء الضمير، وهو يعود على الله؛ أي: حين دعى الله على فرعون.

(٤) يونس: ٨٨، صدر الآية: ﴿وقالَ مُوسَى رَبَّنا. . .﴾ الآية.

(٥) يونس: ٨٩، تمام الآية: ﴿وَلاَ تَتَّبِعانِ سَبِيل الَّذينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

(٦) هود: ٣٦.

(٧) إبراهيم: ٢١، وتمام الآية: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أم صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ﴾.

(٨) هكذا في (١)، وفي (م): «فاعترف أهل النار بتجريد الفعل عن الضمير»، وهذا هو =

اهتـدوا؛ فاسمعـوا رحمكم الله إلى كتاب ربكـم، وانظروا هل تجدون فيه[1] مطمعاً[2] لما تدعيه القدرية عليه من نفي القدرة والمشيئة والإرادة عنه وإضافة القـدرة والمشيئـة إلى أنفسهم، وتفهمـوا قول الأنبياء لقومهم وكلام أهل النار واعتذار بعضهم إلى بعض بمنع الله الهداية لهم، والله عز وجل يحكي ذٰلك كله عنهم غير مكذب لهم ولا راد ذٰلك عليهم.

واعلموا رحمكم الله أن الله عز وجل أرسل رسله مبشرين ومنذرين وحجة على العالمين، فمن شاء الله تعالى له الإيمان؛ آمن، ومن شاء الله أن يكفر؛ كفر، فلم يجب الرسل إلى دعوتهم ولم يصدقهم برسالتهم إلا من كان في سابق علم الله أنه مرحوم مؤمن، ولم يكذبهم ويرد ما جاؤوا به إلا من قد سبق في علم الله أنه شقي كافر، وعلى ذٰلك جميع أحوال العباد صغيرها وكبيرها، كلها مثبتة في اللوح المحفوظ والرق المنشـور قبل خلق الخلق؛ فالأنبياء ليس يهتدي

= الأصل، وهو مذهب جمهور العرب؛ لأن القاعدة عند النحويين أن الفعل إذا أسند إلى اسم ظاهر كما هنا؛ وجب تجريده من علامة التثنية والجمع، فيكون كحاله إذا أسند إلى مفرد، وما جاء في كلام العرب مخالف لهٰذه القاعدة، يحملونه على محملين:

المحمل الأول: يكون الاسم الظاهر مبتدأ مؤخراً والفعل المتقدم وما اتصل به من الضمائر في موضع رفع خبر مقدم، فبناء على هٰذا؛ يكون التقدير في كلام المؤلف هنا: فأهل النار اعترفوا بأن الله . . . إلخ.

أما المحمل الثاني عند الجمهور أن يكون ما اتصل بالفعل مرفوعاً به كما تقدم، وما بعده يدل من الضمير المتصل بالفعل، علماً بأن هناك مذهباً آخر لطائفة من العرب على خلاف مذهب الجمهور، يرون أن الفعل إذا أسند إلىٰ ظاهر كما هنا؛ أتى فيه بعلامة تدل على التثنية والجمع كما كانت التاء في «قامت هند» حرفاً يدل على التأنيث، والاسم الذي بعد الفعل المذكور مرفوع به وهي لغة قليلة يسميها النحويون: «لغة أكلوني البراغيث»، والراجح مذهب الجمهور.

انظر: «شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك» (ج ١، ص ٤٦٧ ـ ٤٧٣).

(١) ساقطة من (م).

(٢) هٰكذا في (م)، وفي (١): «مطعماً»، وهو خطأ.

بدعوتهم ولا يؤمن برسالتهم إلا من كان في سابق علم الله أنه مؤمن بهم، ولقد حرص الأنبياء وأحبوا الهداية والإيمان لقوم من أهاليهم وآبائهم وأبنائهم وذوي أرحامهم؛ فما اهتدى منهم إلا من كتب الله له الهداية والإيمان، ولقد عوتبوا في ذلك بأشد العتب(١)، وحسبك بقول نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ﴾(٢)، وبجواب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾(٣).

ثم أخبرنا بجملة دعوة المسلمين، وبماذا كانت الإجابة من قومهم أجمعين، فقال عز وجل في سورة النحل: ﴿ولَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾(٤).

ثم عزى(٥) نبيه ﷺ في حرصه على هداية قومه بقوله: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُم فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾(٦)، فمن خذله الله بالمعصية؛ فمن ذا الذي نصره بالطاعة؟ ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ﴾(٧).

---

(١) (العتب)؛ بفتح العين، وسكون التاء أو فتحها: الملامة، والعتاب من باب نصر وطرق؛ كما في «المختار»، و«القاموس».

(٢) هود: ٤٥، صدر الآية: ﴿ونادى نوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ...﴾ الآية، تمام الآية: ﴿وأَنْتَ أَحْكَمُ الحاكِمينَ﴾.

(٣) هود: ٤٦، صدر الآية: ﴿قالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ ليس مِن أهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالحٍ...﴾ الآية.

(٤) النحل: ٣٦.

(٥) في (١): «عز»، وهو غير صحيح.

(٦) النحل: ٣٧.

(٧) القصص: ٥٦.

وقال له أيضاً: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[2].

فكل هٰذا يدل العقلاء ويؤمن المؤمنين من عباد الله والعلماء أن الأنبياء إنما بعثوا مبشرين ومنذرين حجة على العالمين، وأن من شاء الله له الإيمان؛ آمن، ومن لم يشأ له الإيمان؛ لم يؤمن، وأن ذٰلك كله مفروغ منه، قد علم ربنا عز وجل المؤمن من الكافر والمطيع من العاصي والشقي من السعيد، وكتب لقوم الإيمان بعد الكفر؛ فآمنوا، ولقوم الكفر بعد الإيمان؛ فكفروا، والطاعة بالتوبة بعد المعصية؛ فتابوا، وعلى آخرين الشقوة؛ فكفروا، فماتوا على كفرهم، وكل ذٰلك في إمام مبين.

١٣٠٩ ـ حدثنا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر؛ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا سفيان عن رجل عن مجاهد: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُم﴾، وما أورثوا من الضلالة ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[3]؛ قال: «في أم الكتاب».

١٣١٠ ـ حدثنا أبو عبيد القاسم بن إسماعيل المحاملي؛ قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي؛ قال: حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النبي ﷺ؛ قال: «هٰذه الآية

---

(١) الأعراف: ١٨٨.

(٢) إبراهيم: ٤، تمام الآية: ﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

(٣) يس: ١٢، صدر الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى...﴾ الآية.

تقضي على القرآن كله[1] ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[2]».

١٣١١ - حدثنا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر؛ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع عن من سمع عبيد بن عمير يقول: «قال آدم عليه السلام: «يا رب! أفرأيت ما أتيت؛ أشيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته عليَّ قبل أن تخلقني؟ قال: لا، بل شيء قدرته عليك من قبل أن أخلقك. قال: أي رب! فكما قدرته علي؛ فاغفر لي»، فذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[3]».

١٣١٢ - حدثنا أبو شيبة؛ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا سفيان عن رجل لم يسمه عن مجاهد ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]؛ قال: «علم إبليس المعصية وخلقه لها»[5].

قال الشيخ: فاعلموا رحمكم الله أن من كان على ملة إبراهيم وشريعة المصطفى ﷺ، ومن كان دينه دين الإسلام، ومحمد نبيه، والقرآن أمامه وحجته، وسنة المصطفى ﷺ نوره وبصيرته، والصحابة والتابعون أئمته وقادته، وهٰذا مذهبه وطريقته، وقد ذكرنا الحجة من كتاب الله عز وجل؛ ففيه شفاء

---

(١) في (م): هٰذه الآية تقضي على كتاب الله أو على القرآن كله؛ يعني: تحكم على ما ورد في القرآن في بابها (أي في باب القدر)، وذٰلك بإرجاع كل شيء إلى مشيئة الله وحده دون غيره.

(٢) هود: ١٠٧، الآية بأكملها: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لهم فيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ خالِدِينَ فيها ما دامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ إِلَّا مَا شاءَ رَبُّكَ...﴾ الآية.

(٣) البقرة: ٣٧، وتمام الآية: ﴿إِنَّهُ هوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

(٤) البقرة: ٣٠، صدر الآية: ﴿وإِذْ قالَ رَبُّكَ للملائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قالوا أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ ونحنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لكَ قالَ...﴾ الآية.

(٥) رواه الطبري. «تفسير الطبري» (١ / ٢٤٤) عن ابن سنان عن وكيع بن الجراح... به.

ورحمة للمؤمنين، وغيظ للجاحدين.

ونحن الآن وبالله التوفيق نذكر الحجة من سنة رسول الله ﷺ ما يعين الله على ذكره؛ فإن الحجة إذا كانت في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه الصلاة؛ فلم يبق لمخالف عليهما حجة إلا بالبهت والإصرار على الجحود والإلحاد، وإيثار الهوى، واتباع أهل الزيغ والعمى، وسنتبع السنة أيضاً بما روى في ذلك عن الصحابة والتابعين وما قالته فقهاء المسلمين؛ ليكون زيادة في بصيرة للمستبصرين، فلقد ضل عبد خالف طريق المصطفى فلم يرض بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإجماع أهل دينه؛ فقد كتب عليه الشقاء، ولأجل ذلك أخرجهم النبي ﷺ من أمته وسماهم يهوداً ومجوساً، وقال: «إن مرضوا؛ فلا تعودوهم، وإن ماتوا؛ فلا تشهدوهم»، وسنذكر ذلك في أبوابه ومواضعه إن شاء الله.

● ● ● ● ●

الباب الخامس

في ما روي أن الله تعالى خلق خلقه كما شاء لما شاء؛ فمن شاء خلقه للجنة ومن شاء خلقه للنار، سبق بذٰلك علمه، ونفذ فيه حكمه، وجرى به قلمه ومن جحده فهو من الفرق الهالكة

١٣١٣ - حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الجمال؛ قال: حدثنا زياد بن أيوب أبو هاشم الطوسي / ح، وحدثنا جعفر بن محمد القافلاني؛ قال: حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني؛ قالا: حدثنا روح بن عبادة؛ قال: حدثنا مالك بن أنس / ح، وحدثني أبو بكر محمد بن الحسين؛ قال: حدثنا محمد بن جعفر أبو بكر الفريابي؛ قال: حدثنا قتيبة بن سعيد؛ قال: حدثنا مالك / ح، وحدثنا محمد بن بكر أو بكر التمار وأبو عبد الله محمد بن أحمد ابن يعقوب المتوثي؛ قالا: حدثنا أبو داود؛ قال: حدثنا القعنبي؛ قال: حدثنا مالك عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب أخبر عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هٰذه الآية: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم(١) وأَشْهَدَهُم على أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بلى شَهِدْنَا أَنْ يَقُولُوا(٢) يومَ القيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذا

---

(١) في (م): «ذرياتهم»، قرأ الكوفيون وابن كثير: «ذريتهم» على الواحد، وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو: «ذرياتهم» بالألف على الجمع.

انظر: «سراج القاري» (ص ٢٣١)، و«حجة القراءات» (ص ٣٠١ - ٣٠٢).

(٢) هٰكذا قرأ بالياء أبو عمر البصري، وقرأ الباقون بالتاء.

«حجة القراءات» (ص ٣٠٢)، و«سراج القاري» (ص ٣٠١).

غَافِلِينَ﴾[1]؛ قال عمر بن الخطاب: «سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها؛ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم عليه السلام؛ فمسح ظهره[2] بيمينه، فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون». فقام رجل فقال: يا رسول الله! ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا خلق العبد للجنة؛ استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٢) هذا الحديث وغيره من الأحاديث الواردة في هذا الباب تدل على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه، وميز بين أهل الجنة وأهل النار بخلاف الآية الكريمة، فإن سياقها يدل على أن ذلك كان من بني آدم لا من آدم نفسه، ومن ظهورهم لا من ظهره، ومن ذريتهم الذين كانوا من أصلابهم لا من صلب آدم؛ لأنه تعالى قال في الآية: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾، ولم يقل: من آدم ﴿مِنْ ظُهُورِهِم﴾ ولم يقل من ظهره، وقال: ﴿ذُرِّيَتهم﴾، ولم يقل: «ذريته»، فلذا؛ يستبعد أن يكون هذا الحديث بمعنى الآية؛ كما نبه على ذلك غير واحد من الأئمة مثل القرطبي في «تفسيره»، والحافظ ابن كثير، وابن القيم، وشارح «الطحاوية»، وكلهم ذكروا ما يقرر أن مدلول الآية الكريمة غير مدلول الأحاديث الواردة في هذا المعنى، وقد أطنب القرطبي في ذكر أدلة كثيرة تدل على أن ما ورد من الأحاديث في هذا الباب لا يكون تفسير للآية الكريمة؛ لعدة أمور ذكرها هناك.

قال ابن كثير ما معناه: «فعلى هذا معنى قوله عز وجل في الآية: ﴿وأَشْهَدَهُم عَلى أَنْفُسِهِم﴾ المراد به: فطرهم على التوحيد، ولهذا قال: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ ولم يقل: من آدم ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾، ولم يقل: من ظهره ذريتهم؛ أي: جعل نسلهم جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن...» ثم قال: «﴿وأَشْهَدَهُم على أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قالوا بَلى﴾؛ أي: أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالاً وقالاً».

قال القرطبي: «قال قوم: معنى الآية أن الله أخرج من ظهر بني آدم بعضهم من بعض، ومعنى أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم دلهم على توحيده؛ لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له رباً واحداً سبحانه وتعالى، فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم».

انظر: «تفسير القرطبي» (ج ٧، ص ٣١٤)، وابن كثير (ج ٥، ص ٢٨٣)، و«شارح الطحاوية» (ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، و«شفاء العليل» لابن القيم (١٢ ـ ١٣) ملخصاً.

أهل الجنة، فإذا خلق العبد للنار؛ استعمله بعمل أهل النار حتى يموت وهو على عمل أهل النار؛ فيدخله[1] به النار»[2].

١٣١٤ ـ حدثنا أبو عبد الله أحمد بن علي بن العلاء الجوزجاني؛ قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان؛ قال: حدثنا جرير عن منصور عن سعد بن

(١) في (م): «فيدخل به النار» بدون هاء الضمير.

(٢) إسناده ضعيف، ولٰكن صحيح لغيره لطرقه وشواهده.

رواية المؤلف عن مسلم بن يسار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه توافق رواية مالك في «الموطأ»، وفي كلتا الروايتين انقطاع؛ لأن مسلم بن يسار لم يسمع من عمر بن الخطاب كما صرح بذٰلك الخازن والحافظ ابن عبد البر، وقد روى هٰذا الحديث موصولاً كل من الطبراني أبي داودد والنسائي؛ كما نقل ذٰلك عنهم ابن عبد البر.

أما أبو داود والنسائي؛ فإنهما أخرجاه عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقال الحافظ بن عبد البر: «وبالجملة؛ فإسناده ليس بقائم؛ فمسلم ونعيم غير معروفين بحمل العلم، ولٰكن صح معناه من وجوه كثيرة عن عمر وغيره».

انظر: «أوجز المسالك إلى موطأ مالك» باختصار (٤ / ٩٦، ٩٩)، و«معالم السنن» لأبي سليمان الخطابي بهامش «مختصر سنن أبي داود» (ج ٧، ص ٧٢ ـ ٧٣).

قال الألباني: «صحيح لغيره؛ إلا مسح الظهر، فلم أجد له شاهداً» «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٣٠٧٠)، و«تخريج الطحاوية» (ص ٢٦٦).

والحديث؛ رواه الآجري أيضاً في «الشريعة» (١٧٠)، ورواه مالك في «الموطأ» في أول (القدر، ٢ / ٨٩٨)، وأحمد في «مسنده» حديث (رقم ٣١١)، ترقيم أحمد شاكر، والترمذي في (التفسير من سورة الأعراف، ٤ / ٣٣١)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٢٧)، وأبو داود في «سننه» (٤ / ٢٢٦ ـ ٢٢٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١ / ١٣٨ ـ ١٣٩)، وقد صحح الحديث أيضاً كل من أحمد شاكر في شرحه على «مسند الإمام أحمد» (حديث رقم ٣١١)، والأرناؤوط في تعليقه بهامش «شرح السنة» للبغوي (١ / ١٣٩)، وقال الترمذي: «حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هٰذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً».

انظر: الترمذي (٤ / ٣٣٠، تفسير سورة الأعراف).

عبيدة عن أبي عبد الرحمٰن السلمي عن علي رضي الله عنه؛ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فلما انتهينا إلى بقيع الغرقد؛ قعد رسول الله ﷺ وقعدنا حوله؛ فأخذ عوداً فنكت[1] به في الأرض، ثم رفع رأسه؛ فقال: «ما منكم من نفس منفوسة[2] إلا قد علم مكانها من الجنة والنار، وشقية أو سعيدة»؛ فقال رجل من القوم: يا رسول الله ﷺ! ألا ندع العمل ونعمل على كتاب ربنا، فمن كان من أهل الجنة؛ صار إلى السعادة، ومن كان من أهل الشقوة؛ صار إلى الشقوة؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق (له)[3]، فمن كان من أهل الشقوة؛ يسر لعملها، ومن كان من أهل السعادة؛ يسر لعملها»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى﴾[4].

(١) قال ابن الأثير: «(النكت): ضرب الشيء بالعصا واليد ليؤثر فيه». «جامع الأصول» (ج ١٠، ص ١١٢).

(٢) أي: مولودة، يقال: نفست المرأة ونفست؛ بفتح النون، وضمها: إذا ولدت. «جامع الأصول» (ج ١٠، ص ١١٢).

(٣) ساقطة من (١)، والسياق يقتضي إثباتها كما في بعض طرق هٰذا الحديث.

(٤) الليل: ٧.

والحديث؛ أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، تفسير سورة؛ ﴿والَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، ٦ / ٢١١ ـ ٢١٢)، ومسلم في (كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ٤ / ٢٠٣٩ ـ ٢٠٤٠) عن جرير عن منصور. . . به، وابن أبي عاصم (١ / ٧٤ ـ ٧٥) عن أبي الأحوص عن منصور. . . به، وأبو داود في (كتاب السنة، باب في القدر، ٤ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣) من منصور. . . به، والترمذي في «جامعه» (باب ما جاء في الشقاء والسعادة، ٣ / ٣٠١ ـ ٣٠٢)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وعبد الرزاق في «مصنفه» في (باب القدر، ١١ / ١١٥) عن منصور. . . به، واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (٢ / ٥٨٨)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (١ / ٣١، باب ما جاء في العمل مع القدر)، والآجري في «الشريعة» (١٧١)، وابن ماجه في القدر المقدمة (١ / ٣٠).

١٣١٥ ـ حدثنا النيسابوري؛ قال: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي / ح، وحدثني أبو صالح؛ قال: حدثنا أبو الأحوص؛ قال: حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين / ح، وحدثنا أبو شيبة؛ قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع؛ قالا: حدثنا سفيان عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمٰن السلمي عن علي؛ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة؛ فقال: «ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة»؛ قالوا: يا رسول الله! ألا نتكل؟ قال: «اعملوا؛ فكل ميسر»، ثم قرأ: ﴿فَأَما مَنْ أَعْطى واتَّقى . وَصَدَّقَ بالحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وأَمَّا مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ للعُسْرَى﴾[1]»[2].

١٣١٦ ـ حدثنا أبو بكر محمد بن محمود السراج؛ قال: حدثنا زياد بن أيوب؛ قال: حدثنا محمد بن عبيد؛ قال: حدثنا هاشم[3] بن البريد عن إسماعيل الحنفي عن مسلم البطين[4] عن أبي عبد الرحمٰن السلمي؛ قال: «أخذ بيدي علي رضي الله عنه؛ فانطلقنا نمشي حتى جلسنا على شاطىء الفرات، فقال علي: قال رسول الله ﷺ: «ما من نفس منفوسة إلا قد سبق لها من الله عز وجل شقاء أو سعادة»، فقام رجل فقال: يا رسول الله! ففيم إذاً نعمل؟ قال: «اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له»، ثم قرأ هٰذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقى . وَصَدَّقَ بالحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وأَمَّا مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنَى .

---

(١) الليل: ٥ ـ ١٠.

(٢) تقدم تخريجه في الحديث المتقدم (برقم ٤١).

(٣) هاشم بن البريد (بكسر الراء) الكوفي عن أبي إسحاق ومسلم البطين، وعنه ابنه علي ومسلم بن قتيبة، وثقه ابن معين وغيره وقال: «إلا أنه يترفض». «الخلاصة» مع الهامش (ص ٤٠٨).

(٤) وهو مسلم بن عمران البطين ويقال ابن أبي عمران أبو عبد الله الكوفي؛ ثقة من السادسة. «التقريب» (٢ / ٢٤٦).

وقال في هامش «التقريب»: «بطين؛ بفتح، فكسر»؛ كما في «المَغني».

وكَذَّبَ بِالحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[(1)]»[(2)].

١٣١٧ - وحدثنا أبو علي محمد بن يوسف البيع ؛ قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن خلف؛ قال: حدثنا حجاج، حدثنا حماد؛ قال: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وأنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل النار، (فإذا كان قبل[(3)] موته؛ تحول فعمل بعمل أهل النار)، فمات، فدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل الجنة، فإذا كان قبل موته؛ تحول فعمل بعمل أهل الجنة، فمات فدخل الجنة»[(4)].

١٣١٨ - حدثنا أبو علي محمد بن يوسف؛ قال: حدثنا أبو رويق عبد الرحمٰن بن خلف؛ قال: حدثنا حجاج؛ قال: حدثنا حماد؛ قال حميد عن أنس

---

(١) الليل: ٥ - ١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «كتاب السنة»، (باب ذكر قول النبي ﷺ: «الشقي من شقي في بطن أمه»، والطبع والجبل والخير عن محمد بن معمر عن محمد بن عبيد... به» (١ / ٨٣).

قال الألباني: «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم؛ غير هاشم بن البريد وهو ثقة، وإسماعيل الحنفي وهو ابن السميع السابري» «تخريج السنة» (١ / ٨٤).

والحديث؛ أخرجه الشيخان وغيرهما من طريق أخرى عن السلمي... به بنحوه، وقد مضى (برقم ٤١).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (١) وثابت في (م)، وفي رواية أحمد في «مسنده» (٦ / ١٠٧)، ويدل عليه آخر الحديث أيضاً.

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٦ / ١٠٧) عن حماد... به، و(١٠٨) عن هشام... به، والبخاري في (كتاب التفسير، تفسير سورة: ﴿واللَّيْلِ إذا يَغْشى﴾، ٦ / ٢١١ - ٢١٢) بمعناه عن أبي عبد الرحمٰن السلمي عن علي رضي الله عنه.

قال الهيثمي: «ورواه أبو يعلى والبزار والطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح عن أنس وعائشة رضي الله عنهما» (٧ / ٢١١ - ٢١٢).

أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل البرهة[1] من عمره بعمل أهل الجنة، فإن كان قبل موته؛ تحول فعمل بعمل أهل النار، فمات، فدخل النار، وإن الرجل ليعمل البرهة من عمره بعمل أهل النار فإذا كان قبل موته؛ تحول فعمل بعمل أهل الجنة، فمات، فدخل الجنة»[2].

١٣١٩ ـ حدثنا إسماعيل بن محمد الصفار؛ قال: حدثنا الحسن بن عرفة؛ قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن علية عن يزيد بن مطرف بن عبد الله ابن الشخير عن عمران بن حصين؛ قال: «قال رجل: يا رسول الله! أعلم الله أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «نعم»، قال: ففيم يعمل العاملون؟ قال: «اعملوا؛ فكل ميسر»، أو كما قال»[3].

١٣٢٠ ـ حدثنا إسماعيل الصفار؛ قال: حدثنا الحسن بن عرفة؛ قال: حدثنا الحسن بن ثابت الجزري عن عبيد بن عبد الرحمن بن موهب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ؛ قال: «إن العبد ليعمل الزمن الطويل من عمره أو كله بعمل أهل الجنة، وأنه لمكتوب عند الله من أهل النار، وأن

---

(١) البرهة؛ بضم الباء وفتحها كما في «المختار»: مدة طويلة من الزمان.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» في أبواب القدر (١ / ١٧٤ ـ ١٧٥) عن خالد عن حميد. . . به.

قال الألباني: «إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال مسلم»، وهو مخرج في «الصحيحة» (١٣٣٤)، وأحمد في «مسنده» عن عفان عن حماد. . . به (٣ / ٢٥٧، ١٢٠، ٢٢٣)، واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢ / ٥٩٠)، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح.

انظر: «مجمع الزوائد» (٧ / ٢١١).

(٣) أخرجه البخاري في (باب جف القلم على علم الله وأضله الله على علم، ٨ / ١٥٢ ص ١٥٣) عن عبد الله بن الشخير. . . به، ومسلم في «صحيحه» في (كتاب القدر، ٤ / ٢٠٤١)، وأبو داود في «سننه» (٤ / ٢٢٨ في كتاب السنة، باب القدر) عن مطرف. . . به.

العبد ليعمل الزمن الطويل من عمره أو أكثره بعمل أهل النار، وأنه لمكتوب عند الله من أهل الجنة»[1].

١٣٢١ ـ حدثنا النيسابوري ؛ قال: حدثنا الربيع بن سليمان من كتابه[2] مرتين ؛ قال: حدثنا عبد الله بن وهب عن أسامة عن ابن حازم عن سهل بن سعد الساعدي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن العبد ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبـدو للناس وإنه لمن أهل النار، وأن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه لمن أهل الجنة»[3].

١٣٢٢ ـ حدثنا النيسابوري ؛ قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى من كتابه (كتـاب القدر)؛ قال: حدثنا عبد الله بن وهب؛ قال: أخبرني سعيد بن عبد

---

(١) صحيح رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١ / ١١٢) في أبواب القدر.

قال الألباني: «حديث صحيح، رجاله ثقات رجال البخاري ؛ إلا أنه إنما أخرج لعبد الله موهب في «الأدب المفرد» وفيه ضعف».

وقال الحافظ في «التقريب»: «ليس بالقوي، لُكن ؛ تابعه حماد بن سلمة وابن أبي الزناد عن هشام بن عروة . . . به أنتم منه».

وأخرجه أحمد عن طريق حماد وابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنه (٦ / ١٠٧ ـ ١٠٨).

ويشهد له حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم في «صحيحه» (٤ / ٢٠٤٢)، وأحمد في «مسنده» (٢ / ٤٨٤ ـ ٤٨٥) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة.

(٢) سقطت من (م): «كلمة» من كتابة مرتين.

(٣) أخرجه مسلم في (كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي، ٤ / ٢٠٤٢) والبخاري في (باب العمل بالخواتيم، ٨ / ١٥٥) عن سهل بن سعد . . .به، وابن أبي عاصم عن سهل بن سعد (١ / ٩٦ ـ ٩٧).

قال الألباني: «والحديث إسناده جيد، رجاله ثقات رجال الشيخين».

أخرجه الشيخان وغيرهما من طرق أخرى عن أبي حازم. «ظلال الجنة في تخريج السنة» (١ / ٩٧).

الرحمٰن عن حازم عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو لناس وأنه لمن أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وأنه لمن أهل الجنة»[1].

١٣٢٣ ـ حدثنا أبو الحسن أحمد بن القاسم الشني؛ قال: حدثنا إسحاق ابن إبراهيم بن عباد الدبري / ح، وحدثنا إسماعيل بن محمد الصفار؛ قال: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي؛ قالا: حدثنا عبد الرزاق؛ قال: أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب أن عمر بن الخطاب؛ قال: «يا نبي الله! أرأيت ما نعمل لأمر قد فرغ منه أم لأمر نستقبله استقبالاً؟ فقال: «بل لأمر قد فرغ منه». فقال: ففيم العمل؟ فقال النبي ﷺ: «كل لا ينال إلا بالعمل»، قال عمر: إذاً نجتهد»[2].

١٣٢٤ ـ حدثنا أبو الحسن الشنِّي؛ قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري / ح، وحدثنا الصفار؛ قال: حدثنا الرمادي؛ قالا: حدثنا عبد الرزاق؛ قال: أخبرنا معمر عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمٰن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: «خرجنا على جنازة، فبينا نحن

---

(١) تقدم تخريجه في الحديث الذي قبله عن البخاري ومسلم وابن أبي عاصم برقم (٤٨).

(٢) صحيح. أخرجه أحمد في «مسنده» (١ / ٢٩ و٢ / ٥٢، ٧٧) عن عمر بن الخطاب وعن أبي الدرداء (٦ / ٤٤١)، والترمذي عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر رضي الله عنه.

قال الترمذي (٣ / ٣٠١): «وفي الباب عن علي وحذيفة ابن أسيد وأنس وعمران بن حصين هٰذا حديث حسن صحيح»، وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (١ / ٧١ ـ ٧٢، في باب ما ذكر عن النبي ﷺ: «إنما تعملون في أمر قد فرغ منه» عن الزبيدي عن الزهري.

قال الألباني: «حديث صحيح»، ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢ / ٥٨١).

بالبقيع؛ إذ خرج علينا رسول الله ﷺ وبيده مخصرة[1]، فجلس ثم نكت[2] بها في الأرض ساعة، ثم قال: «ما من نفس منفوسة[3] إلا قد كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة». قال: فقال رجل: أفلا نتكل على كتابها يا رسول الله وندع العمل؟ قال: «لا، ولكن، اعملوا؛ فكل ميسر، أما أهل الشقاء؛ فييسرون لعمل الشقاء، وأما أهل السعادة؛ فييسرون لعمل السعادة»، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿فأَمَّا مَنْ أَعْطى واتَّقى . وصَدَّقَ بالحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[4]»[5].

١٣٢٥ - حدثنا أبو بكر محمد بن بكر؛ قال: حدثنا أبو داود؛ قال: حدثنا حفص بن عمر النمري؛ قال: حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابن عمر عن أبيه؛ قال: «يا رسول الله! أرأيت

---

(١) بكسر الميم، وسكون المعجمة، وفتح الصاد المهملة: هي عصا أو قضيب يمسكه الرئيس يتوكأ عليه ويدفع به عنه، ويشير به إلى ما يريد، وسميت بذلك لأنها تحمل تحت الخصر غالباً للاتكاء عليها.

«فتح الباري» (ج ١١، ص ٤٩٦).

(٢) (النكت): ضرب الشيء بالعصا واليد ليؤثر به. ابن الأثير «جامع الأصول» (ج ١٠، ص ١١٢).

(٣) أي مولودة، يقال: نفست المرأة، ونفست؛ بفتح النون وضمها: إذا ولدت. ابن الأثير «جامع الأصول» (ج ١٠، ص ١١٢).

وقال الحافظ في «الفتح»: «قوله منفوسة؛ أي: مصنوعة مخلوقة» (ج ١١، ص ٤٩٦).

(٤) الليل: ٥ - ١٠.

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» في (كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، ٤ / ٢٠٣٩ - ٢٠٤٠)، والترمذي في «جامعه» في (تفسير: ﴿والليل إذا يغشى﴾، ٥ / ١١١ - ١١٢)، وأبو داود في (كتاب السنة، باب في القدر، ٤ / ٢٢٢ - ٢٢٣).

ما نعمل فيه؛ أفي أمر قد فرغ منه أو أمر مبتدأ أو مبتدع؟ فقال: «لا، في أمر قد فرغ منه، اعمل يا ابن الخطاب؛ فكل ميسر، من كان من أهل السعادة؛ فإنه يعمل للسعادة، ومن كان من أهل الشقاء؛ فإنه يعمل للشقاء»»(1).

١٣٢٦ ـ حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز وأبو عبيد القاسم بن إسماعيل المحاملي؛ قالا: حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج الحمصي؛ قال: حدثنا بقية بن الوليد؛ قال: حدثني الزبيدي عن راشد بن سعد عن عبد الرحمٰن بن قتادة النضري عن أبيه عن هشام بن حكيم أن رجلاً قال: «يا رسول الله! أبتدئت الأعمال أم قد قضى القضاء؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه، ثم قال: «هٰؤلاء في الجنة وهٰؤلاء في النار، فأهل الجنة؛ ييسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار؛ ييسرون لعمل أهل النار»»(2).

١٣٢٧ ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد المتوثي؛ قال: حدثنا أبو داود؛ قال: حدثنا قتيبة بن سعيد؛ قال: حدثنا بكر (يعني: بن مضر)؛ قال أبو داود/ح: وحدثنا قتيبة؛ قال: حدثنا الليث بن سعد؛ قال أبو داود / ح: وحدثنا قتيبة؛ قال: حدثنا ابن لهيعة وهٰذا لفظ حديث الليث وهو أشبع عن أبي(3) قبيل

---

(١) صحيح.

أخرجه الترمذي في أبواب القدر عن شعبة. . . به (٣ / ٣٠١ في باب ما جاء في الشقاء والسعادة)، وقال: «حسن صحيح»؛ وأحمد في (١ / ٢٩، ٢ / ٥٢ ـ ٧٧) عن شعبة. . . به، (٣ / ٣٠٤) عن سراقة، و (٦ / ٤٤١) عن أبي الدرداء (٤ / ٦٧) عن ذي اللحية الكلابي بلفظ قريب.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن مردويه عن عبد الرحمٰن بن قتادة. . . به. ابن كثير (٢ / ٢٦٣).

(٣) أبو قبيل اسمه حي بن هانيء؛ بضم الحاء مهملة، وبيائين مصغراً.

قال: في «التقريب»: «حي بن هانيء بن ناضر؛ بنون ومعجمة: أبو قبيل؛ بفتح القاف، وكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة: العافري، البصري، صدوق يهم، من الثالثة، مات سنة ثمان وعشرين» (١ / ٢٠٩).

عن شفي[1] بن ماتع عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ؛ فقال: «هٰذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم؛ فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً»، وقال: «هٰذا[2] كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أحمل على

---

(١) قال في «التقريب»: «شفي؛ بضم الشين المعجمة، وبالفاء مصغراً: ابن مانع بمثناة إلا صبحي ثقة من الثالثة... مات في خلافة هشام».

(٢) الظاهر من الإشارة أن هٰذا الكتاب محسوس مشاهد، قيل: تمثيل واستحضار؛ فالنبي ﷺ كما كوشف له بحقية هٰذا الأمر، وأطلعه الله عليه اطلاعاً لم يبق معه خفاء صور الشيء الحاصل في قلبه بصورة الشيء الحاصل في يده، وأشار إليه إشارة إلى المحسوس... وقيل: إن هٰذا الكلام صادر على طريق التصوير والتمثيل مثل الثابت في علم الله تعالى أو المثبت في اللوح بالمثبت بالكتاب الذي كان في يده، ولا يستبعد إجراؤه على الحقيقة؛ فإن الله تعالى قادر على كل شيء والنبي ﷺ مستعد لإدراك المعاني الغيبية، ومشاهدة هٰذه الصور المصوغة لها. «تحفة الأحوذي شرح الترمذي» للمباركي فوري (٦ / ٣٥٠).

قلت: ظاهر الحديث في بعض الروايات يدلنا على أن هٰذا الكتاب كان في يده عليه الصلاة والسلام حقيقة دون إرادة المجاز والتمثيل للمعاني الموجودة في ذهنه عليه الصلاة والسلام، جاء في رواية الترمذي عن عبد الله بن عمرو قوله رضي الله عنه: خرج إلينا رسول الله وفي يده كتابان؛ فقال: «أتدرون ما هٰذان الكتابان؟»، قلنا: لا يا رسول الله، ألا تخبرنا؟ فقال: «للذي في يده اليمنى هٰذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم...» إلى أن قال: «ثم قال للذي في شماله: هٰذا كتاب من رب العالمين...» الحديث.

وفي رواية المؤلف في الحديث: «بعد هٰذا كتاب من الرحمٰن الرحيم...» إلى أن قال: «ثم أخرج كتاباً آخر؛ فقرأه عليهم..» الحديث.

وفي حديث آخر عن براء بن عازب جاء فيه أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم وفي يده صحيفتان ينظر فيهما؛ فقال أصحابه: والله إن نبي الله ﷺ لأمي لا يقرأ وما يكتب حتى دنا منهم نشر التي في يمينه... الحديث.

رواه الطبراني في «الأوسط» بسند ضعيف. «مجمع الزوائد» (٧ / ٨٨).

وهٰذه الروايات تدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان في يده كتابان أو صحيفتان، أحدهما =

آخرهم؛ فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً». فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمراً قد فرغ منه؟ فقال: «سددوا[1] وقاربوا؛ فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل»، ثم قال بيده؛ فنبذها، ثم قال: «فرغ ربكم من العباد ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[2]»[3].

١٣٢٨ ـ حدثنا النيسابوري؛ قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى؛ قال: حدثنا ابن وهب / ح، وحدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب المتوثي

= في يده اليمنى والآخر في يده اليسرى، قرأهما على أصحابه وهم يشاهدون في يده هٰذين الكتابين، ومثل هٰذه الدلالات لا تصلح إلا للمحسوسات.

(١) السداد: الصواب في القول والعمل، والمقاربة: القصد فيهما؛ كما في «جامع الأصول» لابن الأثير (ج ١٠، ص ١٠٢).

(٢) الشورى: ٧، صدر الآية: ﴿وكذٰلك أَوْحَيْنا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرى ومَنْ حَوْلَها وتُنْذِرَ يومَ الجمعِ لا رَيْبَ فيهِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ في السَّعيرِ﴾.

(٣) حسن، أخرجه أحمد في «مسنده» (٢ / ١٦٧) عن الليث... به.

وقال الألباني في رواية أحمد: «إسناده صحيح»؛ كما في «المشكاة» (١ / ٣٦)، والترمذي (٣ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥)، وقال: «حسن صحيح غريب» في (كتاب القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار)، والنسائي*، والطبراني؛ كما في «فتح الباري» (١ / ٤٨٨)، واللالكائي (٢ / ٥٨٧)، وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (١ / ١٥٤) عن شبابة عن الليث... به.

وقال الألباني: «إسناده حسن»، وذكره في «الصحيحة» (٢ / ٥٢٨)، وقال: «إسناده حسن، وأبو قبيل اسمه حي بن هانيء»، وثقه أحمد وجماعة، وقال ابن حبان في «الثقات»: «يخطىء»، وفي «التقريب»: «صدوق يهم». «الصحيحة» (٢ / ٥٢٨).

وأخرجه الآجري في «الشريعة» في (باب السنن والآثار المبينة، ١٧٣ ـ ١٧٤).

---

* ولعله في «الكبرى»، ولا يوجد في «الصغرى»؛ كما قاله الألباني في «الصحيحة» (٢ / ٥٢٩).

بالبصرة؛ قال: حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني؛ قال: حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني؛ قال: أخبرنا ابن وهب؛ قال: أخبرنا عبد الرحمٰن بن سليمان عن عقيل عن عكرمة عن ابن عباس؛ قال: «خرج النبي ﷺ يوماً، فسمع ناساً يذكرون القدر؛ فقال: «إنكم قد أخذتم في شعبتين بعيدتي الغور، فيهما أهلك أهل الكتاب»، ولقد أخرج يوماً كتاباً؛ فقال: «هٰذا كتاب من الرحمٰن الرحيم، فيه تسمية أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم مجمل[1] على آخرهم لا ينقص منهم؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير»، ثم أخرج كتاباً آخر، فقرأه عليهم: «هٰذا كتاب من الرحمٰن الرحيم، فيه تسمية أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم مجمل على آخرهم لا ينقص منهم؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير»[2].

●●●●●

(١) قال ابن الأثير: «أجملت الحساب إذا جمعته وكملت أفراده؛ أي: جمعوا يعني أهل الجنة والنار عن آخرهم، وعقدت جملتهم فلا يتطرق إليها زيادة ولا نقصان». «جامع الأصول» (ص ١٠ / ١٠٨).

(٢) روى المؤلف هٰذا الحديث فيما تقدم مختصراً بهٰذا الإسناد.

انظر: (حديث رقم ١٢٧٧)، وتقدم بيان من خرجه هناك.

الباب السادس

في الإيمان بأن الله عز وجل أخذ ذرية آدم من ظهورهم[1] فجعلهم فريقين: فريقاً للجنة، وفريقاً للسعير

١٣٢٩ ـ حدثنا أبو صالح محمد بن أحمد بن ثابت؛ قال: حدثنا أبو علي الحسن بن علي العنزي / ح، وحدثنا أبو حفص عمر[2] بن محمد بن رجاء؛ قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن داود البصروي؛ قال: حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري؛ قال: حدثنا الهيثم بن خارجة؛ قال: حدثنا سليمان بن عتبة أبو الربيع السلمي؛ قال: سمعت يونس بن ميسرة بن حلبس[3] عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ؛ قال: «خلق الله عز وجل آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى؛ فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر[4]، وضرب كتفه اليسرى؛ فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم[5]، فقال للتي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للتي في يساره: إلى النار ولا أبالي»[6].

(١) هكذا في الأصل، وفي (م): «من ظهرهم».

(٢) في (م): «أبو حفص محمد بن رجاء» بإسقاط كلمة عمر.

(٣) قال في «الخلاصة»: «يونس بن ميسرة بن حليس؛ بفتح المهملة والموحدة، بينهما لام ساكنة، وآخره مهملة: الحميري وثقه الدارقطني» (ص ٤٤١).

(٤) (الذر): صغار النمل؛ كما في «فتح الرباني» ترتيب «مسند الإمام أحمد» (١ / ١٢٣).

(٥) في «المختار»: «و(الحمم): الرماد والفحم وكل ما احترق من النار، والواحدة حممة».

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» في (٦ / ٤٤١) عن الهيثم بن خارجة عن أبي الربيع . . . =

١٣٣٠ ـ حدثنا إسماعيل بن محمد الصفار وأبو ذر بن الباغندي وأبو جعفر محمد بن عمرو بن البختري؛ قالوا: حدثنا أبو عثمان سعدان بن نصر البزاز؛ قال: حدثنا إسحاق الأزرق عن عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير عن أبي موسى؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنوا آدم على قدر الأرض؛ منهم الأحمر والأسود، والسهل والحزن وبين ذٰلك، والخبيث والطيب»(١).

١٣٣١ ـ حدثنا أبو العباس عبد الله بن عبد الرحمٰن العسكري؛ قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن منصور الحارث؛ قال: حدثنا يحيى بن سعيد؛ قال: حدثنا عوف الأعرابي؛ قال: حدثني قسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق آدم بقبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنوا آدم على قدر الأرض؛ فجاء منهم الأسود والأبيض والأحمر، وبين ذٰلك الخبيث والطيب والسهل وبين ذٰلك»(٢).

= به.

وقال صاحب «التنقيح»: «رجال أحمد رجال الحسن». «الفتح الرباني» (١ / ١٢٣).

وقال الهيثمي: «ورواه البزار والطبراني، ورجاله رجال الصحيح». «مجمع الزوائد» (٧ / ١٨٥).

قال الألباني: «رواه أحمد وابنه في «زوائد المسند» (٦ / ٤٤١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥ / ١٣٦ / ١)، «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (المجلد الأول، رقم حديث ٤٩، ص ٧٧)، وقال: إسناده صحيح».

(١) صحيح، أخرجه الترمذي في (تفسير سورة البقرة، ٤ / ٢٧٣)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وأبو داود في «سننه» في (كتاب السنة، باب القدر، ٤ / ٢٢٢)، وسكت عنه المنذري، وأحمد في «مسنده» عن يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر عن عوف الأعرابي . . . به (٤ / ٤٠٠، ٤٠٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩ / ٣ في كتاب السير، باب مبتدأ الخلق).

(٢) تقدم تخريجه (رقم ١٣٣١).

١٣٣٢ - حدثنا أبو صالح ؛ قال : حدثنا أبو الأحوص ؛ قال : حدثنا مسلم ابن إبراهيم ؛ قال : حدثنا أبو رجاء الكلبي روح بن المسيب[1] ؛ قال : حدثنا يزيد الرقاشي[2] عن غنيم[3] بن قيس عن أبي موسى الأشعري ؛ قال : «والمسجد يومئذ مغرز بالقصب ؛ قال : وهو قائم على رجليه يعلمنا القرآن آية آية ونحن صف بين يديه ، فقال أبو موسى : قال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل يوم خلق آدم ؛ قبض من صلبه قبضتين ، فوقع كل طيب بيمينه وكل خبيث بشماله ، فقال : هٰؤلاء أصحاب اليمين ولا أبالي ، وهٰؤلاء أصحاب الجنة ولا أبالي ، وهٰؤلاء أصحاب الشمال ولا أبالي ، وهٰؤلاء أصحاب النار ولا أبالي ، ثم أعادهم في صلب آدم ؛ فهم يتناسلون الآن»[4] .

(١) روح بن المسيب ؛ بفتح الياء المشددة ، وهٰذا قاعدة عامة في كل من اسمه المسيب ما عدا أبا سعيد بن المسيب ، فإنه يجوز فيه الوجهان ؛ فتح الياء ، وكسرها ، فلذا ؛ يقول السيوطي في «ألفيته» : «كلّ مسيب ؛ فبالفتح سوى أبي سعيد ، فالزجهين حوى» (ص ٢٦٩) .

(٢) وهو يزيد بن أبان الرقاشي بتخفيف القاف ثم معجمة أبو عمرو البصري القاصي وله أخبار في المواعظ والخوف والبكاء زاهد ضعيف من الخامسة ، مات قبل العشرين .

«التقريب» (ج ٢ ، ص ٣٦١) ، و«الخلاصة» (٤٣) .

(٣) قال في «الخلاصة» : «غنيم ؛ بنون مصغراً : ابن قبس الكعبي المازني مخضرم ، وثقه النسائي» (ص ٣٠٧) .

(٤) إسناده ضعيف .

أخرجه ابن أبي عاصم في (باب ذكر أخذ ربنا لميثاق من عباده ، ١ / ٨٩) عن قيس بن محمد الكندي عن روح ابن المسيب . . . به .

قال الهيثمي : «رواه البزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ، وفيه روح بن المسيب» .

قال ابن معين : «صويلح وضعفه غيره» . «مجمع الزوائد» (٧ / ١٨٦) .

وقال الألباني : «إسناده ضعيف جداً يزيد بن أبان الرقاشي متروك ؛ كما قال النسائي وغيره ، وروح بن المسيب ليس بالقوي» .

والحديث ؛ أخرجه البزار في «مسنده» (ص ٢٢٨ - ٢٢٩) .

وقال الحافظ : «يزيد الرقاشي ضعيف جداً» ، وغفل عن هٰذا الهيثمي ؛ فأعله في «المجمع» =

١٣٣٣ ـ حدثني أبو صالح؛ قال: حدثنا أبو الأحوص؛ قال: حدثنا مسلم ابن إبراهيم؛ قال: حدثني النمر بن هلال النمري؛ قال: حدثنا سعيد الجريري[١] عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «في القبضتين: هٰذه في الجنة ولا أبالي، وهٰذه في النار ولا أبالي»[٢].

١٣٣٤ ـ حدثنا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر؛ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس؛ قال: «مسح الله ظهر آدم عليه السلام؛ فأخرج في يمينه كل طيب، وأخرج في يده الأخرى كل خبيث»[٣].

١٣٣٥ ـ حدثنا أبو شيبة؛ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا فطر بن خليفة عن ابن سابط[٤]؛ قال: قال أبو بكر رحمه

= بالذي دونه، فقال: «رواه البزار والطبراني في «الكبير»، و«الأوسط»، وفيه أروح بن المسيب».

قال ابن معين: «صوليح وضعفه غيره». «ظلال الجنة في تخريج السنة» (١ / ٩٠).

وأخرجه الآجري أيضاً (١٧٣) عن عبد الأعلى بن حماد عن روح بن المسيب... به، في (باب ذكر السنن والآثار المبينة).

(١) بضم الجيم، ومهملتين: أبو مسعود البصري عن أبي نضرة، وعنه شعبة والثوري والحمادان.

قال ابن معين: «ثقة»، مات سنة (١٤٤هـ) «الخلاصة» (١٣٦).

في (١) الحريري، وهو خطأ؛ لأن الذي ينسب إلى الحريري هو يحيى بن بشر الحريري لا غير، وأما غيره؛ فيقرأ بالجيم المضمومة وإلى هٰذه القاعدة، أشار السيوطي في «ألفيته»؛ فقال: يحيى هو ابن البشر الحريري، وغيره بالضمة الجريري (ص ٢٧١).

(٢) قال الهيثمي: «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير نمر بن هلال»، وثقه أبو حاتم. «مجمع الزوائد» (٧ / ١٨٦).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري. «تفسير الطبري» (٩ / ١١١، تفسير سورة الأعراف).

(٤) وهو عبد الرحمٰن بن سابط الجمحي القرشي المكي، وثقه ابن معين، مات سنة (١١٨هـ). «الخلاصة» (٢٢٧).

الله: «خلق الله الخلق فكانوا (قبضتين)[1]؛ فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي، فذهبتا إلى يوم القيامة»[2].

١٣٣٦ - حدثنا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر؛ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا المسعودي عن علي بن بذيمة[3] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس؛ قال: «لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام؛ أخذ ميثاقه ومسح ظهره من ذريته كهيئة الذر؛ فكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، وأشهدهم على أنفسهم، ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا»[4].

---

(١) هكذا في «مصنف عبد الرزاق»، وفي (١): «وكانوا قبضته»، وما أثبتناه أوضح ويناسب السياق.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» عن الثوري عن فطري بن خليفة... به (١١ / ١٢٣ في باب القدر)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» بإسنادين؛ أحدهما عن مروان بن معاوية الفزاري عن فطري بن خليفة، والثاني عن أبي إسحاق عن فطري بن خليفة، كلاهما عن عبد الرحمٰن بن سابط عن أبي بكر (٢ / ٦٤١).

وقال في «كنز العمال» (ج ١، ص ٣٣٤).

رواه حسن بن أصرم في «الاستقامة» عن عبد الرحمٰن بن سابط.

وأورده ابن القيم في «شفاء العليل» (١٢) عن إسحاق عن وكيع عن مضر عن ابن سابط عن أبي بكر.

(٣) علي بن بذيمة؛ بكسر المعجمة: مولى جابر بن سمرة، كوفي، نزل الجزيرة عن سعيد ابن جبير. وثقه ابن معين، والنسائي، وأبو زرعة، وقال أحمد: «هو رأس في التشييع»، قيل: مات بخراسان سنة ست وثلاثين ومئة. «الخلاصة» (٢٧١).

(٤) أخرجه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ؛ عن ابن عباس. السيوطي، «الدر المنثور» (٣ / ٥٩٨)، في تفسير سورة الأعراف، بلفظ قريب، وأورده ابن القيم عن إسحاق بن الملاوي عن المسعود عن علي بن بذيمة... به.

١٣٣٧ - حدثنا أبو بكر محمد بن العباس بن مهدي الصائغ؛ قال: حدثنا العباس بن محمد بن حاتم؛ قال: حدثنا عبيد الله بن موسى العبسي؛ قال: حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله عز وجل: ﴿وإِذْ أَخذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدمَ مِنْ ظُهُورِهِم. . .﴾[١] إلى قوله: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ﴾؛ قال: «جمعهم جميعاً فجعلهم أزواجاً، ثم صورهم، ثم استنطقهم؛ فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ﴾: لم نعلم بهذا. قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إلـه[٢] لنا غيرك. قال: فإني سأرسل إليكم رسلي، وأنزل عليكم كتبي؛ فلا تكذبوا برسلي، وصدقوا بوعدي؛ فإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي. قال: فأخذ عهدهم وميثاقهم، ثم رفع أباهم آدم عليهم، فنظر إليهم، فرأى فيهم الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: رب! لو شئت سويت بين عبادك. قال: إني أحببت أن أشكر. قال: والأنبياء فيهم يومئذ مثل السرج. قال: وخصوا بميثاق آخر للرسالة أن يبلغوها. قال: فهو قوله: ﴿وإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُم وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾[٣]. قال: وهو قوله: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٤]، وهو قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِنْ عَهْدٍ وإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُم لَفَاسِقِينَ﴾[٥].

(١) الأعراف: ١٧٣، تمام الآية: ﴿ذُرِّيَتهم وأَشْهَدَهم على أَنْفُسِهِم ألستُ بِرَبِّكُم قالوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقولوا يَوْمَ القِيامَةِ إنَّا كُنَّا عنْ هٰذا غافِلينَ أوْ تَقولوا إنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهم أفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ المُبْطِلونَ﴾.

(٢) في (م) سقطت جملة: «ولا إله لنا غيرك».

(٣) الأحزاب: ٧، تمام الآية: ﴿وإِبْراهيمَ وموسى وعيسى بن مريمَ وَأَخَذْنا مِنْهُم ميثاقاً غليظاً﴾.

(٤) الروم: ٣٠، صدر الآية: ﴿فأقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً﴾، وتمام الآية: ﴿لاَ تَبْديلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولٰكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ﴾.

(٥) الأعراف: ١٠٢.

قال: وذلك قوله: ﴿واذْكُروا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثاقَهُ الَّذي وَاثَقَكُم بِهِ﴾[1]؛ قال[2]: فكان في علم الله يومئذ من يكذبه ومن يصدقه، قال: وكان روح عيسى بن مريم من تلك الأرواح التي أخذ الله[3] عهدها وميثاقها في زمن آدم، فأرسله الله إلى مريم في صورة بشر؛ فتمثل لها بشراً[4] سوياً، قالت: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾[5]؛ قال: فحملت الذي في بطنها[6] قال: أبى؛ فدخل من فيها»[7].

---

(١) المائدة: ٧، تمام الآية: ﴿إذْ قُلْتُم سَمِعْنا وأَطَعْنا واتَّقوا اللهَ إنَّ اللهَ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدورِ﴾.

(٢) في (م): «وكان».

(٣) في (م): «أخذ عهدها بحذف لفظ الجلالة».

(٤) مريم: ١٧، صدر الآية: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِم حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا...﴾ إلخ.

(٥) مريم: ٢٠.

(٦) في (م): «الذي خاطبها».

(٧) حسن أو صحيح، رواه الحاكم في «المستدرك»، وقال: «هٰذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «صحيح» «المستدرك» (٢ / ٣٢٣ - ٣٢٤)، والآجري في «الشريعة» (٢٠٧ - ٢١٠)، وابن جرير في «تفسيره» (٩ / ١١٥)، وقال السيوطي في «الدر المنثور»: «وأخرجه عبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»، وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن منده في «كتاب الرد على الجهمية»، واللالكائي وابن مردويه والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وابن عساكر في «تاريخه» عن أبي بن كعب» «الدر المنثور» (٣، تفسير سورة الأعراف).

قلت: ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢ / ٥٤٨)، وأحمد في «مسنده» (٥ / ١٣٥).

وقال الألباني في رواية أحمد: «سنده حسن موقوف، ولٰكنه في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي». «تخريج المشكاة» (١ / ٤٤).

قلت: ما جاء في هٰذا الأثر يخالف ما دلت عليه الآية الكريمة في سورة مريم، وهي قوله تعالى: ﴿فأرْسَلْنا إلَيْها رُوحنا فَتَمَثَّلَ لها بَشراً سَوِيّاً﴾.

قال ابن كثير: «قال مجاهد والضحاك وقتادة وابن جريج ووهب بن منبه والسدي في تفسير =

١٣٣٨ - حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد القافلائي؛ قال: حدثنا عباس ابن محمد مولى بني هاشم؛ قال: حدثنا محاضر بن المودع الأيامي؛ قال: حدثنا الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد عن ابن عباس؛ قال: «أخذ الله ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر؛ فقال: يا فلان! اعمل كذا، ويا فلان! اسمك كذا، ثم قبض قبضتين؛ قبضة بيمينه، وقبضة بيده الأخرى، فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي؛ فمضت(١)»(٢).

١٣٣٩ - حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب المتوثي بالبصرة؛ قال: حدثنا أبو داود السجستاني؛ قال: حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي؛ قال: حدثنا معتمر بن سليمان؛ قال: حدثني أبي عن الربيع عن رفيع أبي العالية عن أبي ابن كعب في قوله عز وجل: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّاتِهِم

= معنى الآية: ﴿فأرسَلْنا إليْها رُوحَنا﴾: «يعني: جبرائيل عليه السلام، وهٰذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن؛ فإنه تعالى قد قال في الآية الأخرى: ﴿نَزَلَ بهِ الرُّوحُ الأمينُ على قَلْبِكَ لِتَكونَ مِنَ المُنْذِرينَ﴾.

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب؛ قال: «إن روح عيسى عليه السلام من جملة الأرواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم عليه السلام، وهو الذي تمثل لها بشراً سوياً؛ أي: روح عيسى، فحملت الذي خاطبها وحل في فيها، وهٰذا في غاية الغرابة والنكارة وكأنه إسرائيلي». ابن كثير (ج ٣، ص ١١٥).

وقال الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه بهامش «كتاب الشريعة» للآجري (ص ٢٠٩): «وأما دعوى أن روح عيسى جاءت لمريم فخاطبها، ودخلت بعد الخطاب في رحم مريم؛ فذٰلك قول بلا دليل فضلاً عن مجافاته لسياق الآيات والضمائر فيها على الأسلوب العربي، وما قاله المفسرون ابن جرير وابن كثير وغيرهما، والله أعلم».

(١) في (م): «قال: مضت».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير عن ابن عباس السيوطي. «الدر المنثور» (٣ / ١٤١، تفسير سورة الأعراف).

وأَشْهَـدَهُم عَلَى أَنْفُسِهِم﴾[1]، قرأ يحيى إلى قولـه: ﴿المُبْـطِلُونَ﴾؛ قال: «جمعهم واستنـطقهم؛ فتكلموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُـوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ يَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذا غَافِلِينَ . .﴾[2] إلى قوله: ﴿أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ المُبْطِلونَ﴾[3]؛ قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم[4] أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهٰذا أنه لا إلٰه غيري ولا رب غيري؛ فلا تشركوا بي شيئاً، فإني سأرسـل إليكم رسلي تذكـركم عهـدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتابي. قالوا: شهدنا أنك ربنا وإلٰهنا، لا رب لنا غيرك ولا إلٰه لنا غيرك؛ فأقروا يومئذ بالطاعة، ورفع عليهم أباهم آدم فنظر إليهم؛ فرأى فيهم الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذٰلـك، فقـال: رب! لو شئت سويت بين عبادك؟ قال: إني أحببت أن أشكـر، ورأى فيهم الأنبياء مثـل السرج عليهم النور، وخصوا بميثاق آخر في الرسالة والنبوة، وهو الذي يقول: ﴿وإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُم وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وإِبْرَاهِيمَ وَمَوسَى وعِيسى بن مَرْيَمَ وأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثاقاً غَلِيظاً﴾[5]، وهو الذي يقـول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلِّدينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾[6]؛ قال: وكان روح عيسى عليه السلام في تلك الأرواح التي أخذ عليها الميثاق، فأرسل ذٰلك الروح إلى مريم؛ قال: ﴿فَأَرْسَلْنا إِلَيْهَا رُوْحَنَا فَتَمَثَّلَ

---

(١) الأعراف: ١٧٣، تمام الآية: ﴿ألستُ بِرَبِّكُم قالوا بلى شَهِدْنا أنْ تَقولوا يومَ القِيامَةِ إنَّا كُنَّا عنْ هٰذا غافِلينَ﴾.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

(٣) آية: ١٧٣، صدر الآية: ﴿أَوْ تَقـولـوا إنَّما أشْرَكَ آباؤنا مِنْ قبلُ وكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدهم أفَتُهْلِكُنا بما فَعَلَ المُبْطِلُونَ﴾.

(٤) هٰكذا في (م)، وفي (ا): «أباءكم»، وهو خطأ.

(٥) الأحزاب: ٧.

(٦) الروم: ٣٠، تمام الآية: ﴿ذٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولٰكنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ﴾.

لَها بَشَراً سَوِيّاً[1] . قَالَتْ إنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾[2]، حتى بلغ مقضياً، قال: فحملته، قال: حملت الذي خاطبها وهو روح عيسى عليه السلام. فسأله مقاتل بن حيان: من أين دخل الروح؛ فذكر عن أبي العالية عن أبي بن كعب أنه دخل من فيها»[3].

١٣٤٠ ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب المتوثي؛ قال: حدثنا أبو داود السجستاني؛ قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح؛ قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس؛ قال: «إن الله عز وجل ضرب منكبه الأيمن (يعني: منكب آدم عليه السلام)؛ فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية؛ فقال: هٰؤلاء أهل الجنة، ثم ضرب منكبه الأيسر؛ فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء؛ فقال: هٰؤلاء أهل[4] النار، ثم أخذ عهده على الإيمان به والمعرفة له، (ولأمره)[5]، وقال مرة: والتصديق بأمره[6] بني آدم كلهم وأشهدهم على أنفسهم؛ فآمنوا، وصدقوا، وعرفوا، وأقروا»[7].

---

(١) مريم: ١٧، صدر الآية: ﴿فاتَّخَذَتْ مِن دونِهم حِجاباً فأَرْسَلْنا إلَيْها رُوحَنا...﴾ الآية.

(٢) مريم: ١٨.

(٣) تقدم تخريجه في (حديث رقم ٦٤).

(٤) في (م): «هٰؤلاء للنار».

(٥) ساقطة من (١)، أثبتناها من «الشريعة» للآجري.

(٦) هٰكذا في «الشريعة» للآجري، وفي (١): «يأمره يا بني آدم كلهم» وهو خطأ، وفي رواية ابن جرير: «التصديق به وبأمره بني آدم كلهم» (**٩ / ١١٥**).

(٧) رواه الآجري في «الشريعة» عن عبد الله المبارك عن ابن جريج... به (باب ذكر ما تعدى إلينا عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من ردهما على القدرية، ص **٢١٢**)، وابن جرير عن الحسن بن محمد بن الصباح عن عيسى عن ابن جريج... به (**٩ / ١١٥**)، وأورده ابن القيم في =

١٣٤١ ـ حدثنا القاضي المحاملي؛ قال: حدثنا يعقوب الدورقي؛ قال: حدثنا يحيى بن سعيد؛ قال: حدثنا المسعودي؛ قال: حدثنا علي بن بزيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس؛ قال: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّاتِهِم﴾(١)؛ قال: «خلق الله آدم فأخذ ميثاقه أنه ربه، وكتب أجله ورزقه ومصيبته، ثم أخرج ولده(٢) من ظهره كهيئة الذر؛ فأخذ مواثيقهم أنه ربهم، وكتب أجالهم وأرزاقهم ومصيباتهم»(٣).

١٣٤٢ ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب المتوثي؛ قال: حدثنا أبو داود السجستاني؛ قال: حدثنا موسى بن إسماعيل / ح، وحدثني أبو صالح محمد بن أحمد؛ قال: حدثنا أبو الأحوص؛ قال: حدثنا موسى بن إسماعيل / ح، وحدثنا أبو علي محمد بن يوسف؛ قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن خلف؛ قال: حدثنا حجاج بن منهال؛ قال: حدثنا حماد بن سلمة؛ قال: حدثنا أبو نعامة السعدي؛ قال: «كنا عند أبي عثمان النهدي؛ فحمدنا الله وأثنينا عليه ودعوناه، قال: فقلت: لأنا (بأول)(٤) هٰذا الأمر أشد فرحاً مني بآخره، فقال أبو عثمان النهدي(٥): ثبتك الله(٦)، كنا عند سلمان، فحمدنا الله ودعوناه وذكرناه؛

= كتابه «شفاء العليل» (ص ١١) عن محمد بن نصر عن الحسن بن محمد عن حجاج.. به (ص ١١).

(١) الأعراف: ١٧٢، تقدم تمام الآية.

(٢) المقصود بالولد هنا الذرية، وليس ولد الصلب.

(٣) أخرجه ابن جرير (٩ / ١١٢، تفسير سورة الأعراف) عن يزيد بن هارون عن المسعودي به، وأورده ابن القيم عن إسحاق بن الملاي عن المسعودي به «شفاء العليل» (ص ١١)، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس. «الدر المنثور» (التفسير من سورة الأعراف، ٣ / ٥٩٨).

(٤) هٰكذا في (م)، وفي (١): «لأن بهٰذا الأمر».

(٥) ساقطة من (م).

(٦) في (م): «ثبتك الله عليه».

فقلت: لأنا بأول هٰذا الأمر أشد فرحاً مني بآخره؛ فقال لي سلمان: ثبتك الله[1]، إن الله عز وجل لما خلق آدم عليه السلام؛ مسح ظهره، فأخرج من ظهره ما هو ذار إلى يوم القيامة، فخلق الله الذكر والأنثى، والشقوة والسعادة، والأرزاق والآجال والألوان، فمن علم (منه) الخير؛ فعلى الخير ومجالس الخير، ومن علم (منه)[2] الشقوة؛ فعلى الشر ومجالس الشر»[3].

١٣٤٣ ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد المتوثي؛ قال: حدثنا أبو داود السجستاني؛ قال: حدثنا مسدد؛ قال: حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي صالح: «أن الله عز وجل خلق السماوات والأرض، وخلق الجنة وخلق النار، وخلق آدم ثم نثر ذريته في كفه، ثم أفضى بهما، ثم قال: «هٰؤلاء لهٰذه ولا أبالي، وهٰؤلاء لهٰذه ولا أبالي»، وكتب أهل الجنة وما هم عاملون، وكتب أهل النار وما هم عاملون، ثم طوي الكتاب ورفع»[4].

---

(١) في (م): «ثبتك الله عليه».

(٢) زدنا كلمة «منه» في الموضعين لتستقيم الجملة، ويكون المعنى أن من علم الله منه الخير؛ فإن علم الله يتحقق فيه حيث يقع على الخير ومجالس الخير، ومن علم الله منه الشر؛ فإن علمه تعالى يتحقق فيه حيث يقع على الشر ومجالس الشر»، وفي «الشريعة» للآجري مضبوطاً بضبط المحقق على النحو الآتي:

«فمن علم السعادة؛ فعل الخير ومجالس الخير، ومن علم الشقاوة؛ فعل الشر ومجالس الشر»؛ أي أن ذٰلك من علامات الخير والشر.

(٣) والأثر؛ رواه الآجري في «الشريعة» (ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦) عن حماد بن سلمة عن أبي نعامة السعدي . . . به.

وأورده ابن القيم عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن أبي نعامة السعدي . . . به (ص ١٢).

(٤) رواه أبو داود في (كتاب القدر، وما ورد في ذٰلك من الآثار، ج ١، ص ٧ ـ ٨)، وابن وهب في (كتاب القدر عن أيوب السختياني عن أبي قلابة)؛ كما في «شفاء العليل» في مسائل القضاء والقدر» لابن القيم (ص ١٢).

١٣٤٤ ـ حدثنا محمد بن أحمد المتوثي ؛ قال: حدثنا أبو داود ، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني ؛ قال: أخبرني ابن وهب؛ قال: أخبرني جرير ابن حازم عن أيوب السختياني عن أبي قلابة؛ قال: «إن الله عز وجل. . .»، ثم ذكر معناه وزاد: «فألقى الله الذي في يمينه عن يمينه والذي في يده الأخرى عن شماله، وقال: ثم طوي الكتب ورفع القلم»[١].

●●●●●

(١) تقدم تخريجه عن أبي داود في الحديث المتقدم.

الباب السابع

في باب الإيمان بأن الله عز وجل قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرضين، ومن خالف ذٰلك فهو من الفرق الهالكة

١٣٤٥ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري؛ قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى؛ قال: حدثنا ابن وهب؛ قال: حدثنا أبو هاني الخولاني (عن أبي عبد[1] الرحمٰن الحبلي) عن عبد الله بن عمرو؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة؛ قال: وعرشه على الماء»[2].

١٣٤٦ ـ حدثنا أبو ذر أحمد بن محمد الباغندي؛ قال: حدثنا الحسن بن عرفة العبدي؛ قال: حدثنا أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن يزيد المقري؛ قال: حدثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة؛ قالا: أخبرنا أبو هانىء الخولاني أنه سمع أبا

---

(١) سقط في رواية المؤلف هنا: «أبو عبد الرحمٰن الحبلي»، والصواب إثباته كما في رواية المؤلف الآتية بعد هٰذا الحديث، وكما هو ثابت أيضاً في رواية الترمذي ومسلم والآجري في «الشريعة» بإسناده المؤلف نفسه (ص ١٧٦).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في (كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ٤ / ٢٠٤٤)، والترمذي في «جامعه» عن أبي هانىء الخولاني به في (باب ما جاء في الرضى بالقضاء، ٣ / ٣١١)، وقال: «حديث حسن، صحيح، غريب»، والآجري في «الشريعة» (ص ١٧٦، باب الإيمان بأن الله عز وجل قدر المقادير على العباد قبل أن يخلق السماوات والأرض).

عبد الرحمٰن الحبلي يقول[1]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»[2].

١٣٤٧ ـ حدثنا حفص بن عمر الحافظ؛ قال: حدثنا رجاء؛ قال: حدثنا عبد الله بن صالح؛ قال: حدثنا ليث بن سعد؛ قال: حدثنا أبو هانيء؛ فذكر الحديث بإسناده.

١٣٤٨ ـ حدثنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار؛ قال: حدثنا الحسن ابن عرفة؛ قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن علية عن يزيد عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عمران بن الحصين؛ قال: «قال رجل: يا رسول الله! أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «نعم»، قال: ففيم يعمل العاملون؟ قال: «اعملوا؛ فكل ميسر»، أو كما قال»[3].

١٣٤٩ ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد المتوثي؛ قال: حدثنا أبو

---

(١) ومما يلاحظ أن كلًّا من الإمام الترمذي ومسلم أخرجا هٰذا الحديث عن أبي هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمٰن الحبلي عن عبد الله بن عمرو يقول فيه: سمعت رسول الله ﷺ بينما لمؤلف روى الحديث هنا عن أبي عبد الرحمٰن الحبلي، قال فيه: سمعت رسول الله ﷺ بدون واسطة بينه وبين رسول الله ﷺ مما يدل على أن الذي روى عنه أبو عبد الرحمٰن الحبلي وهو عبد الله بن عمرو سقط في رواية المؤلف هنا، ويدل لذٰلك رواية مسلم والترمذي، ورواية المؤلف فيما تقدم (برقم ٧٢)؛ لأن أبا عبد الرحمٰن الحبلي تابعي لم يلق النبي ﷺ.

قال في «التقريب»: «والحبلي؛ بضم المهملة والموحدة: هو عبد الله بن يزيد المعافري، ثقة من الثالثة، مات سنة مئة بإفريقيا». «تقريب التهذيب» (١ / ٤٦٢).

(٢) تقدم أن الحديث أخرجه الإمامان مسلم والترمذي، وقال: «هٰذا حديث حسن، صحيح، غريب».

(٣) أخرجه البخاري في (باب جف القلم على علم الله عن يزيد الرشك عن مطرف... به، ج ٨، ص ١٥٣)، وأبو داود في «سننه» في (كتاب السنة، باب القدر، ٤ / ٢٢٨)، والآجري في «الشريعة» (باب ذكر السنن والآثار المبينة» (ص ١٧٤).

* يعني سليمان بن داود بيّنه يزيد مأنه : يزيد الرشك

داود السجستاني ؛ قال : حدثنا مسدد بن مسرهد وسليمان بن داود ؛ قال : حدثنا حماد بن زيد ، وحدثنا محمد بن يوسف ؛ قال : حدثنا أبو رويق ، حدثنا حجاج ؛ قال : حدثنا حماد بن زيد عن يزيد قال سليمان : الرشك قال : حدثنا مطرف عن عمران بن حصين ؛ قال : «قيل : يا رسول الله ﷺ! أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال : «نعم» ، قيل : ففيم يعمل العاملون؟ قال : «كل ميسر لما خلق له»»(١) .

١٣٥٠ ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد المتوثي ؛ قال : حدثنا أبو داود ؛ قال : حدثنا أبو كامل ؛ قال : حدثنا أبو عمارة بن القعقاء عن أبي ذرعة بن عمرو بن جرير ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل خلق كل نفس ؛ فكتب حياتها ، ورزقها ، ومصيباتها»(٢) .

١٣٥١ ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد المتوثي ؛ قال : حدثنا أبو داود السجستاني ؛ قال : حدثنا محمد بن سليمان الأنباري ؛ قال : حدثنا صفوان (يعني : ابن عيسى) عن عروة بن ثابت الأنصاري عن يحيى بن عقيل عن يحيى

---

(١) تقدم تخريجه في (حديث رقم ٧٥) .

(٢) أخرجه الترمذي في (باب ما جاء لا عدوى ولا هامة ولا صغراً) عن عبد الرحمٰن بن مهدي عن سفيان عن عمارة بن القعقاء ؛ قال : «أخبرنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير ؛ قال : أخبرنا صاحب لنا عن ابن مسعود» «سنن الترمذي» (٣ / ٣٠٥ ـ ٣٠٦) ، وأحمد في «مسنده» عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ أطول : (٢ / ٣٢٧) ؛ فبهٰذا يظهر لنا أن الحديث بإسناد المؤلف ، أما مرسل ؛ سقط منه الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه على ما رواه أحمد في «مسنده» ، وأما معضل ؛ سقط منه راويان على التوالي ابن مسعود رضي الله عنه وصاحب لأبي زرعة الذي روى عنه الحديث على ما رواه الترمذي ، وذٰلك لأن أبا زرعة تابعي لم يلق النبي ﷺ» .

قال في «الخلاصة» : «أبو زرعة بن عمرو بن جرير البجلي اسمه هرم أو غير ذٰلك ، الكوفي عن جده وأبي هريرة ، وكان من علماء التابعين ، وثقه ابن معين» . «الخلاصة» (ص ٤٥٠) .

ابن يعمر عن أبي الأسـود الدئلي[١]؛ قال: قال لي عمران ين حصين: «أرأيت ما يكدح[٢] الناس اليوم ويعملون فيه؛ أشيء قضي عليهم ومضى من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ فاتخذت عليهم به[٣] الحجة؟ قال: لا، قلت: بل شيء قد قضي عليهم ومضى عليهم. قال: فهل يكون ذلك ظلماً؟ قال: ففزعت من ذلك فزعاً شديداً وقلت: إنه ليس شيء إلا وهو خلق الله وملك يده، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون؛ فقال: سددك الله، إني والله ما سألتك إلا لأحرز[٤] عقلك، إلا رجلاً[٥] من مزينة أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه؛ أشيء قضي عليهم ومضى عليهم أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ فاتخذت به عليهم الحجة؟ فقال: «لا، بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم»[٦]؛ قال: فلم نعمل إذاً؟ فقال: «من كان خلقه لواحدة المنزلتين[٧]؛ فهو مُهَيِّئُهُ». قال محمد بن بهيَّة: لعملها، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿ونَفْسٍ وَمَا سَوَّاها . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاها﴾[٨]»[٩].

---

(١) في (م): «الديلي».

(٢) في «المختار»: «(الكدح): العمل والسعي والكد والكسب» (ص ٥٦٤).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) قوله: «إلا لأحرز» بالزاي والراء: قال في «مختار الصحاح»: «الحزر: التقدير والخرص، تقول: حرز الشيء من باب ضرب ونصر...».

وقال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في تعليق له على «صحيح مسلم»: «لأحرز عقلك؛ أي: أمتحن عقلك وفهمك ومعرفتك». «صحيح مسلم» (الهامش ٤ / ٢٤٠١).

(٥) في رواية مسلم: «إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: ...».

(٦) ساقطة من (م).

(٧) ربما كان الصواب: «لواحدة من المنزلتين»، وفي اللالكائي: «لإحدى المنزلتين» (٢ / ٥٣١).

(٨) الشمس: ٧ ـ ٨.

(٩) أخرجه مسلم في «صحيحه» في (كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه =

١٣٥٢ ـ حدثنا أبو عبد الله المتوثي؛ قال: حدثنا أبو داود السجستاني؛ قال: حدثنا محمود بن خالد؛ قال: حدثنا مروان بن محمد؛ قال: حدثنا سليمان بن عتبة السلمي؛ قال: حدثنا يونس[١] بن حلبس عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء أنهم قالوا: «يا رسول الله! أرأيت ما نعمل؛ أفي شيء قد فرغ منه أم في شيء نأتنفه[٢]؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل في أمر قد فرغ منه». فقالوا: فكيف بالعمل بعد القضاء؟ قال: «كل امرىء مهيأ لما خلق له»»[٣].

= وكتابه ورزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته عن عثمان بن عمر عن عزرة بن ثابت... به (٤ / ٢٠٤١ ـ ٢٠٤٢)، وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» في (أبواب القدر عن عزرة بن ثابت به، ١ / ٧٦).

قال الألباني: «إسناده صحيح على شرط مسلم، وقد أخرجه». «ظلال الجنة في تخريج السنة» (١ / ٧٦).

(١) في رواية المؤلف فيما سبق في حديث (رقم ٥٦)، وفي «مسند الإمام أحمد» أيضاً (٦ / ٤٤١): «يونس بن ميسرة بن حلبس»، والمؤلف هنا ألحقه بجده مباشرة.

(٢) أي: نبتدؤه، قال في «المختار»: «الاستئناف والائتناف: الابتداء».

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦ / ٤٤١، ٤ / ٦٧)، وحسن إسناده الحافظ بن حجر في «الفتح» (١١ / ٤٣٩).

ورواه ابن جرير؛ كما في «منتخب كنز العمال» بهامش «مسند أحمد» (١ / ٨١)، والحديث له عدة شواهد من رواية البخاري (١١ / ٤٩١)، «فتح الباري»، ومسلم (٤ / ٢٠٤٠ ـ ٢٠٤١)، والترمذي (٣ / ٣٠١ ـ ٣٠٢)، وأبي داود (٤ / ٢٢٨).

قال في «فتح الرباني في ترتيب مسند أحمد» (١ / ١٤٠): «وأورده الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير»، وعزاه للإمام أحمد و«طب، ك» وبجانبه علامة الصحة» اهـ.

قلت: إلا أنني ما رأيته الحديث في «الجامع الصغير»، والله أعلم.

وأخرج ابن أبي عاصم بإسناد آخر نحوه من عدة طرق.

انظر: «كتاب السنة» (١ / ٧٢ ـ ٧٤).

١٣٥٣ ـ حدثنا النيسابوري ؛ قال : حدثنا الربيع بن سليمان ؛ قال : حدثنا ابن وهب عن أسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ مرجعه من بدر؛ فقال : أنعمل لأمر قد فرغ منه أم لأمر نأتنفه؟ فقال : «لأمر قد فرغ منه» . قال : ففيم العمل إذاً؟ فقال رسول الله ﷺ : «كل ميسر لما كتب له وعليه»[1] .

١٣٥٤ ـ حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن مسعدة؛ قال : حدثنا إبراهيم بن الحسين الكسائي / ح ، وحدثنا أبو العباس عبد الله بن عبد الرحمٰن العسكري ؛ قال : حدثنا أبو العباس الترمذي ؛ قالا : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ؛ قال : حدثنا عطاف بن خالد عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق عن أبيه ؛ قال : «سمعت أبي يذكر أنه سمع أبا بكر الصديق رحمه الله[2] وهو يقول : قلت : يا رسول الله! أنعمل على ما قد فرغ منه أو على أمر مؤتنف؟ فقال : «بل على أمر قد فرغ منه» . قلت : ففيم العمل يا رسول الله؟ قال : «كل ميسر لما خلق له»»[3] .

---

(١) صحيح .

أخرج الترمذي في «سننه» (باب ما جاء في الشقاء والسعادة، ٣ / ٣٠١) بإسناد آخر عن سالم عن أبيه عمر بن الخطاب بلفظ قريب، وقال : «في الباب عن علي وحذيفة بن أسيد وأنس وعمران بن حصين»، ثم قال : «هٰذا حديث حسن صحيح»، وأحمد في «مسنده» (٢ / ٥٢) عن سالم عن أبيه، والآجري في «الشريعة» (باب ذكر السنن والآثار المبينة، ص ١٧١) .

(٢) هٰكذا في (١)، والأولى أن يقول : «رضي الله عنه» كما هو المعروف المستعمل في حق الصحابة، وكذٰلك ورد في كتاب الله العزيز كما في سورة التوبة حيث قال عز وجل : ﴿والسَّابقونَ الأوَّلونَ منَ المُهاجِرينَ والأنْصارِ والَّذينَ اتَّبَعوهُم بإحْسانٍ رضِيَ اللهُ عنهُم ورَضوا عنْه . . .﴾ الآية : ١٠٠] .

(٣) أخرجه أحمد، والبزار، والطبراني ؛ كما في «مجمع الزوائد» (٧ / ١٩٤)، و«فتح الباري» (١١ / ٤٩٧) .

=

١٣٥٥ ـ حدثنا أبو علي بن الصواف؛ قال: حدثنا أبو إسماعيل الترمذي؛ قال: حدثنا أبو صالح؛ قال: حدثني معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن عبد الرحمٰن بن قتادة السلمي عن هشام بن حكيم أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: «أتبتدأ الأعمال أم قد قضي القضاء؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه؛ فقال: هٰؤلاء في الجنة وهٰؤلاء في النار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار»»(١).

١٣٥٦ ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد المتوثي؛ قال: حدثنا أبو داود السجستاني، حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني؛ قال: أخبرنا ابن وهب؛ قال: أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال: «يا رسول الله! أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نأتنفه؟ فقال: «بل لأمر قد فرغ منه»، فقال سراقة بن مالك: يا رسول الله! ففيم العمل إذاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «كل امرىء ميسر لعمله»»(٢).

= قلت: رواه أحمد في «مسنده» (١ / ٥ ـ ٦) من طريق عطاف.

قال الهيثمي: «وعطاف وثقه ابن معين وجماعة، وبقية رجاله ثقات».

(١) صحيح، أخرجه الآجري في «الشريعة» في (باب ذكر السنن والآثار المبينة عن الزبيدي عن راشد بن سعد به، ١٧٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٣٢٦).

قال الهيثمي: «ورواه البزار والطبراني، وفيه بقية بن الوليد وهو ضعيف، ويحسن حديثه بكثرة الشواهد، وإسناد الطبراني حسن». «مجمع الزوائد» (٧ / ١٨٦).

ورواه ابن جرير وابن مردويه؛ كما في «تفسير ابن كثير» (٢ / ٢٦٣)، وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (باب ما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال: إنما تعملون في أمر قد فرغ منه، ج ١، ص ٧٣ ـ ٧٤)، والحديث؛ صححه الألباني.

انظر: «ظلال الجنة في تخريج السنة» (١ / ٧٣ ـ ٧٤).

(٢) أخرج مسلم في (كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه) عن أبي طاهر عن ابن وهب به (٤ / ٢٠٤١)، والآجري في «الشريعة» (ص ١٧٤) من طريق أبي الزبير عن جابر، =

١٣٥٧ ـ حدثنا محمد بن أحمد أبو عبد الله المتوثي؛ قال: حدثنا أبو داود السجستاني؛ قال: حدثنا عمرو بن عون(١)؛ قال: حدثنا هشيم عن علي ابن زيد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رجلاً(٢) قال: «يا رسول الله! فيم العمل؛ أفي شيء قد سبق أم شيء نستأنفه؟ قال: «بل في شيء قد سبق»، قال: ففيم العمل؟ قال: «اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له»»(٣).

١٣٥٨ ـ حدثنا أبو عبد الله المتوثي؛ قال: حدثنا أبو داود السجستاني؛ قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح؛ قال: حدثنا سفيان عن عمرو عن طلق ابن حبيب عن بشير بن كعب العدوي؛ قال: «سأل غلامان شابان رسول الله ﷺ؛ فقالا: أنعمل فيما جفت فيه الأقلام وجرت فيه المقادير أم شيء يؤتنف؟ فقال: «بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير»، فقالا: ففيم العمل إذاً؟ فقال: «كل عامل ميسر لعمله الذي هو عامل»، قالا: فالآن يجد(٤) أن

= والطبراني في «الأوسط»؛ كما في «مجمع الزوائد» (٧ / ١٩٥)، و«فتح الباري» (١١ / ٤٩٧).

وأخرجه ابن أبي عاصم في «كتاب السنن» (١ / ٧٣، باب ما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال: إنما تعملون في أمر قد فرغ منه) عن سراقة بن مالك.

قال الألباني: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ١٩٥): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (١/٣٥) عن سراقة، وأحمد في «مسنده» (٣/٣٠٤).

(١) وهو عمرو بن عون بن عوس بن الجعد السلمي، مولاهم أبو عثمان الواسطي، البزاز، نزيل البصرة، الحافظ عن عبد العزيز الماجشون وحماد بن سلمة وأبي عوانة وطائفة، وعنه البخاري وأبو داود وابن معين وأبو زرعة، وقال: «قل من رأيت أثبت منه»، وقال: «أبو حاتم ثقة، حجة، مات سنة (٢٢٠هـ)». «الخلاصة» (ص ٢٩٢).

(٢) هٰذا الرجل هو سراقة بن مالك؛ كما هو مصرح في رواية أحمد في «مسنده» (٣ / ٣٠٤)، وكما هو مصرح أيضاً في رواية المؤلف في الحديث السابق.

(٣) تقدم تخريجه في الحديث المتقدم برقم (٨٣).

(٤) هٰكذا في الأصل، وتقرأ بتشديد الدال؛ فقد نقل الحافظ هٰذا الحديث في «الفتح» (١١ =

نعمل»[1].

١٣٥٩ - حدثنا أبو القاسم حفص بن عمر الحافظ؛ قال: حدثنا رجاء بن مرجاء؛ قال: حدثنا نضر بن شميل وآدم بن أبي إياس العسقلاني وأبو الوليد الطيالسي / ح، وحدثني أبو صالح محمد بن أحمد؛ قال: حدثنا أبو الأحوص؛ قال: حدثنا أبو الوليد الطيالسي وحفص بن عمر النمري؛ قالوا: حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله؛ قال: سمعت سالم بن عبد الله عن ابن عمر أن عمر سأل رسول الله ﷺ؛ قال: «أرأيت يا رسول الله ما نعمل فيه؛ أفي أمر مبتدأ أو مبتدع، أو فيما قد فرغ منه؟ قال: «فيما قد فرغ منه». قال: أفلا نتكل؟ قال: «اعمل يا ابن الخطاب؛ فكل ميسر، أما من كان من أهل الشقاء؛ فإنه يعمل عمل أهل الشقاء، وأما من كان من أهل السعادة؛ فإنه يعمل عمل أهل السعادة»»[2].

= / ٤٩٧) عن الفريابي، وفي آخره: «فالجد الآن» ربما كان الأصح هنا: «يجب أن نعمل».

(١) قال الحافظ بن حجر في «فتح الباري» (١١ / ٤٩٧): «أخرجه الفريابي بسند صحيح إلى بشر بن كعب أحد كبار التابعين»؛ فيكون الحديث مرسلاً، وذلك لأن بشر ابن كعب تابعي لم يلق النبي ﷺ، وإن كان الحديث بسند صحيح إلى بشر بن كعب؛ كما صرح به الحافظ في «الفتح»؛ فالحديث وإن كان مرسلاً بهذا الإسناد؛ إلا أن معناه صحيح لأنه روى بعدة طرق متصلة صحيحه، كما تقدم».

(٢) صحيح، أخرجه الترمذي في (باب ما جاء في الشقاء والسعادة) عن شعبة عن عاصم ابن عبيد الله به (٣ / ٣٠١)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأحمد في «مسنده» (١ / ٢٩ و٢ / ٥٢ و٧٧) عن شعبة عن عاصم بن عبد الله... به، وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» في (باب ما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال: إنما تعملون في أمر قد فرغ منه، ١ / ٧١) عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عاصم بن عبيد الله به.

قال الألباني: «حديث صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين؛ غير عاصم بن عبيد الله، وهو العدوي المدني ضعيف، لكنه لم يتفرد به كما يأتي؛ فالحديث لذلك صحيح»، والآجري في «الشريعة» (١٧٠ - ١٧١) عن شعبة عن عاصم بن عبيد الله به، وبإسناد آخر عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. =

١٣٦٠ ـ حدثنا أبو هاشم عبد الغافر بن سلامة الحمصي ؛ قال : حدثنا يحيى بن عثمان ؛ قال : حدثنا بقية بن الوليد ؛ قال : حدثنا أبو بكر العنسي[١] عن يزيد بن أبي حبيب ومحمد بن يزيد المصريين ؛ قالا : حدثنا نافع عن ابن عمر ؛ قال : «قالت أم سلمة : يا رسول الله! لا يزال يصيبك في كل عام وجع من تلك الشاة المسمومة التي أكلت؟ فقال : «ما أصابني من شيء منها إلا وهو علي وآدم في طينته»»[٢].

= وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٣٢٠ ، ١٣٤١) من طرق أخرى عن شعبة به ؛ كما في «ظلال الجنة في تخريج السنة» للألباني (١ / ٧٢).

ورواه الطبراني والبزار وحسن حديثه . «مجمع الزوائد» (٧ / ١٩٤ ، باب كل ميسر لما خلق له) .

(١) قال في «الخلاصة» (ص ٤٤٥) : «أبو بكر العنسي بنون عن يزيد بن أبي حبيب وعنه بقية» . قال ابن عدي : «له مناكير عن الثقات» ، وقال في «تقريب التهذيب» : «أبو بكر العنسي بالنون مجهول ، قاله ابن عدي من السابعة» . «التقريب» (٢ / ٤٠١) .

وفي (١) : «أبو بكر العبسي» بفتح العين وباء موحدة بعدها سين ، وهو خطأ .

(٢) ضعيف ، فيه أبو بكر العنسي .

قال الحافظ في «التقريب» أبو بكر العنسي بالنون مجهول ، قاله ابن عدي من السابعة» (٢ / ٤٠١) .

وقال الذهبي : «أبو بكر العنسي شيخ لبقية ، تكلم فيه وحدث عنه أيضاً يحيى الوحاظي ، وله ما ينكر» «ميزان الاعتدال» (٤ / ٤٩٨)؛ وفي «الخلاصة» (ص ٤٤٥) : «وأبو بكر العنسي بنون عن يزيد أبي حبيب وعنه بقية» .

قال ابن عدي : «له مناكير عن الثقات» ، وقال في «التعليق» على ابن ماجه في «الزوائد» : «في إسناده أبو بكر العنسي وهو ضعيف» (٢ / ١١٧٤) .

والحديث؛ أخرجه ابن ماجه في (كتاب الطب ، باب السحر ، ٢ / ١١٧٤) بإسناد المؤلف نفسه ما عدا أبا هاشم عبد الغافر بن سلامة شيخ ابن بطة ؛ فإنه لا يوجد في إسناد ابن ماجه .

ورواه اللالكائي بإسناد المؤلف نفسه (٢ / ٥٩٦) ، وضعفه الألباني في ضعيف «الجامع الصغير» (٥ / ٨٢ ، حديث رقم ٥٠٠٤) .

الباب الثامن

باب الإيمان بأن الله عز وجل خلق القلم، فقال له: اكتب فكتب ما هو كائن، فمن خالفه فهو من الفرق الهالكة

١٣٦١ - حدثنا أبو صالح محمد بن أحمد بن ثابت؛ قال: حدثنا أبو الأحوص محمد بن الهيثم القاضي؛ قال: حدثنا نعيم بن حماد؛ قال: حدثنا عبد الله بن المبارك؛ قال: أخبرنا(١) عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله تعالى القلم؛ فجرى بما هو كائن إلى قيام القيامة»(٢).

١٣٦٢ - حدثني أبو القاسم حفص بن عمر؛ قال: حدثنا أبو حاتم الرازي؛ قال: حدثنا عبد الله بن صالح؛ قال: حدثنا معاوية بن صالح عن أيوب عن زياد؛ قال: حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت؛ قال: حدثني أبي؛ قال: حدثني أبي عبادة بن الصامت؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله عز وجل القلم، ثم قال: اكتب؛ فجرى في تلك الساعة

---

(١) هكذا في (١)، وفي (م): «حدثنا أبو صالح عمر بن حبيب».

(٢) صحيح، رواه البيهقي في «السنن الكبرى» في (كتاب السير، باب مبتدأ الخلق، ٩ / ٣)، وفي «الأسماء والصفات» عن رباح بن زيد عن عمر بن حبيب به (٣٧٨)، وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (١ / ٥٠)، وقال الهيثمي: «ورواه الطبراني ورجاله ثقات» «مجمع الزوائد» (٧ / ١٩٠)، وصححه الألباني في «تخريج السنة» (١ / ٥٠)، وخرجه في «الصحيحة» (١٣٣)، ورواه ابن جرير في «تفسيره» عن رباح بن زيد عن عمر بن حبيب به (٢٩ / ١٦).

ما هو كائن إلى يوم القيامة»[1].

١٣٦٣ - حدثني أبو صالح محمد بن أحمد؛ قال: حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي؛ قال: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي؛ قال: حدثنا أبو داود عن عبد الواحد بن سليم عن عطاء بن أبي رباح؛ قال: حدثني الوليد بن عبادة عن أبيه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: يا رب! وما أكتب؟ قال: اكتب القدر، ما كان وما هو كائن إلى الأبد»[2].

---

(١) صحيح، أخرجه ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» عن زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح به في (باب ذكر القلم أنه أول ما خلق الله تعالى وما جرى به القلم، ١ / ٥٠)، والآجري في «الشريعة» في (باب الإيمان بما جرى به القلم عن زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح به (١٧٧ - ١٧٨)، وأحمد في «مسنده» (٥ / ٣١٧) من طريق ليث عن معاوية به، وصححه الألباني في «تخريج السنة» (١ / ٤٨ - ٥٠).

(٢) صحيح، روي بعدة طرق أوردها ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (١ / ٤٨ - ٥٠) وإن كان ضعيفاً بهذا الإسناد؛ لأن عبد الواحد بن سليم في الإسناد ضعيف.

والحديث؛ أخرجه الترمذي في تفسير سورة ﴿نٓ والقَلَمِ﴾ عن يحيى بن موسى عن أبي داود الطيالسي به (٥ / ٩٦)، وأبو داود المذكور رواه في «مسنده» في (كتاب القدر، باب ما جاء في ثبوت القدر والإيمان به، ١ / ٣٠) عن عبد الواحد بن سليم عن عطاء به.

ورواه ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» في (باب ذكر القلم أنه أول ما خلق الله تعالى وما جرى به القلم في ١ / ٤٩) عن أبي داود عن عبد الواحد بن سليم به.

قال الألباني: «حديث صحيح رجاله ثقات غير عبد الواحد بن سليم؛ فهو ضعيف»؛ كما في «التقريب»، وأبو داود وهو سليمان بن داود الطيالسي صاحب «المسند» المعروف به، وقد أخرج هذا الحديث فيه بإسناده هذا وعنه الترمذي، وقال: «حديث حسن غريب». «تخريج السنة» (١ / ٤٩).

وفي «الخلاصة»: «عبد الواحد بن سليم المالكي البصري عن عطاء، وعنه أبو داود الطيالسي»، قال أحمد: «أحاديثه موضوعة، له عنده فرد حديث» (ص ٢٤٧). =

١٣٦٤ ـ حدثني أبو صالح؛ قال: حدثنا محمد بن الهيثم أبو الأحوص؛ قال: حدثنا هشام بن خالد الأزرق؛ قال: حدثنا الحسن بن يحيى عن أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة؛ قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواة، ثم قال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن من عمل، أو أثر، أو رزق، أو أجل؛ فكتب[١] ما هو كائن إلى يوم القيامة، فذلك قوله عز وجل: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، ثم ختم على القلم؛ فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة»[٢].

١٣٦٥ ـ حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن مسعدة الأصبهاني؛ قال: أخبرنا إبراهيم بن الحسين الهمذاني؛ قال: حدثنا الربيع بن نافع؛ قال: حدثنا بقية بن الوليد؛ قال: حدثنا أرطأة[٣] بن الوليد عن مجاهد عن ابن عمر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أول شيء خلقه الله عز وجل القلم، فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين؛ فكتب[٤] الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول، بر أو فجور، رطب أو يابس؛ فأمضاه عنده في الذكر، ثم قال: اقرؤوا إن شئتم، هٰذا كتابنا ينطق

= وابن جرير الطبري «تفسير الطبري» (٢٩ / ١٦ في تفسير سورة النون) عن طريق عباد بن العوام عن عبد الواحد بن سليم به.

(١) في (م): «وكتب».

(٢) أخرجه ابن عساكر عن أبي عبد الله مولى بني أمية. . . به؛ كما في «تفسير ابن كثير» (٤ / ٤٠٠، تفسير سورة ﴿نٓ والقلم﴾)، والآجري في «الشريعة» (باب الإيمان بما جرى به القلم مما يكون أبداً، ص ١٧٧)، والحكيم الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨ / ٢٤١، تفسير سورة ﴿نٓ والقلم﴾).

(٣) هٰكذا في (١)، وفي (م): «وفي «كتاب السنة» لابن أبي عاصم (ص ٤٩)، و«الشريعة» للآجري (ص ١٧٥): «أرطأة» بن المنذر».

(٤) في (م): «وكتب».

عليكم بالحق، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون»[1]؛ فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فرغ منه؟»[2].

١٣٦٦ ـ حدثنا القاضي المحاملي؛ قال: حدثنا علي بن شعيب؛ قال: حدثنا معن؛ قال: حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن أبي هريرة أنه قال للنبي ﷺ: «أصابتني العزبة وليس بيدي شيء فأنكح النساء، وأنا أتخوف على نفسي؛ فتأذن لي فأختص؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة! جف القلم؛ فاختص على ذلك أو اترك»»[3].

١٣٦٧ ـ حدثنا أبو علي محمد بن يوسف البيع؛ قال: حدثنا أبو رويق عبد الرحمٰن بن خلف الضبي؛ قال: حدثنا حجاج بن منهال؛ قال: حدثنا حماد

(١) الجاثية: ٢٩.

(٢) صحيح، رواه الآجري في «كتاب الشريعة» عن حسن بن علي الحلواني عن أبي توبة الربيع بن نافع... به في (باب ذكر السنن والآثار المبينة، ص ١٧٥)، وابن أبي عاصم عن ابن مصفى عن بقية.. به في (أبواب القدر، ١ / ٤٩).

قال الألباني: «إسناده حسن ورجاله ثقات، وفي ابن مصفى كلام لا ينزل حديثه عن مرتبة الحسن، وهو وبقية مدلسان وقد صرحا بالتحديث».

وأخرجه الآجري في «الشريعة» (ص ١٧٥) عن طريق الربيع بن نافع عن بقية بن الوليد؛ قال: «حدثنا أرطأة بن المنذر به؛ فصح الحديث، والحمد لله». «ظلال الجنة في تخريج السنة» (١ / ٥٠).

وأخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر عن ابن عباس نحوه مختصراً، السيوطي «تفسير الدر المنثور» (٨ / ٢٤٢).

(٣) صحيح، أخرجه البخاري في (كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، ٧ / ٥) عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ قريب، والآجري في «الشريعة» عن أبي سلمة ابن عبد الرحمٰن عن أبي هريرة رضي الله عنه في (باب ترك البحث والتنقير عن النظر في أمر المقدر بكيف ولم، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، ورواه النسائي في «سننه» (٦ / ٥٩ ـ ٦٠، باب النهي عن التبتل)، وابن وهب في «كتاب القدر»؛ كما في كتاب «شفاء العليل» لابن القيم الجوزية (ص ٧).

(يعني: ابن سلمة) عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿نٓ والقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾؛ قال: خلق الله القلم، وقال: «اجر كما هو كائن إلى يوم القيامة»، ثم كبس الأرض على الحوت»[1].

١٣٦٨ - حدثنا أبو صالح محمد بن أحمد؛ قال: حدثنا يوسف بن يعقوب؛ قال: حدثنا عبد الواحد بن غياث؛ قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن عبد الله بن عباس في قول الله عز وجل: ﴿نٓ والقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، قال: «خلق الله عز وجل القلم وقال: «اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة»؛ فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم كبس[2] الأرض على الحوت وهو[3] النون»[4].

١٣٦٩ - حدثنا أبو بكر محمد بن أيوب بن المعافا؛ قال: حدثنا إسماعيل ابن إسحاق؛ قال: حدثنا سليمان بن حرب؛ قال: حدثنا حماد بن زيد عن عطاء ابن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس؛ قال: «أول ما خلق الله عز وجل القلم والحوت؛ فالأرض على الحوت، ثم قال للقلم: اكتب؛ فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، وتلا: ﴿نٓ والقَلَمِ﴾.

قال حماد: والنون الحوت، والقلم وما يسطرون»[5].

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» عن محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب. . . به نحوه (ص ١٧٨).

(٢) أي: غط الأرض على الحوت. في «المنجد»: «الكباس من يكبس رأسه في ثوبه وينام، والكبس: التراب الذي تكبس به البئر».

وفي «القاموس»: «كبس البئر والنهر، يكبسهما: طمهما بالتراث وذلك التراب، كبس بالكسر ورأسه في ثوبه: أخفاه وأدخله فيه».

(٣) في (م): «وهي النون».

(٤) مر تخريجه في الأثر المتقدم برقم (٩٤).

(٥) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٩ / ١٥) عن عطاء. . . به، والطبراني عن مؤمل بن =

١٣٧٠ - حدثني أبو صالح؛ قال: حدثنا أبو الأحوص ويوسف بن يعقوب؛ قالا: حدثنا عمرو بن مرزوق؛ قال: أخبرنا شعبة عن أبي هاشم عن مجاهد عن عبد الله؛ قال: «لا يدري عبد الله بن عمرو هو أو ابن عباس؛ قال: «أول ما خلق الله عز وجل القلم؛ فجرى بما هو كائن، فالناس يعملون فيما قد فرغ منه»»[١].

١٣٧١ - حدثني أبو صالح؛ قال: حدثنا أبو الأحوص؛ قال: حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود / ح، وحدثنا إسماعيل بن محمد الصفار؛ قال: حدثنا عباس الدوري؛ قال: حدثنا عبيد الله بن موسى؛ قالا: حدثنا سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد؛ قال: «قلت لابن عباس: إن ناساً يكذبون بالقدر؛ قال: إنهم يكذبون بكتاب الله، لأخذن بشعر أحدهم فلأنصونه[٢]، ثم قال: إن الله عز وجل كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً؛ فكان أول ما خلق القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، فإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه»[٣].

١٣٧٢ - حدثنا القافلاي؛ قال: حدثنا العباس بن محمد؛ قال: حدثنا محاضر؛ قال: حدثنا الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس؛ قال: «أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب ما اكتب، قال: اكتب القدر»؛

= إسماعيل بن حماد... به، كما في «تفسير ابن كثير» (٤ / ٤٢٥) في تفسير سورة ﴿نٓ والقَلَمِ﴾؛ إلا أنه قال: «والنون: الحوت، والقلم: القلم»، بدل قول المؤلف: «والقلم وما يسطرون».

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٩ / ١٧) عن عبد الصمد عن شعبة... به.

(٢) أي: لأخذن بناصيته؛ أي: مقدمة رأسه. «لسان العرب» (١٥ / ٣٢٧).

في «تفسير ابن جرير»: «فلا يقصن به» بدل قول المؤلف: «فلا نصونه».

(٣) رواه الآجري في «الشريعة» (باب الإيمان بما جرى به القلم مما يكون أبداً، ص ١٧٩) عن أبي إسحاق الفزاري عن سفيان (يعني: الثوري)... به، وابن جرير في «تفسيره» (٢٩ / ١٧، تفسير سورة ن) عن عبد الرحمن عن سفيان .... به، واللالكائي عن يعلى عن سفيان... به (ج ٢، ص ٦٤٧).

قال: فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى أن تقوم الساعة»[1].

١٣٧٣ ـ حدثنا أبو عبد الله أحمد بن علي بن العلاء؛ قال: حدثنا يوسف ابن موسى القطان / ح، وحدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد المتوثي؛ قال: حدثنا أبو داود السجستاني؛ قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة ويوسف بن موسى؛ قالا: حدثنا جرير عن الأعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن مقسم عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾[2]؛ قال: ألستم قوماً عرباً[3]؟ هل تكون نسخة إلا من كتاب؟»[4].

١٣٧٤ ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد المتوثي؛ قال: حدثنا أبو داود السجستاني؛ قال: حدثنا محمد بن المثنى وعثمان بن أبي شيبة؛ قالا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾؛ قال: «ألستم قوماً عرباً؟ هل تكون النسخة إلا من أصل كتاب قد كان قبل»[5].

١٣٧٥ ـ حدثنا أبو علي محمد بن يوسف؛ قال: حدثنا عبد الرحمن بن خلف الضبي؛ قال: حدثنا حجاج بن منهال؛ قال: حدثنا المعتمر بن سليمان؛

---

(١) رواه ابن جرير في (تفسير سورة ن، ٢٩ / ١٤) عن سليمان الأعمش. . . به، والآجري في «الشريعة» في (باب الإيمان بما جرى به القلم مما يكون أبداً، ص ١٧٨ ـ ١٧٩) عن ابن مسهر عن الأعمش. . . به، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن وكيع عن الأعمش. . . به (ص ٣٧٨).

(٢) الجاثية: ٢٩.

(٣) قال في «المختار»: «(العرب): جيل من الناس، والنسبة إليهم عربي، والعرب والعرب واحد كالعجم والعجم».

(٤) وسيعيد المؤلف هذا الأثر مطولاً ومختصراً بإسنادين آخرين فيما يلي، وسيأتي تخريجه هناك.

(٥) سيأتي تخريجه في الأثر بعد هذا الذي يرويه المؤلف عن ابن عباس مطولاً.

قال: سمعت أبا مخزوم يحدث عن الأصبغ عن أبي اليقظان عن الحارث بن قيس عن عبد الله بن عباس أنه سئل عن هٰذه الآية: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾؛ قال ابن عباس: «إن أول ما خلق الله عز وجل القلم، ثم النون وهي الدواة، ثم خلق الألواح؛ فكتب[1] الدنيا وما يكون فيها حتى تفنى من كل خلق مخلوق أو عمل[2] معمول من بر أو فجور، وما كان من رزق حلال أو حرام، و من كل رطب ويابس، ثم ألزم كل شيء من ذٰلك شأنه[3] دخوله في الدنيا وبقاؤه فيها، كم إلى كم شاء، ثم وكل بذٰلك الكتاب ملكاً ووكل بالخلق ملائكة، فتأتي ملائكة الخلق إلى ملائكة الكتاب؛ فينسخون ما يكون في يوم وليلة مقسوماً على ما وكلوا به، وتأتي ملائكة الخلق؛ فيحفظون الناس بأمر الله ويسوقونهم إلى ما في أيديهم من تلك النسخ، فإذا انتفت النسخ عن شيء[4]؛ لم يكن ها هنا بقاء ولا مقام، قال: فقال رجل لابن عباس: ما كنا نرى هٰذا إلا تكتبه الملائكة في كل يوم وليلة؟ فقال: ألستم قوماً عرباً ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾؛ هل يستنسخ الشيء إلا من كتاب؟»[5]

١٣٧٦ - حدثنا أحمد بن علي بن العلاء وأبو بكر محمد بن محمود السراج؛ قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلي؛ قال: حدثنا المعتمر بن سليمان؛ قال: حدثنا عصمة أبو عاصم عن عطاء بن السائب عن مقسم عن ابن عباس؛ قال: «إن أول ما خلق الله عز وجل القلم، فخلقه عن

---

(١) في (م): «وكتب».

(٢) في (م): «وعمل معمول».

(٣) ساقطة من (م).

(٤) هٰكذا في (م)، وفي (١) من تلك النسخ: «عن شيء لم يكن ها هنا بفاء».

(٥) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم؛ كما في «تفسير فتح القدير» للشوكاني (٥ / ١٢، تفسير سورة الجاثية)، وابن جرير عن ثابت البناني بلفظ قريب «تفسير الطبري» (٢٩ / ١٩ من تفسير سورة ﴿نٓ والقلم﴾).

هجاء[1]؛ فقال: قلم، فتصور قلماً من نور ظله ما بين السماء والأرض، فقال: اجـر في اللوح المحفـوظ[2]، قال: يا رب! بمـاذا؟ قال: بمـا يكون إلى يوم القيامة، فلما[3] خلق الله عز وجل الخلق؛ وكل بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم، فإذا كان يوم القيامة؛ عرضت[4] عليهم أعمالهم؛ فقيل: «هٰذا كتابنا ينـطق عليكم بالحق، إنـا كنـا نستنسـخ ما كنتم تعملون (أي: في اللوح المحفوظ)»، قال: فيعارضون[5] بين الكتابين؛ فإذا هما سواء»[6].

١٣٧٧ - حدثنا أبو شيبة؛ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن ابن جحادة عن قتادة عن أبي السوار العدوي عن الحسن ابن علي عليهما السلام؛ قال: «رفع الكتاب وجف القلم، أمور تقضى في كتاب قد سبق».

● ● ● ● ●

---

(١) في (م): «هجا بالقصر».

(٢) رواه الآجري في «الشريعة» في (باب الإيمان بما جرى به القلم مما يكون أبداً، ١٧٨).

(٣) من هنا إلى قوله: «فإذا كان يوم القيامة» ساقط من (م).

(٤) في (م): «عرضت الأعمال».

(٥) في (١): «فيعـرضـون»، وهـو غير صحيح والصـواب ما أثبتناه، وفي «المصباح»: «عارضت الشيء بالشيء؛ قابلته به»، وفي (م): «وقوبل بين الكتابين»، وفي «الشريعة» للآجري: «فعورض بين الكتابين؛ فإذا هما سواء» (ص ١٧٨)، وهٰذا يتفق مع ما صححنا به الأصل.

(٦) أخرجه الآجري في «الشريعة» في (باب الإيمان بما جرى به القلم مما يكون أبداً، ص ١٧٨) عن أبي الأشعث أحمد بن المقدام العجلي. . . به.

آخر الجزء

يتلوه إن شاء الله في الجزء التاسع

باب

الإيمان بأن الله عز وجل كتب على آدم المعصية قبل أن يخلقه

فمن رد ذلك ؛ فهو من الفرق الهالكة

والحمد لله رب العالمين

وصلواته على سيدنا محمد النبي وآل محمد الطيبين وسلم تسليماً

وحسبنا الله ونعم الوكيل

التنضيد والمونتاج
دار الحسن للنشر والتوزيع
هاتف ٦٤٨٩٧٥ - فاكس ٦٤٨٩٧٥ - ص.ب ١٨٢٧٤٢
عمان ١٨ ١١١ - الأردن

ردمك: ٦ ـ ١٥ ـ ٦٦١ ـ ٩٩٦٠ (مجموعة)
٤ ـ ١٦ ـ ٦٦١ ـ ٩٩٦٠ (ج ١)